

البريد الإلكتروني: almahajja@maktoob.com
almahajjafes@gmail.com



المحنة

العدد: 330 - 331

جامعة نصف شهرية

الثمن: 10 دراهم

المدير المسؤول: الفضل فلواتي

15 محرم الحرام 1431 - 01 يناير 2010

بالإكثار فريد الأنصاري
 رحمه الله تعالى

فريد

الأستاذ فريد الداعية القرآني الفريد

جمالية الموت

وانه حقا لجميل!

هل سافرت يوما إلى مكان بعيد وأنت في شوق شديد، أو حنين قوي إليه؟.. هل عدت من غربتك يوما إلى وطن الطفولة والأحباب؟.. صوت الحافلة وهي تقترب من الحمى، أو نفيير القطار وهو يطرق المدينة، أو أزيز الطائرة وهي تشرف على تراب الأحبة.. هل وجدت قلبك يدق فرحا وغبطة؟ إنها متعة الوصول!

الموت باب الدخول إلى وعد الله الكريم..

وانما يخاف عنده المكذبون، ولا خوف على من آمن بالله ثم استقام.. بل إنه يرجو وعد الله الكريم، وفضله العميم.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت 32-30). إنها آية من الروعة بمكان! فهي تصل -في إحساس العبد المؤمن- الحياة الدنيا بالحياة الآخرة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، وتملأ المؤمن سكينه وسلاما، فإنما الملائكة القبض بالنسبة للمؤمن المستقيم رسل سلام من الله السلام!

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

....

"فيالها من صورة روحانية ذات جمال! فكان روح المؤمن الصالح كوثر يتدفق ينبوعا من الأرض، فيعلو، ويعلو، حتى يخترق طبقات السماء برفق وسلام، ثم يتدفق من أعلى، رقراقا كالبلور الصافي.. ثم يستقر بقبره، ويوصل من الجنة بباب من الرحمة والرضوان، يهب عليك بأنسامها وبركاتها حتى تقوم الساعة! أفيا مكانك أن ترسم لهذه الصورة (تشكيلا)؟ بأي ريشة أم بأي ألوان تستطيع استيعابها؟ كيف ترسمها حبا متدفقا، ورضا متفتحا؟ أهذا هو الموت؟ أم أنه انسياب الروح في مملكة السلام، وانطلاق الشوق إلى الرب السلام؟

ألم أقل لكم إن الموت جميل حقا؟

د. فريد الأنصاري
 رحمه الله تعالى

نم يا فريد فكم سهرت لأجلنا

فرددت كيد الكائدين ومكر من

فللرحمان أودعناك يا من

ووقفت للشيطان بالمرصاد

يدعو إلى التنصير والإلحاد

إلى الرحمن أثرت اقترابا

تشيع فريد الأنصاري

محاوور العدد

- كلمات تأبينية
- فريد: باحثا مصطلحيا
- مراثي شعرية
- فريد: فقيها أصوليا
- فريد: سيرة وأثار
- فريد: أديبا إسلاميا
- فريد: مربيا قرآنيا
- فريد: أساتذا





فريد...

فاتحة الجيل القرآني الفريد...

الجيل الذي يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض.

استمع إليه وهو يسلم على أهله من ذلك الجيل:
(إني أشاهدكم وأنتم تولدون من رحم المستقبل
القريب...!)

عبر مخاض هذا الزمن العصيب!
إني أشاهدكم كأجلي ما تكون المشاهدة وأحلى!
من عالم القرآن تخرجون..
وبمنازل الصديقين تسلكون..

الربانية وصفكم الجامع،
والعلم حدكم المانع،
إذا نطقتم فبحكمة،
وإذا سكتكم فعن فتنة!
توزعون رغيظ العلم على الفقراء،
وترفعون ألوية القوة والسلام..
نعم سادتي.. أنتم الأولياء حقاً!
فعليكم من الله السلام!

محبكم: فريد الأنصاري))

واستمع إليه وهو يهدي إليهم خلاصة عمره الجميل
قبل موته الجميل:

((إلى حمال رسالات القرآن..
السالكين بها إلى الله، تعبدوا وبلاغاً..
المكابدون بها محن هذا الزمان!
إلى بلابل الليالي الخضر..
المرتلة خوفها ورجاءها بمحاريب السحر!
إلى طلائع الخيول الغبر..
المورية بسنايها لهيب الفتح المبين
سلاماً وأماناً للعالمين!))

إلى أجيال الشباب الصادق المؤمن.. «الذين
يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا
يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله
حسيباً» (الأحزاب: 39)

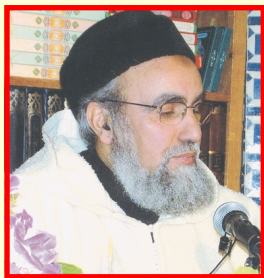
إليكم سادتي.. أهدي هذه اللوعات..!

خادمكم المحب: فريد الأنصاري))

ألا فهنيئاً لك أيها الولد البار الفريد، بهذا العمر العريض،
والأثر المديد، والذكر الحميد.

وهنيئاً للجيل القرآني الفريد، بهذه الخدمة لأهل
القرآن المجيد.

والحمد لله القدير على أن يهب من جديد، ألف
فريد وفريد، تزكية لآثار فريد.



أ. د. الشاهد البوشيخي

فريد وما أدراك ما فريد! ألقى السمع وهو شهيد، فصار له بصر
حديد، ونظر شديد، وقلب مثل السراج يزهر فريد.
«إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
السمع وهو شهيد» (ق: 37)

فريد وما أدراك ما فريد! أنجد وأغار، وسار مع الرفيق حيث سار،
ثم أبصر صراط القرآن فصيح المسار. «إِنْ هَذَا
القرآن يهدي للتي هي أقوم...» (الإسراء: 9)

فريد وما أدراك ما فريد! اشتاق فأعنت، وذاق فأعنت، واحترق
فأشرق. ((ومن احترقت بدايته، أشرقت نهايته))

فريد وما أدراك ما فريد! قرأ فتعلق، وعلم فتحقق، وجاهد
فتخلق، ثم اتقى فارتقى... «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
لَنَنُحْدِثَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
المحسنين» (العنكبوت: 69)

فريد وما أدراك ما فريد! عاشق القرآن الفريد، ورافع راية
القرآن المجيد، ومتلقي رسالاته العتيد؛ حمل
((رسالة القرآن))، وترقى بالقرآن في ((منازل
الإيمان))، وتدبر القرآن فأبصر ((بصائر القرآن))
وجلس وجالس، ودرس وتدارس، ودعا إلى ((مجالس
تدارس القرآن)) والانطلاق ((من القرآن إلى
العمران))، ولم يلق محبوبه إلا بعد أن استخرج
عدداً من رسالات الهدى المنهاجي من عدد من سور
القرآن.

فريد وما أدراك ما فريد! اجتباه ربه وهده، وأعدّه إعداداً
لخدمة كتاب مولاه؛

أتم عليه نعمة الأداة العلمية؛ فكان حافظاً لكتاب
الله عز وجل، متين التكوين في العلوم الشرعية
واللسانية.

وأتم عليه نعمة الأداة البيانية؛ فكان من أمهر المهرة
وأخبر الخبراء باللسان العربي، تبيناً وبياناً، شعراً
ونثراً.

وأتم عليه نعمة الأداة المنهجية؛ فكان معلماً
((أبجديات البحث في العلوم الشرعية))،
وخريته الباحثين في المصطلح، قد محصاه
((المصطلح الأصولي عند الشاطبي)) تمحيصاً.
وأتم عليه نعمة الأداة الخلقية؛ فكان العبد الرباني
المخبت، الحامل لـ ((قناديل الصلاة)) إلى
((الباحثين عن مشافي الروح، المثقلين بجراح
الذنوب مثلي))

وأتم عليه نعمة الروح الشفاف، والإحساس المرفه،
والشوق العارم، والعروج الدائم، إلى ما فيه رضوان
مولاه.

فتأهل بذلك ومثله تأهيلاً خاصاً للقنوت في محراب
القرآن، حتى صح لديه الميزان، وأكرمه الله الأكرم
بالفرقان، فبدأ يزن بالقرآن، ويبصر بالقرآن،
ويدعو بالقرآن إلى القرآن.

فريد وما أدراك ما فريد! إنه فاتحة الجيل القرآني الفريد،

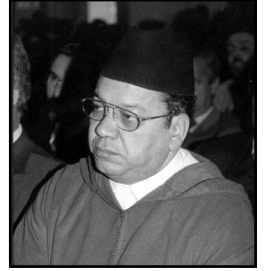
الجيل الراسخ الناسخ،



محور : كلمات تأيينية

- | | | |
|--------------------------|---|--|
| د. مصطفى بنحمزة | ✍ | ■ مصباح انطفاؤلسان سكت |
| | | ■ كلمة الوفد التركي |
| | | ■ كلمة الأستاذ فتح الله كون |
| | | ■ كلمة د. حسن أوريد |
| د. إحسان قاسم | ✍ | ■ بعض الخواطر عن أخينا الراحل فريد الأنصاري رحمه الله |
| د. مسفر بن علي القحطاني | ✍ | ■ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله أنموذج فريد للنصرة الدعوية |
| د. ميمون بريسول | ✍ | ■ أحقا خبا من مغربنا العزيز نوره؟ |
| د. محمد السبسي | ✍ | ■ من وحي الصحبة |
| د. إدريس مولودي | ✍ | ■ أشارك تقول : ما رحلت |
| د. محمد العمراوي | ✍ | ■ طوبى لـ عرجون إلى الخلد طامح |
| د. محمد محتريم | ✍ | ■ إن فريدا كان أمة |
| د. عبد الكبير حميدي | ✍ | ■ رجل فريد بين عمر فريد وموت فريد |
| د. محمد بوهو | ✍ | ■ لقد أعطى روحا جديدة لعمل المجلس العلمي وفروعه |
| د. نبيلة عزوزي | | ■ من قال : إن القناديل تطفأ؟! |
| د. أحمد بن محمد العمراني | ✍ | ■ مصباحك لن ينطفئ؟ |
| د. إدريس الأنصاري | | ■ رجل العالم الجليل الزاهد حامل الرسالة القرآنية : فريد الأنصاري، فهل من معتبر؟! |
| د. امحمد العمراوي | ✍ | ■ رحيل رجل من أهل الله |
| د. أحمد العزوي | ✍ | ■ مصيبة موت العلماء : دروس وعبر لأولي الأبصار من وفاة الدكتور فريد الأنصاري |





د. مصطفى بنحمزة
رئيس المجلس العلمي بوجدة

مصباح انطفأ ولسان سكت



كما نقول أمة معطاء «إذا مات منها

المسعى، وتلد الذين يوحدون القضية. وفيكم وفي شباب هذه المدينة وفي شباب المغرب وفي رجاله وفي نسائه أن يستشعروا ضرورة اللحظة وما تستدعيه.

إن الأستاذ فريد الأنصاري إذ ودعاه فإنه ترك مشاريع يجب أن تكمل، وترك مسؤوليات يجب أن ننتبه إليها لأننا لا نقتل بتجديد الآلام ولكم الجروح وإنما نتخذ العبرة في الموقف. فمشروعه في التعريف بالقرآن وخدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أيها الإخوة الحضور
باسم العلماء الحاضرين والعلماء غير الحاضرين في هذا المشهد المهيّب نعزيكم ونتقبل العزاء أيضا منكم لأنّ الفقيه رجلٌ مثا، رجلٌ من رجال الصف الأول الذين حملوا رسالة الكلمة والذين خدموا الإسلام بحكمة، وبكل ما أوتي من قوة الإقناع، ومن قدرة على جمع الناس ومن قدرة على الدخول إلى العقول والقلوب المؤمنة.
أيها الإخوة :

إن الموت هو مصيبة وقد سماه الله كذلك حين قال : «مصيبة الموت». ولكن المصيبة حين تكون مصيبة في العلماء، فإنها شيء آخر، «فليس هلكه هلك واحد ولكنه بناء قوم تهدم». نحن نتالم جميعا لا لفراق الجسد، وإنما نتالم لأن مصباحا انطفأ، ولأن لسانا سكت، ولأن

نحن نتالم جميعا لا لفراق الجسد، وإنما نتالم لأن مصباحا انطفأ، ولأن لسانا سكت.

ولأن قلبا مفعما بمحبة الإسلام وبمحبة هذه الأمة وبالشوق إلى الغد الكريم للإسلام

مع هذه الأمة المسلمة. هذا المنبر الذي توقف، هذا اللسان الذي سكت هو الذي نتالم

الآن لفراقه ونبكي لبكائه، ونسأل الله له القبول والثوبة وأن يدخله في الصالحين

قلبا مفعما بمحبة الإسلام وبمحبة هذه الأمة وبالشوق إلى الغد الكريم للإسلام مع هذه الأمة المسلمة. هذا المنبر الذي توقف، هذا اللسان الذي سكت هو الذي نتالم الآن لفراقه ونبكي لبكائه، ونسأل الله له القبول والثوبة وأن يدخله في الصالحين.

أيها الإخوة :

هذه المدينة ككل مدن مغربنا. هذه المدن لها عنوان كبير ألا وهو عنوان خدمة القرآن وخدمة الشريعة. وفي كل شبر من هذه الأرض جماهير من العلماء خدموا هذه الشريعة، وكتبوا وتركوا لنا تركة كبيرة وشرفا نعتز به الآن. وهذه المدينة تبكي الآن فقدان عالم من علمائها وأنها تحس الآن بالحاجة الماسة إلى عطائه في مثل هذه اللحظة. نحن الآن أشد ما نكون إحساسا بعلمائنا الذين يقفون على حدود حماية هويتنا ويدافعون عن إيماننا، ويبلغون القرآن بالأسلوب الذي كان فقيدها الأستاذ فريد الأنصاري يبلغ به، كان رحمه الله يتذوق القرآن ويخلق في أجوائه ويحييه للناس. وكانت دروسه دروسا نورانية. دروسا تخاطب القلوب والعقول معا، فلذلك تكون الحاجة إليه ماسة في مثل هذه اللحظات التي نودعه فيها. ولكن مع ذلك أيها الإخوة، نعتقد أن أمتنا ليست عقيما وأنها تلد دائما الرجال، وتلد الذين يواصلون

المسلمين، فهذه رسالة ولا شك هي رسالة حاله. فهو لا يتحدث ولكنه يقول لأنه عاش لهذه الأمة، فيجب أن تعيش أيضا الأمة لهؤلاء الخلف. نسأل الله لها السداد والرشد.

نحن أيها الإخوة في آخر هذه الكلمة لا نملك إلا أن نعبر عن الشكر عن هذا الإحساس الذي يغمر قلوب العلماء حينما يرى هذه الأفواج، هذه الجماهير تحضر وتشيع وتتالم وتتنافس على الحمل وعلى حشر الجسد لأن هذه الأمة تقدر علماءها وتوقن بأن العلم الشرعي هو غدها ولذلك تبادل علماءها هذه المحبة وتتالم لفراقهم. فنشكر هذه الجماهير التي تحمل هذا التقدير وهذا الوفاء للعلماء، ونشكر كذلك جميع الذين صحبوا الفقيد في مرضه وكانوا معه وساعدوه وانتبهوا إلى آلامه. فنشكر جميعا الذين حضروا من جهات متعددة من هذا المغرب ليقدّموا العزاء ونشكر

إن له رسالة لدينا وهي أسرته التي يجب أن نخلفه فيها بخير وعناية وأن نهتم بها وأن نرعاها وأن نري كيف أن الإسلام يعلمنا الوفاء ويعلمنا كيف أن الذي يذهب إلى الدار الآخرة لا يضيع أهله بين المؤمنين وبين المسلمين، فهذه رسالة ولا شك هي رسالة حاله. فهو لا يتحدث ولكنه يقول لأنه عاش لهذه الأمة، فيجب أن تعيش أيضا الأمة لهؤلاء الخلف. نسأل الله لها السداد والرشد.

أيضا جلالة الملك محمد السادس الذي شاركنا أيضا برسالة تعزية وجهها إلى هذا الجمع.

فنشكر الجميع ونسأل الله سبحانه وتعالى الرحمة والمغفرة لأخيينا فريد وأن يتقبله في الصالحين ونسأل الله تعالى أن ينبت ذريته نباتا حسنا وأن يخلفهم الله بخير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سيد قام سيد، «قؤول بأقوال الرجال فعول».

فالعلماء ولله الحمد متوافرون والإرادة موجودة والأجواء مناسبة. فلذلك يجب أن نواصل المسعى ونواصل المسير.

ثم إن له أيضا رسالة لدينا وهي أسرته التي يجب أن نخلفه فيها بخير وعناية وأن نهتم بها وأن نرعاها وأن نري كيف أن الإسلام يعلمنا الوفاء ويعلمنا كيف أن الذي يذهب إلى الدار الآخرة لا يضيع أهله بين المؤمنين وبين

كلمة الوفد التركي



أصالة عن نفسي ونيابة عن إخواني في الوفد التركي أقدم بأحر تعازينا إلى إخواننا في المغرب. فهو ليس فقيد المغرب فقط وإنما هو فقيد الأمة. البارحة، حين كنت أعبر عن مشاعري قلت : قبل 1400 سنة زار إسطنبول الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ولكنه لم يتركنا وبقي هناك حيث دفن. ولكن أهل المغرب استأثروا بأبي أيوب الأنصاري هذا في الواقع، ولكن الله سبحانه استأثره لنفسه.

وأريد أن أبلغكم تعازي الشعب التركي أرسل بها الأستاذ فتح الله كولن الذي كان يكن للأستاذ فريد الأنصاري عميق المحبة وكان بينهما تواصل متميز جدا جدا وأظن أنكم قرأتم في الآونة الأخيرة مقالة : «رجال ولا كأي رجال» هؤلاء الرجال الذين يتحدث عنهم هم الذين يمثلهم الأستاذ فتح الله كولن.

كلمة الأستاذ : فتم الله كولن

موت العالم موت العالم

«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»

لقد وصلني نبأ وفاة أحد أبرز مفكري الإسلام في العصر الحديث، العالم الكبير والأديب الأريب الورع النقي فضيلة الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري. وإني ليغمرني بالغ الحزن والأسى لفقدان رجل وأي رجل تنطبق عليه المقولة الحكيمة : «موت العالم موت العالم» وإذ أتضرع إلى المولى الرحيم أن يتغمده برحمته ويغمره بمغفرته.

أسأله تعالى أن يمد رفيقته المخلصة بالصبر الجميل ويحسن عزاء سائر ذويه ورفقاء دربه من علماء المغرب ومفكره الأجلاء وشعبه المخلص الشقيق.

بارك الله فيكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



بعض الخواطر عن أخينا الراحل فريد الأنصاري رحمه الله

كلمة د. حسن أوريد (*)

**مؤرخ المملكة ووالي جهة
مكناس تافيلالت سابقا**



د. إحسان قاسم الصالحي
مدير مركز النور - اسطنبول

كنا أنا والأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله رحمة واسعة مدعوين للمشاركة في ندوة دولية نظمته ندوة العلماء في "سارواك" بالاشتراك مع الجامعة الوطنية الماليزية UKM وكان موضوعها "دور العلماء في الوحدة الإسلامية" وذلك في 13-16 يوليوز سنة 2003م فانعقدت الندوة في فندق "هوليدي إن" في مدينة (كوجينك) وهي عاصمة أيلالة سارواك التي هي إحدى الولايات الخمس لماليزيا. وقد بقينا معا طوال خمسة عشر يوما ليل نهار، وما رأيت منه أنه ترك ليلة صلاة التهجد قط ولا الأذكار بعد الصلوات وبخاصة صلاة الفجر حيث كان له أذكار طويلة.

افتتحت الندوة من قبل مسؤولين كبار وجمع غفير من الأساتذة والعلماء الذين أتوا من مدن شتى من البلاد. وأخذت أخبار الندوة الصفحة الأولى في صحافتهم. قدم كل منا بحثه وترجم إلى اللغة المالوية. وأعجب بهما الحاضرون، ولاسيما أننا أتينا من بلاد بعيدة عنهم. حتى إن ملك الأيالة أكرمنا بدعوة عشاء ملكي فاخر. ثم عدنا معا إلى كوالالمبور. وألقى الأستاذ فريد محاضرة قيمة لطلاب الدكتوراه والمجستير في الجامعة الإسلامية العالمية حول تاريخ المقاصد بدءاً بالإمام الشافعي والغزالي والشاطبي وغيرهم ومن ثم بيان موقع النورسي فيه.

ومن ثم دعانا أساتذة كلية الدراسات الإسلامية للجامعة الوطنية إلى مخيم أعدوه على قمم الجبال المحيطة بكوالالمبور. فاستجبنا للدعوة. كان المكان جميلا بكل معنى الكلمة وهادئا جدا ومعداً لهذا الغرض من أماكن مبيت وقاعات محاضرات ومسجد وغيرها من المباني التي تتطلبها مثل هذه الأماكن. وفي الحقيقة نعجز عن أن نعبر ما في أعماقنا من رغبة ملحة في الاندماج بهذا المدى من الجمال والجلال، وكأنه سمفونية تغريد تحيط بنا من كل جانب، فما كان لنا إلا اللوإ إلى التسبيح بالقلب وباللسان أو بالنظر أو بالجوارح الأخرى، فالجمال الجليل يحرك مكان القلب ويهيئها. وكان أخونا الفاضل رحمه الله يكرر علي الفرق بين التدبر والتفكير مستندا إلى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

بقينا معهم يومين كاملين وأرادوا منا أن نتفرغ من كل شيء إلا صلاة

بسم الله الرحمن الرحيم كنت أود أن أكون حاضرا بين ظهرانيكم لألقي هذه الشهادة في حق علم من أعلام الفكر، وفقه ضليع، وأستاذ نحير وأديب لا يشق له غبار، فقيدا فريد الأنصاري السجل ماسي أسكنه الله فسيح الجنان. وشاعت ظروف ألا أحضر معكم جسدا، وأنا معكم قلبا ووجدانا. ولا يسعني إلا أن أثنى هذه المبادرة التي أقدمت عليها جامعة مولاي إسماعيل والمجلس العلمي بمكناس برا بواحد من أبنائها البررة.

كنت عرفت الفقيد وهو يكتب مقالاته ذات الجرس الأدبي في جريدة "الصحة"، ولم أكن أقدر أنه يفعل ذات الشيء متابعاً لما أكتب، إلا حين اطلعت على كتاباته العلمية، ووجدت فيها شهادات لما كنت أرى آنذاك. كانت الشقة بيننا بعيدة فهو لم يحد عن الحياض الوجداني الذي كرع منه بأرجاء سجل ماسية، وكنت أرى آنذاك أن هناك سبلا أخرى، أو سبيلا آخر، هذا الذي أشرقت أنواره الفكرية والعلمية مع الغرب.

وشاعت الأقدار أن نلتقي في نفس المكان، وقد انزاح ما كان يفرقنا وتبدد ما كان يحجبنا بحاضرة مكناس الفيحاء. ولن أنسى فضله علي، إذ هو من أرشدني إلى رسائل النور لبديع الزمان النورسي من خلال رائعته الأدبية: "آخر الفرسان". وقد فهمت بعدها أن صاحبنا يغور في الأعماق ويحج في الأفاق. يغور في أعماق مواجيدته التي نسلها من نبع تافيلالت القдах، ويحج في آفاق ما تنأى إليه اجتهد فرسان الإسلام. وكانت استنتاجاته عميقة المدى جرت عليه أحيانا غضبات وشطحات.

كان رحمه الله ذا فكر مكثف لا يسفر عن غناه كله لأول قراءة أو عارضة. وكان يصدر عن وعي عميق لواقع الحال وإطلاع واسع على جهابذة الإسلام، وعزيمة قوية وغيره جياشة في أناة وقصد. وما أحوجا أن نشتر شهادا من الاجتهادات والمقاصد والفطرية وفي "مجالس القرآن" وفي كتاباته كلها.

فليرحمه الله وليسكنه فسيح الجنان، مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

(*) أرسل هذه الكلمة في الحفل التابيني الذي نظمته جامعة المولى إسماعيل والمجلس العلمي بمكناس

الصبور على المتابعة والاستقراء، يكتشف أن الأمر يتعلق (بفقهه) خاص للكون والحياة والمصير! إلا أنه فقه أو (فلسفة) مستنبطة من القرآن الكريم، سواء فيما يتعلق بمصطلحاتها ومفاهيمها، أو ما يتعلق بقضاياها وإشكالاتها؛ ومن هنا عمق الجهاز المفهومي لدى بديع الزمان.

● سؤال آخر: نرى في رسائل النور الأحداث التي مرت بالنورسي أو مر بها، بل حتى الكلام عن أهل بيته أو طلابه مما لا نراه في تفاسير أخرى، وهذا يدفعنا إلى القول أنها قاصرة على فترة معينة، أي لابد لنا من رسائل أخرى لهذا العصر أيضاً.

فكان الجواب حاسما وطريفا في الوقت نفسه:

نعم، إن النورسي قد سجل سيرة حياته في الرسائل، ذكرها لتوظيفها في بيان أهمية الإيمان وبيان عظمة القرآن وأحقيته وكيف أنه أنقذه من ورطات وهموم، هذا أولا، فهي إذن ذكر توظيف

الجماعة وتلاوة القرآن وقراءة في كتاب مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان" لبديع الزمان سعيد النورسي. فأصبحنا في تلك الأيام الجميلة بين أحضان تلك المناظر الساحرة وكأننا في خلوة تدبرية عميقة. وختمت تلك الأيام اجتمعنا على صورة حلقة ووجهوا لنا أسئلتهم وذكروا لنا انطباعاتهم. وسأوجز أجوبة الأستاذ فريد على الأسئلة التي وجهت إليه:

● السؤال الأول: نحن أساتذة التفسير وعلوم القرآن في كلية الدراسات الإسلامية نرى أن رسائل النور للنورسي لا تشبه التفاسير التي ندرسها علما أنه يقول عنها أنها تفسير حقيقي للقرآن الكريم. فاي نوع من التفسير؟

فأجابهم الأخ فريد وكان بين يديه قدح ماء فأخذه ورفع وقال: لنفرض أن هذا القدح مملوء عسلا، فيأتي الكيميائي الحاذق ويحلل العسل ويكتب أنه يتركب من: سكر الفلاني بكذا

آخر صورة للد. فريد الأنصاري مع د. إحسان قاسم بالمستشفى باسطنبول بتاريخ 2009/09/17



وليس سرد تاريخ. هكذا ألف النورسي رسائل النور، عبر حياة متنقلة من سجن إلى سجن ومن منفى إلى آخر! ما بين رجل العلم والسياسة، الذي هو: (سعيد القديم)، إلى رجل القرآن والتربية، الذي هو (سعيد الجديد)؛ كان النورسي ينسج غلائل النور عبر رسائله النورية.. كل ذلك أدى إلى أن تكون رسائل النور ذات تداخل موضوعي وحيوي في الحياة، نعم فيها تسجيل لمراحل من عمر النورسي الحافل المديد: (83 سنة)، التي وظفت لبيان حقائق القرآن. وفيها نصوص وقضايا لا يتم فهمها إلا بردها إلى أحداث وقوعها، كما أن فيها جزئيات هي لا يمكن فهمها إلا بإدخالها ضمن كليها!

وثانيا: إن القرآن الكريم كما هو معلوم لديكم قد أنزل ليلة القدر كله إلى بيت العزة، ولكن تنزل نزولا في مهلة منجما وفق الحوادث في ثلاثة وعشرين عاما. ولما كان القرآن يخاطب العصور كلها فحقيقته وأسراره تتوجه أيضاً إلى كل عصر وفق متطلبات ذلك العصر؛



بعض الخواطر.. (تتمة)

فتفاض إلى قلوب العارفين والصالحين من العلماء ويلهمون بها ويبينونها إلى أبناء عصرهم. وقارئ الرسائل قراءة جادة يجد أنها تمثل حقائق القرآن المتوجهة لهذا العصر، هذا ثانياً. ولذلك فإنك لما تقرأ كلمات رسائل النور؛ تشعر كأنما هذه الرسائل قد كتبت لزماننا هذا، أو كأنما كتبت لك وحدك إذ أنها تكشف ما في نفسك من استفسارات. حتى تجد أحياناً كثيرة أن رسائل النور تسبق إليك بجواب لسؤال يدور في خلدك! فتنتشلك من ظلمات الحيرة والاضطراب، وتوقظ وجدانك: أن افتح عين قلبك وأذن روحك. وشهود بصيرتك لتتلقى نور القرآن بنفسك، لا بواسطة غيرك.

أما ثالثاً: فإننا إذا أنعمنا النظر في الرسائل نجد أنها نسيج محبوك لتجليات الأسماء الحسنى حبكاً محكماً. حتى يمكننا القول: إن لُحمة الرسائل وسداها هي الأسماء الحسنى وبيان معانيها المتجلية في الكائنات والأحداث، فما من رسالة إلا وفيها شرح وتوضيح لتجلي اسم أو لأسماء من الأسماء الحسنى؛ وبهذا تشرح المعاني المضمرّة في حوادث الكون والأحداث المحيطة بنا. ومن هنا تغمر الطمأنينة والسكينة صدور قرائها بل تطفحان على وجوههم لما أبصروا من حقائق الأسماء المتجلية في الأحداث المحيطة بهم. ومن هنا نقول: إن الرسائل وحقائق القرآن التي فيها باقية بقاء تجليات الأسماء الحسنى على هذا الكوكب. ومتى ما أنهت تلك الأسماء وظيفتها عليه تنتهي وظيفة الرسائل أيضاً.

وهنا أنهى الأستاذ فريد أجوبته وأضيف هذه الخاطرة استكمالا للموضوع:

قبل سنوات حضر الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد اسطنبول وألقى محاضرة قيّمة على الشبان العراقيين الساكنين فيها. كانت المحاضرة تدور حول ضرورة قراءة الكتب الإيمانية وبخاصة رسائل النور. وفي نهاية المحاضرة قال أحد الحاضرين من دون استئذان: إن أفق النورسي ضيق.. فتمرّ لون الأستاذ محسن ووجهه على هذا الكلام الذي أطلق جزافاً، وردّ عليه بأسلوب علمي جيد وقال:

إن أفضل من كتب عن الأسماء الحسنى هو الإمام الغزالي بلا منازع، وذلك في كتابه "المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى" رغم وجود كتب أخرى نفيسة في هذا الباب. فالإمام الغزالي فاق الآخرين لتناوله كل اسم من الأسماء بالشرح والإيضاح ونصيب الإنسان من هذا الاسم، وهذا هو سر تفوق هذا الكتاب على نظائره.

والآن لننظر كيف تناول النورسي تجليات الأسماء الحسنى؛ لقد أخذ النورسي كل اسم من الأسماء ونصيب كل موجود من الموجودات من هذا الاسم وليس الإنسان وحده؛ بمعنى أنه بين أن تجليات الأسماء تستولي على الوجود كله، فأينما تولّ وجهك تجدها وأينما تنظر تراها مثلما قيل:

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

فهل هذا يا أخي الحبيب أفق ضيق؟ أم واسع سعة الوجود كله ببركة القرآن الكريم.

وهكذا انتهت تلك الأيام القصيرة زمن الطويلة معنى. ولدى عودتنا لما كنا في الطائرة بدأ ينظم قصيدة لا أدري أية قصيدة كانت إلا أنني كنت أسمع منه تتمات وترنيمات ترن في أذني متناغمة تناغم الموسيقى.

ولعل خاطرة أخرى تفيد الباحثين: سمعت منه شرحاً لم أسمعته من قبل حول المجدد الذي يبعثه الله سبحانه على رأس كل مئة سنة، كما ورد في الحديث الشريف. حيث قال: إن مئة سنة هذه عامة، ولكن قد يأتي زمان فيه من التخريب والدمار ما يستوجب بعث مجدد ولما تكتمل المئة، أي يقصر هذا الزمان عن المئة، وذلك لشدة الحاجة. وربما يطول أكثر من مئة سنة لعدم

يقول رحمه الله تعالى:

لما تقرأ كلمات رسائل النور؛ تشعر كأنما هذه الرسائل قد

كتبت لزماننا هذا، أو كأنما كتبت لك وحدك إذ أنها تكشف ما في نفسك من

استفسارات. حتى تجد أحياناً كثيرة أن رسائل النور تسبق إليك بجواب لسؤال يدور

في خلدك! فتنتشلك من ظلمات الحيرة والاضطراب، وتوقظ وجدانك: أن افتح

عين قلبك! وأذن روحك! وشهود بصيرتك! لتتلقى نور القرآن

بنفسك، لا بواسطة غيرك.

الحاجة. ولم أستفسر منه هل هناك علماء ذكروا هذا الكلام أم لا؟.

الرسالة الأخيرة وقد أرسل لي الأخ فريد رحمه الله هذه الرسالة الإلكترونية وهو طريح الفراش في مستشفى "سما" باسطنبول، وهي تعد آخر رسالة أتلّقاها منه: 10/10/2009 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فهذا نص رسالة وصلتني من مهندس شاب من الخليج أيكنتني وسرّرتني، أبكاني فيها حديث عني ذكرني بذنوبي، وسرّني فيها تعرف الشاب على رسائل النور والأستاذ النورسي ثم على الأستاذ فتح الله وانبهاره بهما، وإليك نص الرسالة كما وردت:

شيخي أين أنت؟ أتترك طيفاً ودياً وتختفي؟ هذه الجبال في عمان من يرويها؟ هذا القلب التائه من يأخذ بيده للنور؟

شيخي هذا ما كتبت في منتداكم: بسم الله الرحمن الرحيم تحية طيبة وبعد... معكم أخوكم بدر الحارثي من سلطنة عمان.

لقد شاعت الأقدار الإلهية أن ترشدني إلى تفسير رؤيا رأيته وأنا في بداية الشباب والبلوغ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ وفي نهاية الرؤيا رأيت رجلاً عليه سمت العلماء يرتدي قبعة بيضاء صغيرة -نسُميها في عمان قبعة الحجاز لأنها تأتي من السعودية- وله لحية خفيفة يرتدي ثوباً أبيض، له أنف بارز وهيئته تدل على التأهب والاندفاع. بقيت صورته في ذهني أعواماً وأعواماً وتخرجت من الثانوية وكلية

الهندسة ثم أنا أنهى عامي الثالث كمهندس في منشأة نفطية.

تلك السنون قضيتها باحثاً عن الطريق الذي يريده الله للبشر، حفظت الفقه ونسيته بعد أن فترت الهمة وقمت بالدعوة إلى الله وتخبطت في ذلك، وقرأت وقرأت وقرأت كل ما يقع في يدي من كتب المذاهب الإسلامية وكتب الفلسفة بجميع اتجاهاتها وحاولت نسيان هذا السؤال الوجودي وأنشغل بالدراسة ثم العمل.. لكن لا مناص!

قبل ثلاث سنين اهتديت إلى أن الحقيقة والطريقة هي في القرآن، نعم أيها الأحبة القرآن، بكل بساطة وبكل عظمة، هذا ما يريده الله وما يدعو إليه الرسول ﷺ.

كنت أسمع قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ لكني كنت

غافلاً عن ذلك جاهلاً به فاقدا لهذا التأثير على حياتي، أصارع شهواتي بقولي لها هذا حرام فلا ترتدع أقول لها النار لا تخاف أقول لها الجنة فلا ترتغب.....!!!!

القرآن حينما نزل إلى قلبي وتغلغل أدركت أن هذا القرآن هو الحل للبشرية هو الطريق وهو المنهاج الرباني..

قبل سنة من الآن قرأت عن مفكر تركيا العظيم فتح الله كولن فقرأت له جميع ما وصلني من كتبه.

انقشعت كثير من الغشاوات وصححت كثيراً من الأخطاء..

كان فتح الله كولن كثيراً ما يتحدث عن سعيد النورسي.. بحثت في الإنترنت عن كتب له فقرأت العجب العجاب -شمات و لمعات وأنوار وغيرها- أحببته بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

د. محمد الأمين

في ذمة الله



انتقل إلى عفو الله ورحمته الأستاذ محمد الأمين (أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهران -فاس) مساء يوم السبت 1431/12/19 الموافق 2009/12/19م.

وبهذه المناسبة الأليمة تتوجه أسرة المحبة بأحر التعازي والمواساة لأسرته الصغيرة والكبيرة وأصحابه راجين الله عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه، ويرزق أهله الصبر والاحتساب.

و«إنا لله وإنا إليه راجعون»

في أحد الأيام دخلت أحد المكتبات المفتوحة حديثاً في مسقط -عاصمتنا- رأيت نفسي تساق إلى قسم الكتب الدينية الحديثة فجمعت كتب سلسلة النور الخالد لفتح الله كولن، شدّني كتاب أسود هو كتاب "آخر الفرسان" ..

من هناك تواصلت المعرفة التدريجية لسعيد النورسي ثم الافتتان بسيرته ثم بالمؤلف الذي كان يعيش مع بطل الرواية لحظة بلحظة كأنه هو نفسه..

بدأت البحث عن كتب أخرى له فرأيت له مقالاً في مجلة حراء -اشتريتها من دبي- فقلت دعني أبحث عن صاحب هذا القلب الجديد للأمة، فوجدت الكتب والمحاضرات التي ما شيعت من إعادة قراءتها وإعادة سماعها وتوزيعها على أهلي وأصحابي، خصوصاً كتاب "المجالس" ..

في رمضان هذا وجدت محاضرات للشيخ في اليوتيوب.... وبالحال من رؤية: عشر سنوات وأنا أبحث عن هذا الرجل ورأيت بنفسي الهيئة -فيما بقي لي من صورة ضبابية من الرؤيا- أخيراً.. والله خير الرازيين، يرزق في الوقت الذي يريد وفي المكان الذي يريد.. فله الحمد..

الله أكبر -الله أكبر -الله أكبر اللهم لك الحمد والشكر ما هذا العلم، ما هذا القلب، ما هذه البصيرة الحاضرة؟

حملت ما شاء الله من هذه المحاضرات -من تسجيلات أبو هاجر الذي حاولت الاتصال به على الرقم الذي وضعه على الفيديو و لم أفلح- ثم دخلت الاعتكاف السنوي في العشر الأواخر من رمضان على أن أبحث عن تواصل مع هذا الشيخ الجليل بعد العيد..

أيها الأحبة... من يساعديني في الوصول إلى الشيخ في المغرب؟ من يساعديني في الحصول على تسجيلاته -صوت وفيديو- بأي مبلغ يريده؟

من يساعديني في الحصول على ما سطره مداد الشيخ -غير الموجود في النت-؟

من يبلغه مني السلام والشكر والدعاء بالعافية؟ انتهت

قسمة الاشتراك

الاسم الكامل:
العنوان الكامل:

الاشتراك السنوي (20 عدداً):

■ داخل المغرب: 60 درهما.

■ خارج المغرب: 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الاشتراكات باسم:

■ جريدة المحبة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو جريدة المحبة على حساب

وكالة البنك الشعبي (الموحدون -فاس) رقم:

211113412900014

■ أو الأستاذ المفضل فلواتي على الحساب

البريدي رقم: P 11329 الرباط.

أما قسمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى

مقر الجريدة، على العنوان التالي:

جريدة المحبة (قسم الاشتراك):

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات

فاس - المغرب



الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله أنموذج فريد للنصرة الدعوية



د. مسفر بن علي القحطاني
رئيس قسم الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

لم اعرف الدكتور فريد الأنصاري إلا من خلال بعض كتبه النفيسة التي تشوقك للمطالعة والاستزادة النهمة عند تذوق أسلوبه الفريد ونفحاته القرآنية وتأملاته العميقة في نصوص الوحي وتنزيلها على الواقع المشهود، ولم أشرف بلقائه إلا في ندوة قصيرة في إمارة الشارقة قبل أربع سنوات تقريبا في مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، وهو بحق عالم فريد جمع بين البيان الفكري والبلاغ العملي، والترشيد النقدي لممارسات العمل الإسلامي المعاصر، خصوصا كتاباته الفائقة حول الظواهر الدعوية التي عالجها بمشروط الطبيب الفَنان الماهر الحذق، فهو الخبير الشاهد بواقع العمل الحركي، والناظر الفاحص في معالجات القرآن والسنة لتلك الوقائع، ولا يُفتح على أحد في ذلك إلا لمن

تشبعت روحه بالزاد الإيماني وخلص قلبه من شوائب الأهواء وصدق في نصحه لإخوانه السالكين أو المتعثرين في المسيرة الإصلاحية. وأعتقد أن الخسارة بفقد العالم الجليل الدكتور فريد الأنصاري لا تتحقق في فقدته وغيابه عن الحياة فحسب، بل في فقد الناصح الأمين والمعالج الرصين لأخطاء الحركة وتصحيح مساراتها نحو الرشد

الغياري الناقدين والمجددين للبعث الإسلامي في العالم كله. والواقع الإسلامي المعاصر وكذا المستقبل في أمس الحاجة لأصحاب القلوب الكبيرة التي تغمر من حولها في فيوض المحبة، وتشارك الجميع في أهداف الدعوة، ولا يهمها أن جاء الحق على لسانها أو على لسان غيرها مادام الأمر في سبيل الله وفي خدمة شرع الله تعالى.. إن أولئك الدعاة الكبار -ولا

هو بحق عالم فريد جمع بين البيان الفكري والبلاغ العملي،

والترشيد النقدي لممارسات العمل الإسلامي المعاصر. خصوصا كتاباته الفائقة حول

الظواهر الدعوية التي عالجها بمشروط الطبيب الفَنان الماهر الحذق، فهو الخبير الشاهد بواقع العمل

الحركي، والناظر الفاحص في معالجات القرآن والسنة لتلك الوقائع، ولا يُفتح على أحد في ذلك إلا

لمن تشبعت روحه بالزاد الإيماني وخلص قلبه من شوائب الأهواء وصدق في نصحه لإخوانه

السالكين أو المتعثرين في المسيرة الإصلاحية.

والاعتدال، وهذا الجانب من أهم الجوانب التي يحتاجها أي عمل إسلامي جاوز مرحلة الطفولة وعانى من المراهقة وبدأ يتلمس ركن النضوج والتكامل مع التجارب العالمية القريبة أو البعيدة، وهذه الخسارة العلمية لشخص الدكتور الفريد أكبر من القطر المغربي، بل هي خسارة ظاهرة نعم كل

أخال الشيخ الفريد إلا منهم- هم فقهاء المرحلة التي تمر بها مجتمعاتنا المعاصرة وينبغي أن تكون لهم القيادة والتوجيه والإرشاد معرفتهم بالمقاصد والكليات التي لا يختلف عليها أحد، فلا يغرقون الناس في الجزئيات الخلافية الماحقة لبركة الاجتماع والوحدة، ولا يدفعون أطياف المجتمع لمصادمات

واهمة تستدعي صراعات تاريخية لا وجود لها إلا في بعض عقول عساكر الصحوة، ولهم نظرات زرقاء اليمامة في استشراف الجديد والتحوط من البعيد المغرب.. إنهم صمام الأمان المانع لكل فكر دخيل متطرف و السيف الصارم لكل عابث بأمن العباد واستقرار البلاد.. فهل بعد أولئك النفر لا نحزن إن غادرنا منهم أحد؟؟ إن عجبني بعلم الدكتور الفريد وكتاباته يدعوني لنشر هذه المنتجات الفكرية الرصينة في شرقنا الإسلامي، والمشروعات التجديدية التي تلخصت في شخصه الكريم وفكره العظيم، خصوصا دراساته العميقة حول التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، ودراسته حول الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب (دراسة في التدافع الاجتماعي)، وكتابه المختار حول البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي. إلى غيرها من كتبه التخصصية حول فقه المصطلحات ومناهج البحث العلمي.

ولا يفوتني أن أقدم شكري وإعجابي بشيخه وشيخنا الغالي الدكتور الشاهد البوشيخي على عنايته بتراث الدكتور فريد وإعادة إخراجهِ وتطويرهِ وتعميم نشرهِ في العالم كله، وكما فهِمت من فضيلة العلامة الدكتور الشاهد أن هناك برامج عدة في التعريف بهذا التراث النفيس.

وأخيرا.. أدعو الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته و يعوضنا بدلا منه. ولله ما أخذ وله ما أعطى كل شيء عنده لأجل مسمى.

يعلمون﴾(العنكبوت : 64)، سمعتك تقول : "هل سافرت يوما إلى مكان بعيد وأنت في شوق شديد... هل عدت يوما من غربتك إلى وطن الطفولة و الأحباب... صوت الحافلة وهي تقترب من الحمى... أو أزيز الطائرة وهي تشرف على تراب الأحبة... هل وجدت قلبك يدق فرحا و غبطة؟ إنها متعة الوصول"(2). لقد عرفت فلزمت، فاختر لك ربك الرحيل إليه، وأكرمك تزلأ بتشجيع مهيب، من أحبة تمنوا فداك، لتستمر صلصلة البلاغ. غير أن الحق نطق بالحق في أجمل تعبير، بفصيح التنزيل ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها﴾(المنافقون : 11) فلبيت النداء مستجيبا لنداء الله الجميل، وروحك تنصت إليه يقول ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين، يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾(النمل : 32) ونحن الأحبة سمعناك تقول : «ألم أقل لكم إن الموت جميل حقا»(3).

وإن قضى ربك فجالية الدين وحسن الدين، يامرنا أن نرد قوله تعالى ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ومعها قوله ﷺ : «اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرا منها»، وكفى بالموت واعظا والحمد لله رب العالمين.

1- "حقيقة الوحي ووظيفته" آخر محاضرة عامة القاها المرحوم في ندوة "القرآن والعمران" بتاريخ 30، 31 ماي 2009 التي نظمتها المجلس العلمي المحلي بمكناس في المركب الثقافي لوزارة الأوقاف.
2- جمالية الدين، ص : 96 - 97.
3- نفسه، ص : 99.

من وحي الصحبة



د. محمد السيسي
رئيس المجلس العلمي لعمالة مكناس

الحمد لله المعطي، الحمد لله الآخذ، حمدا موجبه الإيجاد والإعداد والإمداد، والمآب. حمدا مشفوعا بالصلاة والسلام على نبي الرحمة، معطرا بمسك مجالس السكينة، وظلال الملائكة، بما يتلى من الكتاب، وبما يردد من ذكر الله تعالى، تأبيناً لعالم فقدناه، وفاضل عاشرناه، وقدوة بلوانه، ومصلح واريناه، وداعية ما أجلاه، ونموذج في الزهد عايناه، وأسوة في الورع جربناه.

ورث الشاطبي فزكى الموروث علما، واستلهم ابن القيم، فكان أقرب رحما، وطوف بين ربانيي الأمة فشما، وحبر لآلي في العلم ومناهجه فسمما.

استوحشت من الدنيا وزهرتها، وأنست بمجالس القرآن وأهلها، وأخلصت النية والبلاغ لروادها، في المساجد، في المعاهد، في الجامعات في

المنتديات، في القنوات، في الكتب في المجالات وفي الجرائد العابرات وحتى في الفلوات، ولك مع آل عثمان جولات، مع الفرسان آخرا وفي عودتهم بشارات. كنت ضعيفا في بدنك، قويا في دينك، متواضعا في نفسك، عظيما عند ربك، كبيرا عند المؤمنين، محبوبا عند

ورث الشاطبي فزكى الموروث علما، واستلهم ابن القيم،

فكان أقرب رحما، وطوف بين ربانيي الأمة فشما، وحبر لآلي

في العلم ومناهجه فسمما

يملؤها الإيمان بكاشف الضر، وكشفه رحمة منه وامتنان. بابتهاج نستقبل تفسير سورة البقرة وآل عمران، تخني أخواتها في مجالس القرآن، وها هو يزدان اللقاء الخامس للقرآن، بطلة الأستاذ وهو يؤسس لعمران القرآن، بحقيقة الوحي

ووظيفته(1) في بناء الإنسان، تختم بجمالية الموت وذوقيتها وماهيتها بتجربة الذات، كنت تودع دار السفر إلى دار المقر، وقد أدركت أن لجمال الموت في الإسلام متعة الوصول، تزفك ملائكة الرحمة وهي تقول : «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فإدخلي في عبادي وإدخلي جنتي﴾(الفجر : 32). وإن حم الرحيل شوقا إلى الوطن الأم ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا

الصالحين. تحترق شوقا لتضيء علما، وتستमित مكابدة لتنشئ جيلا، وتكابد القلم لتخط جمالية الدين، معراجا للقلب بتنزيل رب العالمين، طريح الفراش تنفش تفسير الحمد لله رب العالمين، وعلى جنبك تعاني، تكابد سورة يس، تتذوق سورة الحجرات، وتتلذذ بسورة الفرقان، لا عزما -بحول الله- سافرس القرآن، قالها ونحن إلى جنبه نبتهل إلى الرحمن، بابتهاال أيوب تضج قلوبا



من قال : إن القناديل تطفأ ؟ !

علمائنا الأجلاء ورثة الأنبياء..
ورثوا تركة لا تقدر بثمن... خالدة لا
تفنى.. يخلد علمهم مصباحاً وهاجا
في دنيانا إلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها...

عرفت فقيد الأمة وقنديلهما العالم
الجليل الدكتور سيدي فريد
الأنصاري رحمه الله، قارئة شغوفة
بقراءة كتاباته... التي كانت تشدني
من الأعماق، فأقبل عليها بكل
جوارحي... كانت كلماته من نور،
تتسرب إلى القلب، وتطرب لها
الروح... لأنه، بكل بساطة، عالم
رباني، يعيش مع القرآن، وبالقرآن،
وللقرآن...

كان ييسر ولا يعسر... ييسر ولا
ينفر... يحب الإقبال على الله...
وعلى الإيمان... وعلى القرآن... وعلى
العلم...

كان رحمه الله عاشقاً للجمال،
داعياً إليه، مبرزاً له في أبهى
صوره... جمال القرآن... وجمال
الإسلام... وجمالية الصلاة... وجمال
الذكر... وجمال الأنس بالله... وجمال
الحجاب (في كتابه سيماء المرأة
المسلمة... وجمال الأخلاق...
وجمالية الأدب الإسلامي...

وهذا هو سر حب الشباب للعالم
الجليل رحمه الله، والتفافه حوله،
إضافة إلى ما كان يتميز به من خلق
رقيق وتواضع جم «ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من
حولك» الآية.

لم ألتقه رحمه الله إلا مرة
واحدة.. بفاس أثناء الملتقى الدولي
الرابع للأدب الإسلامي (أبريل
2004) بكلية الآداب - ظهر المهران.
كنت في ساحة الكلية، وإذا بي
أرى أفواج الطلبة مهولة نحوه...
احتضنهم هاشا باشا بجلايته
المغربية الأنيقة.. يهديهم بعض
مؤلفاته، ويجيب عن استفساراتهم،
ويلبي طلبهم في أخذ صور تذكارية
لهم معه...

وجدتني، أحييه بدوري، على
استحياء.. ومن تواضعه سألني إن
كنت طالبة.. وحين عرف أنني أديبة،
دعيت إلى ذلك الملتقى لتسلم الجائزة
الأولى في القصة القصيرة.. بارك لي
داعياً لي.. ثم أهداني نسخة من
روايته.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه
الفردوس الأعلى مع سيدنا محمد
ﷺ، وجعل علمه وذريته صدقة
جارية عليه، وألهم ذويه ومحبيه
الصبر والسلوان، وعوض عنه الأمة
خيراً.



ذة. نبيلة
عزوزي

أحقاً خبا من مغربنا العزيز نوره؟

تعزية فيا فقدا الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله



ذ. ميمون ابريسول
رئيس المجلس العلمي المحلي
لإقليم الناظور

باسم المجلس العلمي المحلي لإقليم
الناظور، وباسم أعضائه وجميع علماء
الإقليم وخطبائه وأيتمته، نتقدم باصدق
التعازي وأحرها، في
فقدان سيدي أبي أيوب
الأنصاري، فريد زمانه،
ووحيد عصره رحمه
الله، إلى المجلس
العلمي الأعلى وإلى
رفقائه في الدرب، علماء
المملكة الشريفة
ودعاتها المخلصين
لدينهم ولملكهم

ولوطنهم، وإلى كافة أفراد أسرته الصغيرة
والكبيرة مغرباً ومشرقاً.

وإننا إن بكينا الفقيد العزيز، فإنما
نبكي من عرفناه صادقاً في قوله، مخلصاً
في بحثه، جاداً في صراحته. نبكي من
صدق القرآن حقاً وصدق به وصادقه،
واستغرق وسعه في إظهاره على أنه منبع
الخير كله، ومصدر التقدم كله، ومبعث
التمسك كله، وأنه الحل الأقوم والأمثل
والفطري لمشاكل كل الناس أجمعين.

نبكي عالماً ذاع صيته مغرباً ومشرقاً،
أجد في ذب الشبهات، والافتراءات، وكل ما
حام من شكوك حول قرآننا وأحاديث نبينا
محمد ﷺ، وشريعتنا
ولغتنا وفقهنا وتراثنا
الحضاري.

إنه الأنصاري الذي
نصر هذا الدين في
ربوع المملكة الشريفة،
الثبت في رد الطعون
التي تترى على تاريخ
هذه الأمة، وفي ثوابتها
وقادتها وفي علمائها.
وإننا إذ نتأسف
بلوعة، نتساءل بحرقة

: أحقاً خبا من مغربنا العزيز نوره؟

كلا، إن العلماء، وإن رحلت أشخاصهم،
لا يموت ذكرهم، فمن منا ينسى شخصية
فريد الأنصاري التي تميزت بجوانب، نادراً
ما تتلاقى إلا في الأفاضل من العلماء الأبطال؟
هل ننسى فريد الأنصاري القوال
بالحق؟ هل ننسى زهده، وفلسفته للحياة
التي كان لا يرى فيها إلا ساحة للوغي
والمعارك والنضال، وليست موطناً للسكينة
ولا واحة للذة؟

كانت لفقيدها فحشة وإحدا، وحاسة
دقيقة بمسار الأحداث، يمحسها تحت
مجهر تجاربه وخبراته، فيستخلص النتائج
ليطمنن إلى المرامي والغايات.

كان رجل البحث والفهم والقراءة ما بين
السطور، منذ عهد المحبرة إلى سكون
المقبرة، ذا شعلة نائرة فائرة على كل
متعالم، متفقيه ضال مضل، يرميهم بلذاعة
نقده، وغزير براهينه، وكما أدلته، فما صغر
وما انكسر، وإنما انبرى ولسان حاله
يردد :

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً

وإذا مت لست أعدم قبراً

همتني همة الرجال ونفسي

نفس حر ترى المذلة كفراً

كان الرجل خطيباً مفوهاً، يروم في
خطبه وأحاديثه وفي مجالسه إيقاظ الهمم،
وإنعاش فورة الإيمان من إغفائها ليجعل
من خشية الله تعالى وحده قانون وجود
الإنسان على الأرض.

حديثه شيق، كلماته تأخذ بتلابيب
القلوب، لها جاذبية روحية تملأ النفوس
لوعة، والعيون إكباراً، والعقول إجلالاً.
ومقالاته المنشورة تمسك بمفاتيح القلوب
بصراحتها النادرة، وصيحاتها الإيمانية

إننا إن بكينا الفقيد العزيز، فإنما نبكي من عرفناه صادقاً في قوله، مخلصاً في

بحثه، جاداً في صراحته. نبكي من صدق القرآن حقاً وصدق به وصادقه، واستغرق وسعه في إظهاره

على أنه منبع الخير كله، ومصدر التقدم كله، ومبعث التمسك كله، وأنه الحل الأقوم والأمثل

والفطري لمشاكل كل الناس أجمعين

المادية المذنرة والمبشرة.

فريد الأنصاري صان الدين، فصانه
الدين، خدم العلم فخدمه العلم، كان يعظم
الوطن فعظمه الوطن، عاش للأمة فعاشت له
الأمة، كتب للإسلام، فكتب له الإسلام، عاش
لله، وخلد الله ذكره في الصالحين.

ولقد نافح عن حمى السنة المطهرة،
وكان لها حصناً متيناً، جدد في أن ينير
حياة المسلم بتعاليمها وهداها. فقه الناس
على أن فساد الدين في طرح السنة جانباً،
وفي نبذها جرأة على الله عز وجل.

عاش على هدى قوله تعالى في سورة
المنافقون : ﴿ولله العزة ولرسوله

كان ذا أخلاق

عالية، أضفت عليه هالة من الهيبة والوقار. وقادت إليه مودات القلوب، لأنه

كان عطوفاً ألوفاً جواداً، متواضعاً تواضع العلماء. وإذا ما سأل سائل : من يكون فريد الأنصاري هذا الذي

بكاه المغرب والمشرق؟ إننا لا نتردد لنقول : إنه خادم القرآن وعلوم القرآن، العالم بالسنة والمنافع عن حماها، العلامة

المتبحر، المتفجر اجتهداً، العابد الزاهد، الفقيه الضليع، الخطيب الثائر، الكاتب النحرير. حقاً، هو كل هذا وأكثر

من هذا أيضاً، كما قرأناه وقرأنا له، وجالسناه وجلسنا معه، وسمعناه وسمعنا منه - لغوي بارع، ناقد ذكي،

بصير بمذهب عالم أهل المدينة، جوال واع بأحداث التاريخ وسير أعلامه

وللمؤمنين» فاعتز بإيمانه، وعلو همته،
وقوة نفسه، صال وجال دون ملل ولا ضجر،
يرفع راية الحق ويعليها، ويخفض هام
الباطل ويرديها.

كان ذا أخلاق عالية، أضفت عليه هالة
من الهيبة والوقار، وقادت إليه مودات

سرى نبأ من أرض تركية صعقة
فأقفرت الدنيا وأظلم أفقها
أحقاً قضى الأنصاري وهذه
أحقاً قضى لم تقض منه لبانة
بلى قد قضى يا حسرة العلم والحجا
إمام همام في المغارب أشرقت
وأتى الجنا في كل شرق ومغرب
مضى راشداً والعلم يحدو ركبته
فأسفر عن وجه اليقين معلماً
وكم وقفة لله في الحق لم تزل
هنيئاً لك الإشهاد في كل بقعة
ونلت الذي قد نلت حياً وميتاً
وما ذكر الداعون إلا سبقتهم
بلى كنت للإسلام ردة وعصمة
وكنيت لأهل البر في البر أسوة
ألا إن موت الصالحين فجيلة
سلام عليه يوم راح مشيعاً
وألقي عصاً من بعد كد ورحلة

القلوب، لأنه كان عطوفاً ألوفاً جواداً،
متواضعاً تواضع العلماء.

وإذا ما سأل سائل : من يكون فريد
الأنصاري هذا الذي بكاه المغرب والمشرق؟
إننا لا نتردد لنقول : إنه خادم القرآن وعلوم
القرآن، العالم بالسنة والمنافع عن حماها،
العلامة المتبحر، المتفجر اجتهداً، العابد
الزاهد، الفقيه الضليع، الخطيب الثائر،
الكاتب النحرير.

حقاً، هو كل هذا - وأكثر من هذا أيضاً،
كما قرأناه وقرأنا له، وجالسناه
وجلسنا معه، وسمعناه وسمعنا
منه - لغوي بارع، ناقد ذكي، بصير
بمذهب عالم أهل المدينة، جوال واع
بأحداث التاريخ وسير أعلامه.

وإننا لمسنا هذه الخصال، وهذا السلوك
المتميز للشيخ الوقور، وهذه السمات
السامقة، مما استمتعنا بأحاديثه، وخاصة
مقالاته وكتبه.

إننا لا نريد بهذا الكلام أن نرثي الفقيد،
وما ينبغي أبداً أن يكون، لأن أمثال أبي
أيوب الأنصاري، فريد عصره، ووحيد
زمانه، أعز من أن تنحدر في فقدانه دموع
الأسى، وأكرم من أن يتصايح عليه عويل
الفقدان. إنه حي بيننا بأفكاره، وبمواقفه
الشجاعة، بفضائله اللطيفة، وبمجالسه
التي تتباهى بها ملائكة الرحمان،
وبتلامذته الذين يصعب حصر تعدادهم.

إن ننس، لا
ننسى يوم نزلت
به، وهو في أعز
نشاطه وعطاءه،
تلك الوعكة
القاسية التي
غيبته عن المحافل
والمجالس
والمدرجات والمناظر
شهوراً عديدة،
وكان في القلوب
رجاء وفي النفوس

أمل، وعلى الألسن دعوات بالشفاء العاجل،
لكن المرض كان أعنى وأشد، فسار به رويداً
إلى رحاب الله، فطوته المنية إلى حيث
الرحمة والمغفرة والرضوان، إن شاء الله.
وإننا لا نتمالك إلا أن نردد مع الشاعر
وقد فقد عالماً من علماء الأمة يبكيه فيقول :

رمت كل قلب في البلاد بعاقرة
وخيم فيها الحزن في كل حاضر
دنى الناس منه في حديث سامر؟
ولا شبيبعت منه رؤوس المنار
وضيعة معتز ولهفة عائر
علاه فعم النور كل الحواضر
وأبحر من خلف البحار الزواجر
وقد ملئت منه بطون الدفاتر
وداعية يهدي به كل حائر
مكارمها تروى لدى كل خابر
ففيك جرى الإجماع ملء الحناجر
وقامت لك البشرية إزاء البشائر
بعد على اليمنى وعقد الخناصر
وكنيت لأهل الدين أكرم ناصر
وكنيت لأهل البغى من المرائر
وموت حماة الدين كبرى الفواقير
ووافى على الأرواح تحت الدثائر
إلى منتهاها منتهى كل سائر



د. إدريس مولودي

رئيس المجلس العلمي بالرشيدية

العلمي المحلي لمكناس، ومن ثم أسدي إلي بعض الوصايا الثمينة من بينها التحلي بالحكمة بشكل عام، وفتح المجال أمام الكفاءات العاقلة الراغبة في خدمة دينها ووطنها... وركز في الأخير على ضرورة إعادة الاعتبار للقرآن الكريم وخدمته في كل ما يتعلق به بالمستطاع من الوسائل، خصوصا وأن منطقة تافيلالت التي عرفت عبر زمن طويل بالحفظ الجيد للقرآن الكريم وحسن تلاوته... وانتشار ذلك في كل قرية من قرراها؛ تراجع كل ذلك فيها بشكل كبير لم يكن يتصور قبل....

هذا غيض من فيض كبير مما يمكن قوله في حق الأستاذ الكبير الدكتور فريد الأنصاري عليه رحمه الله، وأمامي وأنا أكتب هذه الكلمات مذكرة مسودة بعناصر أكثر مما كتبت، وختاماً أقول:

انطلاقاً مما سلف وغيره إن قالوا رحلت، أقول رحلت بجسدك الطاهر الذي ووري الثرى، وبروحك الطيبة التي صعدت إلى العلا -تحسبك كذلك والله حسيبك ولا نزكي على الله أحدا- ولكن ما رحلت بعلمك النافع الذي تركت، وتوجيهاتك ووصاياك الغالية التي خلفت ... فأسال الله تعالى أن يجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ﴿وَأَنَا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ والحمد لله على كل حال.

أصابته مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون. ﴿فَلا يَحْزَنُنَا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا يَفْتِنُنَا، وَأَثَابَنَا ثَوَابَ الْمُتَّقِينَ. آمِينَ.﴾

ونحن على عهده، وعلى خطاه في العلم والعمل، لأنه ممن جمع بينهما رحمه الله، وقد كان موجهي فيما وصلت إليه من اختيار في التوجه العلمي الشرعي، وموجه مشجع فيما نشرت من تأليف: مثل كتاب "خيرية الأمة بين كنتم ومتى تكون"، وكتاب "نظرات في فن الخطابة"، وكتاب "جدد ولادتك"، وقد كنت أعمل فيه وهو يشتغل على كتابه "الفطرية"، وقد طلب مني التعجيل به لأن الناس بالفعل قد ابتعدوا عن الفطرة.

فرحمة الله عليك أخي فريد، ثم قرير العين مرتاح البال، لأننا سنسير على الدرب الذي توقفت خطواتك فيه، ومصباحك لن ينطفئ، ونوره الذي توهج سيستمر بإذن الله، وكيف ينطفئ مصباح ونور... ولك أبناء من مسيرة العلم، وأبناء من صلبك سيخلفونك إن شاء الله. ونحن أهل لهم، سنعيش لهم أباء وإخوة وأصدقاء بإذن الله السميع العليم. وسنعيش لمجالسك القرآنية، بإحيائها والعمل على إتمام منهجك فيها.

تدهور حالته الصحية، وجدته رحمه الله تعالى طريح الفراش لم يستطع القيام، ولكن الغريب في الأمر أنني لاحظت إلى جانبه جهاز حاسوب محمول على طاولة صغيرة، الأمر الذي يدل على مواصلة الجهاد العلمي والتعليمي بالكتابة والرد على الرسائل الإلكترونية.. وهو على فراش المرض، وكأنني به يتمثل حديث الرسول ﷺ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدُ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ» (رواه أحمد).

3- وصية بتجديد الدين من داخل الدعوة:

نظرا لتجربته في الدعوة إلى الله واتصاله بالدعاة بشتى ألوانهم، ومعرفته بواقع الناس ومدى تأثير الدعوة فيهم، وقعت عين بصيرته رحمه الله على بعض الأوقات في طريق الدعوة، وتيسر لي -إذن الله تعالى- حضور كلمة القاها في بعض المناسبات، دعا فيها إلى علاج تلك الأوقات، بخطاب مباشر للدعاة ركز فيه على ضرورة تجديد دين وإيمان الدعاة؛ قبل وأثناء وبعد دعوة عموم الناس إلى تجديد دينهم وإيمانهم، وفصل القول في الموضوع، تأثرت بهذه الكلمة المباركة أيما تأثر، بل ودعوت إلى تنزيل مقتضياتها على أرضية واقع الدعوة، ولازلت أدعو إلى ذلك عسى الله أن يجعل إلى تحقيق القصد سبيلا.

4- وصية بخدمة القرآن بالمستطاع:

بعد تحملي لمسؤولية رئاسة المجلس العلمي المحلي للرشيدية، زرتة قاصداً بذلك عبادته والاستفادة من تجربته الغنية في تسيير المجلس

والأصول، ومن ثم كان البحث في أسباب اختلاف الفقهاء من خلال نيل الأوطار للإمام الشوكاني". ولنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، اقترح علينا فضيلة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله تعالى، مصطلحات للبحث فيها بمنهج الدراسات المصطلحية، فكان من نصيبي بسبب تأخري واختيار من سبقني أن بقي لي مصطلح "الجن"، فبحثت فيه خلال السنة الأولى، فلم أقنع بمواصلة البحث في الموضوع نفسه؛ لنيل شهادة الدكتوراه، فزرت الدكتور فريد الأنصاري تقبله الله في الصالحين، فتداولنا مصطلحات متعددة، فأرشدني رحمه الله إلى البحث في مفهوم الغيب وعلل ذلك بكون الأمة اليوم تواجه مما تواجهه من التحديات، حديث بعض أعداء الإسلام عن التصور الإسلامي للتغيير؛ على اعتبار أنه تصور غيبي في مقابلة التصور العقلاني؛ بقصد زعزعة شباب الأمة في عقيدته ...

2- توضيح إلى أبعد الحدود:

كلما طرقت باب منزله رحمه الله تعالى، وأخبر بالطارق يأذن بالدخول على الفور؛ فنناقش ما جئت من أجله، وكان كثيرا ما يُصر على تناول وجبة من الوجبات معه، وفي يوم من الأيام أحسست وكأنني أثقل عليه وأخذ الثمين من وقته، فاعتذرت على ذلك، فما كان منه جعله الله في أعلى عليين، إلا أن قال -حسب ما أتذكر-: "لا تتردد في طرق الباب ولو جئت في منتصف الليل، أنت لا تأتي للاستراحة وضياح الوقت كما يفعل البعض..".

وفي آخر زيارة له قبل سفره الأخير إلى تركيا؛ وقد تردد في قبولها؛ بسبب

بسم الله الرحمن الرحيم
وصل اللهم وسلم على النبي الأمين؛ المرسل بالكتاب المبين؛ رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين وصحبه أجمعين،
ثم أما بعد،

فقد رزقت الأمة الإسلامية عامة والمغربية خاصة، وأسرة العلماء بشكل أخص؛ في رحيل عالم بالقرآن؛ وإنه لعلم له من حيث تدوقه في عصره فلا تمترن به؛ وإلا فارجعوا إلى آثاره تنبئكم خبره؛ من كتب ودروس وخطب وآراء رصينة السبك قوية الحجة، إنه أستاذي الحبيب فريد الأنصاري؛ الذي أشرف على بحثي لنيل شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية، والذي رافقني في دروب الأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، ومن ثم كانت لي معه ذكريات لا تنسى أذكر من بينها الفقرات التالية:

1- توجيهه للأولى والأصلح:

كنت أتابع دراستي الجامعية وأنا أشغل بالتربية والتعليم، وطلبت من الدكتور فريد الأنصاري قبول الإشراف على بحثي لنيل شهادة الإجازة، فقبل جزاه الله كل خير دون تردد، ثم عرضت عليه بعض المواضيع المقترحة؛ كقواعد تربوية من خلال كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية ومن عجائب مخلوقات الله من خلال مجلة الأمة القطرية؛ جمع وتصنيف ودراسة وتحليل... الأول باعتبار اشتغالي بالتربية، والثاني باعتبار تخصصي السابق في كلية العلوم... فقال رحمه الله تعالى حسب ما أتذكر: "هذه البحوث يمكن أن تقوم بها بمفردك؛ ولا تحتاج فيها إلى إشراف، ينبغي الاشتغال بالعلم وقصد بذلك الفقه

مصباحك لن ينطفئ !!



د. أحمد بن محمد العمراني

صهر الفقيه الأستاذ فريد الأنصاري - الجديدة.

إن المصاب جلل والرزية كبيرة، ولكن قال حبيب الأمة محمد ﷺ حين فقده لفلذة كبده إبراهيم (فريد): "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب. لولا أنه وعد صادق وموعود جامع وأن الآخر تابع لأول لوجدنا عليك يا إبراهيم (يا فريد) أفضل مما وجدنا، وإنا بك لمحزونون".

فأقول لجميع أفراد أسرته الصغيرة -وأنا واحد منهم- وإلى جميع أفراد أسرته الكبيرة "من طلبة العلم وعلماء ودعاة وعامة الأمة" أعطانا الله على ما رزقنا أجرا، وأعقبنا صبورا، ولا أجهد الله بلاءنا بنقمة، ولا نزع منا نعمة، ثواب الله خير لنا، ورحمة الله خير له، وأحق

ابتلاه في جسده، فما تألم ولا استكان لمرضه، بل وهو في فترة المرض، فاضت أفكاره رحمه الله، ونطق قلمه وجادت قريحته، بكتاب الفطرية ومجالس القرآن، بل وهو في الساعات الأخيرة من حياته، كتب قصته الفرسان.

لكن إرادة الله فوق كل إرادة، وحب الله له ما توقف، فكان أن اختاره إلى جواره،

ولا راد لاختياره وقضائه، ولو اطلعنا على الغيب لوجدنا أن ما اختاره الله هو الأفضل.

وكانه تلقى الرسالة، فكان أن تحدث مع الزوجة الصابرة المحتسبة في آخر لحظات عمره، قائلا: "أدعو الله بأن يقويك على المسؤولية".

فأقول لنفسي وإخوتي عبر هذه الأسطر، اعلموا أن الخلق للخالق، والشكر للمنع، والتسليم للقادر، ولا بد مما هو كائن، وقد جاء ما لا يرد ولا سبيل إلى رد ما قد فات.

فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غدا، فلنستقبل المصيبة بالحسبة نستخلف بها نعما: ﴿الذين إذا

ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده. وإن كان من أحد سيتألم كثيرا لفقده، فهو عبد ربه، الذي عرفت الفقيد طالبا مجدا يحب الخير للجميع، وعرفته صهرا حبيبا، رب بيت عظيم، خدوم، رقيق، قنوع، كريم. كما عرفت فيه الأخ الناصح، والموجه الأريب، والصديق الوفي المخلص.

لقد أحبه الله فابتلاه، فكان ممن قال فيهم الحبيب المصطفى: "من يرد الله به خيرا يصب منه"، وقد أصيب رحمة الله عليه، في بدنه، وقبل ذلك أصيب في فُلذات كبده، ابتلي بمرضهم فصبر واحتسب، عانى من ذلك في صمت، ودعا ربه قائلا: رب إن الضرك قد مس أبنائي، وأنت أرحم الراحمين، فلطف به الرحيم الرحمان، وجاء الشفاء منه سبحانه.

وعانى في سبيل الدعوة إلى الله، إذ كانت حرقته على التدين شديدة، وغيرته على تطبيقه أشد، فجاهد من أجل تجديده بما يسر الله له، من خطب، ومواعظ، وكلمات، وندوات، ومحاضرات، وتوجيهات.

لكن حب الله له لم يتوقف، فكان أن



طوبى لـ ((عرجون إلى الخلد طامح))



د. محمد العمر اوي

مدير معهد الإمام مالك للتعليم العتيق
بسيدي سليمان

في مكتبة عمومية بكوليمة - قبل
نيف وثلاثين عاما- كان اللقاء الأول.
وفي مسجد (تارماست) غرست شجرة
العلم والعمل، وعلى قمة جبل أسدرم،
وضفاف وادي (غريس) كان البناء
لشباب الدعوة، وفي ثانوية كوليمة
أسست مجالس القرآن، وعقدت حلقة
الذكر. وقطفت أولى ثمرات الدعوة،
وعلى قمة جبل أسدرم، وضفاف وادي
(غريس) كان البناء لأفواج من جيل
الصحو الإسلامية، هناك توثقت بيننا
أواصر الأخوة في الله، وتوطدت
وشائج المحبة على الله، وفي ليالي
الصحراء الصافية الهادئة، وأيامها
المشرقة النيرة، تعاهدنا على
السير في طريق المصلحين،
والركوب في سفائن الأنبياء
والصديقين. لقد كانت آمالنا
أكبر من أعمارنا، وطموحاتنا
أعظم من إمكانياتنا... ودام
الحال على ذلك ما شاء الله أن
يدوم.. ثم عدت علينا عوادي
الزمن، ففرقت شملنا، وبددت
جمعنا.. فصرت أنا إلى غرب
الغرب، وصار هو إلى غرب
الشرق... والتقىنا مرة أخرى ..
ولكن عبر الكلمات، وكان البدء
منه ومنه كان الختام. ووفاء
بعهده، وقياما ببعض حقه.
أرسم معالم شخصيته من خلال

كلماته الوجدانية، ورسائله الإخوانية.
فهو -كما عرفته شابا وكهلا، سرا
وعلنا، حضرا وسفرا- :

1- الرباني الحكيم : قال -رحمه
الله- : " ذلك إن أخوتنا التي أزهرت في
ظل الله ، ما كان ينبغي أبدا أن تبلى
ولا تتجدد، على الأقل برسائل تعيد لها
شبابها، وتذكرها بأيامها الخوالي.

2- الوفي للعهد : قال -رحمه
الله- : "وأعوذ أدراجي لأذكر تلك
الانطلاقة المباركة في كوليمة، فقد
كانت انطلاقة خير، وما زلت -شهد
الله- أقنات من زادها!!! ثم قال: "أما
عن شوقك إلى لقائي -كما ذكرت أخي
الكريم- فأقول لك -حفظك الله-: شوقك
بعض الذي عندي! ومن ذا لا يشفق
إلى شقيق روحه، ومرجع ذكرياته
الغالية؟ فإنما شوقي إليك رغبة قوية
عساي أشتم في لقائك عهدي بربي، عل
روح الجهاد تتوقد نورا وضاء بين
جوانحي من جديد! وقال -رحمه
الله- : "لقد كان لذلك كله أثر طيب في
قلبي، فكان الود أكثر إبراقا وإزهارا ،
والشوق أكثر اتقادا وتطلعا، عسى
تعود أيامنا الخوالي.. فرحم الله زهاد
هذه الأمة إذ قالوا فيما قالوا) :

(واشوقاه إلى أيام البداية)!

**3- الباحث -دوما- عن مجالس
الإيمان :** قال -رحمه الله- : "أخي
محمد، معذرة، فإنني لم أنسك أبدا،
ولكن الدنيا فتانة!!! فلتكن هذه الرسالة
بداية محطة جديدة، تجدد ما جف فينا
من منابع الإيمان!"

**4- المتشوف للمستقبل. قال -رحمه
الله- :** "أخي محمد! لا حاجة الآن لتذكر
الماضي... بل الحاجة إلى التفكير في
المستقبل، ما دام الماضي شيئا قابعا
في ذواتنا نمتلكه بصفته تجارب
وذكرات مفيدة، والغد وحده هو الذي
ما زال بعيدا!!! أعني بعد التصور
والإدراك، لا بعد الحصول والوقوع...
ولذلك فهل من فكرة لجعله لصالح
الإسلام والمسلمين؟"

**5- المهموم بصلاح الأمة -أفرادا
وجماعات- قال -رحمه الله- :** "بلغ
سلامي إلى الأخ محمد بن التقي،
والحمد لله الذي جمع بينكما في دار
الغربة، ووفقكما إلى ما فيه صلاحكما
وصلاح المسلمين. وقال: "أرجو أن
تستغل ذلك جيدا في حياتك الدينية

المستوى خاصة من الناحية المنهجية،
إن هذا ما يسمى (بعلوم المصطلح
بالفرنسية Terminologie) إنه علم
جديد في الدراسات الإنسانية في
أوروبا، أخيرا تم إدخاله في الدراسات
الأدبية في البلاد العربية ويتبجح به
كثير من مرتزقة الفكر!

أما ناحية المضمون فأقول لك بحق
إنني قد استفدت كثيرا منه فأنا
شخصيا لم أكن أفصل أبدا بين
المسيحية والنصرانية فكان موضوعك
بالنسبة لي علما جديدا أضفته إلى
ذاكرتي فجزاك الله خيرا، وهي نقطة
جديدة أضفتها إلى ما سأجعله من
تنبيهاتي للطلبة في الكلية إن شاء
الله. حبذا لو أجد من يمدني بمثل هذه
الدروس القيمة ! أطلب منك طلبا
واحدا هو أن تستمر في كتابة مثل هذه
المواضيع التي تدرس المصطلحات إنها
مهمة جدا جدا جدا!!! إن المصطلح
يتضمن حضارة الأمة."

8- صاحب الصبور : قال : "شهد
الله أن من أهم -بل قل أهم- أسباب
تأخر هذا الخطاب عنك هو إحساسي

يقول رحمه الله تعالى :

إن أزمتنا الفكرية الآن، هي أزمة منهج أساسا في فهم
ذاتنا وحضارتنا.. وإن مصيبتنا -في ذلك- أن كثيرا من شباب الصحو
الإسلامية -على الأقل في هذا الوطن- ينظر إلى أمور الدين والدنيا من
خلال نصوص منشورة هنا وهناك

بمثل هذا، نعم هي معاني موجودة في
كتب كثيرة، لكن المهم عندي هو تركيب
هذه المعاني في موضوع وإنشاؤها
إنشاء يجعل القراء لها، أكثر ارتباطا
بها كلما أوغلوا في قراءتها. إن العالم
-أخي الكريم- ليس هو الذي يحفظ
القناطير المقتطعة من الفتاوى
والقضايا، ولكنه كما يقول المحققون:
من يحسن الاستفادة مما يحفظ أو مما
يقرأ سواء، وإذا طلب منه شيء أحسن
العرض لما عنده، والتزليل على المناط
المحدد بتعبير الأصوليين، ولابن رشد
الحفيد في كتابه (بداية المجتهد...) كلام
جميل معناه: "وليس الفقيه من يحفظ
العدد الكثير من مسائل الفقه -كما هو
حال متفكحة زماننا- ولكنه الذي
يستطيع إذا عرضت عليه نازلة أن
يستنبط لها ما يناسبها". وقس على
ذلك كل علم من علوم الأمة، وكل عالم
من علمائها. إن أزمتنا الفكرية الآن،
هي أزمة منهج أساسا في فهم ذاتنا
وحضارتنا.. وإن مصيبتنا -في ذلك-
أن كثيرا من شباب الصحو الإسلامية
-على الأقل في هذا الوطن-

ينظر إلى أمور الدين والدنيا من
خلال نصوص منشورة هنا
وهناك: فهذه آية من هذه
السورة أو تلك، لا يدري لها
مساق أصيل ولا تابع، وهذا
حديث في هذا الكتاب أو ذاك لا
يدري له سبب ورود، ثم بعد هذا
وذاك، لا منهج في ترتيب في
درجات الاحتجاج الدلالية، من
عبارة نص أو إشارته أو
اقتضائه أو مفهومه الموافق أو
المخالف... ثم ينظر إلى النص
مجزا هكذا دون ربطه بلواحقه
وسوابقه، ثم سبكه في عقده

سبك استقرار لشبيهه مما جاء في
موضوعه، عسى تكتمل الرؤية وتصح
النظرة. تلك -إن- قضية منهج!"

وقال -رحمه الله- : "وأعجبني الأخ
عبد الوهاب بشري في موضوع (العلم
أساس نجاح الحركة) وأنا أقول له: أنا
من أنصار فكرتك، وإنني أرى أزمة
الدعوة عندنا في المغرب (الذي أراه
وأحكم عليه دون سواء) (هي أزمة
علمية) أساسا؛ ووددت لو فصل الأخ
في موضوعه ليبين ضرورة العلم
الشرعي في تقويم واقع الناس
وتوجيهه بشكل أعمق.

10- المجاهد الغيور : قال لي -
رحمه الله- في رسالة شعرية بعنوان
"رسالة إلى مغترب في بلاد الروم"
فيا خل لا نسيان -ما الدجن عابس-
لعهدي على الإدلاج والبرد قارح
فقد شاقني قدح السناك للسردي
بصبح تجليه الخيول الضوايح
.....

.....
عسى يستعيد النخل هيبة طلعه
وينزف عرجون إلى الخلد طامح
فلا عاش من ألقى على الذل باكيا
وطوبى لجلد طوحته الطوائح

بثقل الكتابة إليك، ليس بمعنى القدر،
أبدا حاشاك ذاك، ولكن بمعنى أنني في
كتابة خطاب إلى خليل قلب، أحتاج إلى
تفريغ القلب تفريغا...! تفريغه كلية،
حتى تصفو أمامي العلاقة الربانية
الرفيعة التي ربطتنا.. فأكتب إليك،
بناء عليها.. رأيت إلى أولئك
الصالحين من السلف إذا حضر الطعام
أحدهم، استفتى قلبه فإن وجد همة
لبناء الأكل على قصد التعبد أكل، وإلا
امتنع حتى يجد (من الوجد) قصد
عبادة؟!

كذلك خطاباتك بالنسبة إلى
فاعدوني حفظك الله وسددك، هنا
وهناك!

من السهل جدا أن أخط إليك أي
شيء، فلا يكون في ذلك شيء شينا!
وفتن الدنيا كثيرة.. تملأ الليل
والنهار.. وطلبا لمقام التجرد يطول
السفار، فإذا أهل إشراقه كانت الكتابة
نورا من زيت الفؤاد، يشع من مقام
التهذيب والتصفية."

9- الناقد البصير : قال -رحمه
الله- : "وقد قرأت الورقات: (في الفكر
الغربي والحركات الإصلاحية) وبلا
مجاملة - لقد فرحت حقا أن سال قلمك

والدنيوية. كلاهما سواء. وقال: ثم هو
ضمان إن شاء الله لاستقرارك - مهما
طال بك السفر- بهذه البلاد الحزينة
التي تحتاج إلى أمثالك، يصلحونها
ويحتسبون!". وقال -رحمه الله- : "لقد
كان بودي أن أجلس إليك كثيرا،
ويطول لقاءنا لتجديد العهد، وبحث ما
جد في حياة الدعوة الإسلامية، وهو
كثير... كان بودي -وأنا أعرف أن عقلك
عقلي وفهمك فهمي وهمك همي- أن
نلتقي ونسمر على مائدة العلم
والبحث، لبعث العزائم أقوى ما تكون
وأمتن ما تكون! وكذا أرشد ما تكون!
والله يحكم لا معقب لحكمه!"

6- البار التقي : قال -رحمه
الله- : "وأنت تعلم حال أبي -إن كنت
تذكر، إذا قبض علي لا يدعني أفلت منه
ولو لحظة! ولن يقبل بأي حال أن أغادر
في زيارة ما لأحد. ولا أستطيع أن
أسترد حريتي إلا بعد فراق والدي إذ
يمضي في حاله إلى الراشدية. هكذا ما
زلت مع أبي كما كنت. فماذا أفعل؟"

7- المتواضع الوقور : قال -رحمه
الله- : "أما موضوعك عن (المسيحية
والنصرانية) فهو موضوع جيد جدا -
حقا لا مجاملة- لقد أكبرت فيه هذا



د. محمد محترير

إن فريدا كان أمة

استجمع أخلاق الأنبياء، مما جعله أهلاً ليكون من ورثتهم.

2- الشغف بطلب العلم: إذ أنه كان رحمه الله منهوياً بطلب العلم، منشغلاً بالقراءة والكتابة لا يفتر عنهما. فحين كنا نحن نصرف بعض أوقاتنا إلى جانب الدراسة في ممارسة أنواع الرياضات، والتنقل بين الأحياء والمدن في الزيارات الهادفة وغير الهادفة، والسفر في الرحلات والمخيمات، وحضور المجالس المفيدة وغير المفيدة... لا نجده هو إلا معتكفاً على كتاب، أو ماسكاً قلمه يكتب في فن من الفنون.

3- الاشتغال بالدعوة إلى الله: إذ ظهر انشغاله بهم الدعوة مبكراً. فلا يسمع بمجلس من مجالس الإيمان والخير في أي مكان إلا بحث عنه ودعا أصدقائه إليه. وإن كنت أنسى فلا أنسى خطبه التي كان يلقيها علينا أيام الجمعة ويرتلها منذ المرحلة الثانوية في مسجد المؤسسة بمدينة كلميم بالرشيدية.

4- الهمة العالية والعزم المتقد: إذ كانت له همة عالية، وعزم يفت الحجر ويفل الحديد. وإذا تعلق قلبه بشيء لا يهنا له بال حتى يدركه. مهما كلفه ذلك من تعب ومشقة. وصدق من قال: وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، والذي قهر عباده عامة بالموت، ولكن ليجتنبى أوليائه وينقلهم من دار التكليف والبلاء، إلى دار التكريم وحسن الجزاء. وينقل أعداءه من حياة اللهو والشهوة، إلى حياة البؤس والشقوة. والصلاة والسلام على من اختار الرفيق الأعلى، فأحسن الاختيار بعد أن أدى الأمانة، وبلغ الرسالة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعلى آله وصحبه والسائرين على دربه، المقتفين أثره إلى يوم الدين.

صعوبات في تناول حياة فريد ومختلف

أنشطته:

هذه كلمة متواضعة حول فقيدنا المرحوم، وأستاذنا الشاب الشيخ الدكتور فريد الأنصاري، أثبتنا إلى كل محبيه وغيرهم، نزولاً عند رغبة بعض الأحبة الكرام، واستجابة لطلبهم الملح في الإسهام في التعريف به، بحكم العلاقة الخاصة به منذ أيام الدراسة الثانوية والجامعية وما بعد ذلك. وقد شق علي هذا الأمر حقيقة:

أولاً: لأن الفقيد رحمه الله منذ مدة طغت علاقاته العامة على علاقاته الخاصة، وصار ملكاً لكل الناس. وما عاد للخاص فيه ميزة على العام. من جالسه امتلكه، سواء سبق أن عرفه أم لم يعرفه. يشرح له صدره، ويفتح له قلبه، ويغمره محبة حتى يشعر أنه له وحده ولا يعرف غيره من الناس.

وثانياً: أن الفقيد رحمه الله صار علماً من أعلام الأمة. صعد إلى القمة في مجال العلوم الشرعية خاصة. وبلغ من الشموخ وسعة الأفق ما يجعل من أراد أن يتحدث عن شخصيته لا يعرف من أين يبدأ وأين ينتهي. وماذا يقدم وماذا يؤخر. وأي جانب من جوانب شخصيته أولى بالحديث من غيره... لهذا أرجو المَعذرة مسبقاً في هذه الكلمة إذا تعثر القلم وأقصرت العبارة أوحادت عن القصد الفكرة. فالخطب أيضاً جليل، والمصيبة عظيمة، ولكن رضانا بقدر الله واجب، قدر من نحن عبده، أبناء عبده، أبناء إمامه، نواصينا بيده، ماض فينا حكمه، عدل فينا قضاؤه. فاللهم اجرنا في مصابنا هذا وأعقبنا خيراً منه.

مناقب الشيخ فريد الأنصاري:

لقد كان أخونا وشيخنا فريد الأنصاري مذكروته يتميز بخصال عظيمة أحسب أنه كان لها كبير الأثر في أن يبلغ ما بلغه في مجال العلوم والمعرفة والدعوة والجهاد والصالح والإصلاح... منها:

1- التخلق بأخلاق فاضلة:

إذ كان رحمه الله وهو في مراحل دراسته يتحلى بأخلاق سامية، قلما تجد بعضها في شاب في مثل سنه. كان هيناً لنا مسالماً، قد يتورع أحياناً حتى عن طلب حقه. شديد الحياء لا يعرف صخباً ولا فحشاً ولا بداءة في اللسان. حسن المعاملة مع الناس، حسن المعاشرة لأهله، باراً بالديه. معروفاً بالرفق والحلم والأناة، صابراً متحملاً قساوة وغلظة أبيه في معاملته رحمهما الله جميعاً. فكان فريداً الشاب/الطالب

التيار يضعون المجهر على بعض الطوائف والحركات الشاذة في تاريخ الإسلام، فيضخمون أمرها، ويضفون عليها طابع الثورية والتقدمية والتحررية والوقوف في وجه الاستغلال والظلم والديكتاتورية والبورجوازية وهلم جرا... من المروج له، والمقصود "تأصيل" مفاهيمه وترسيخها.

ولم يكن الطالب فريد يناقش ويجادل لمجرد الغيرة والحماس والعاطفة الدينية فحسب، كما كان يفعل كثير من الطلبة، بل كان يعتمد الحجج والبراهين والأدلة الدامغة، ويحاور مخالفه بعلم يثير الدهشة والإعجاب، ويدل على مستواه الدراسي والعلمي المتقدم.

الشيخ فريد الأنصاري العالم الموسوعي

كثيراً ما نقرأ أو نسمع في الأجواء الثقافية والحوارات العلمية تردد "مضى عهد العالم الموسوعي الجامع لعدة علوم" وهذا زمن التخصص بل تخصص التخصص. وكل ما يأتي من غير المتخصص فلا عبرة به. ومهما سلمنا بهذا قاعدة في هذا العصر الذي بلغت الدقة والتعمق في الأمور بفعل التقنيات الحديثة ووسائل البحوث المتطورة مبلغاً

اسمعه وهو يخاطب نفسه: "فيا نفسي المغرورة ألا وإنه لا

وزن لعمل يومئذ لم يبن بعد الإيمان على صلاة صحيحة، فماذا تغني العلوم

والفهوم؟ وماذا تغني المناصب والألقاب؟ وما تنتفع الأعمال والأموال؟ إن لم يكن العبد

عبداً لله حقاً، قائماً بحق ربه العظيم، ساجداً وراكعاً، خاشعاً

وخاضعاً؟..."

كبيراً يستلزم هذا التخصص، فإن لكل قاعدة استثناءات. والاستثناء يؤكد القاعدة ولا ينفيها. ولعل فقيدنا العزيز الشيخ فريد الأنصاري نموذج لهذا الاستثناء. فقد اجتمع فيه رحمه الله ما تفرق في غيره. فقد كان نجماً في مجال العلوم الشرعية في أغلب تخصصاتها، من فقه وأصول وتفسير وحديث وغير ذلك... وإذا ولجت مجال الشعر والأدب والرواية... خلته لا يتقن شيئاً غير ذلك.

وإذا تحدثت عن الدعوة والتربية والوعظ والإرشاد، فهو ابن الميدان، ولا يزايد عليه أحد في ذلك. ومؤلفاته وكتاباته ومنجزاته السمعية والبصرية خير شاهد على باعه الطويل في كل هذه الأمور. وقس على ذلك في كل ما أهتم به أوتحدث فيه أوتكتب.

الشيخ فريد الزمان الأنصاري

المجاهد المصلح:

إذا كان من حق تركيا المسلمة أن تفتخر برواد صحوتها المعاصرة، وعلى رأسهم الشيخ بديع الزمان النورسي، فإن أبناء المغرب من حقهم أن يفخروا برواد وعلماء صحوتهم أمثال فريد الزمان الأنصاري. فإذا كان النورسي رحمه الله قد حمل في دعوته شعار "إنقاذ الإيمان أولاً بالرجوع إلى القرآن الكريم، لأنه الشعار الأنسب في عهده لتلك المرحلة الدعوية في تركيا، وذلك لانتشالها من براثن الإلحاد والكفر والضلال الذي عم البلاد والعباد، بفعل الردة التي أحدثها

وقعد لها كمال أتاتورك، بوحى ودعم من الغرب، إذا كان الأمر كذلك في بلاد آخر خلافة إسلامية، فكأنني بفريد الزمان الأنصاري يحمل في دعوته شعار "إنقاذ الوحدة الإسلامية" بالعودة الراشدة إلى القرآن الكريم. فهي العاصمة من قاصمة التشرد والتمزق التنظيمي. كل تنظيم بما لديهم فرحون. لقد انشغل فريدنا رحمه الله في عهوده الأخيرة بمشروع القرآن الكريم، وأصبح همه الرئيس، وحوله يندن في أغلب كتبه ومقالاته ودروسه وخطبه وحواراته وما يتحدث به عبر وسائل الإعلام بمختلف أشكالها. لا يفتر عن الدعوة إلى إحياء مجالس القرآن والحياة بالقرآن، تلاوة وتدبراً ومدارساً وتعلماً وتعلماً وتزكية... لإيمانه اليقيني بأنه "بالقرآن- وبالقرآن فقط - بعث الله الحياة في عرب الجاهلية فنقلهم من أمة أمية ضالة إلى أمة تمارس الشهادة على الناس كل الناس" (1) وأنه "لاتحرير للأمة اليوم في معركة هذا العصر إلا بالقرآن، لأن طبيعة المعركة الجديدة قائمة على "الكلمة"، والقرآن العظيم هو الكلام القاهر فوق كل كلام" (2). فالقرآن الكريم هو سر كل إصلاح منشود، ومفتاح كل وحدة حقيقية، وما بعد عنه يفرق ولا يجمع، ويزيد الجرح فتقلاً لا رتقاً، والعظم كسراً لا جبراً، بحسب القرب أو البعد من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: 103). وقال أيضاً: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام: 154) وأيضاً: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾ (هود: 108). ورحمة ربي أودعها في كتابه وكلامه ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (الإسراء: 82).

وقال ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (3).

وأودعها كذلك في رسوله ﷺ المبلغ والمبين لكتابه وكلامه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: 107). فهو ﷺ رحمة مهددة، وكل من اقتدى به ودعا بدعوته ودل الناس على كتاب ربه صار أيضاً رحمة بقدر حظه من ذلك. "فيا أيها الأحباب! لنعد إلى مدرسة رسول الله ﷺ! لنعد إلى مدرسة القرآن! ومجالس القرآن، على منهج القرآن! صافية نقية، كما شهد عليها الله جل جلاله في جيل القرآن، لا كما تلقيناها مشوهة من عصور الموات في التاريخ!" (4)

لقد ذكرني موت أخي وشيخي فريد الأنصاري بموت الأستاذ المجاهد عبد الرزاق المروري رحمهما الله جميعاً، الذي كان له باع طويل في نسج خيوط وحدة من وحدات هذه الأمة. فمات وقد أحبكت حلقاتها، والمتوحدون لا يزالون يعيشون نشوة الفرح بهذه الوحدة، فكان القدر قال له: انتهت مهمتك. قلب داعي مولاك ودع المشوار لغيرك يتمه.

فجاء الشيخ فريد الأنصاري ليضع ومن معه لهذا النسيج وغيره مضمونه الحقيقي، الذي تبين بعد هزات الواقع ولطماته أنه في حاجة ماسة إليه. إنه مشروع القرآن الكريم. فهو جوهر النسيج ولبه وحقيقته، الذي يضمن استمراريته وسلامته ونموه الطبيعي، ويبرز شخصيته الحقيقية والتميزة، وإلا كان مظهرها خادعاً بدون مخبر، وإطاراً برافاً بدون محتوى صحيح. ومثل هذا لن يصمد أمام الأعاصير

تتمة:





رحيل رجل من أهل الله

ما أصعب أن تكتب عن عظيم، وإن «فريدا» لعظيم، وما أصعب أن تترجم لأخ حميم، وصديق كبير، وإن «فريدا» أخ في صوة صديق، والأصعب من ذلك كله أن تكتب عن رجل من أهل الله، وإن «فريدا» لرجل من أهل الله، رجل صدق الله فصدقه الله، رجل أخلص القصد لله فكان من المخلصين عند الله، اللهم هذه شهادتنا في «فريد» الفريد، ولا نزكي على الله أحدا، وقد قال نبينا المصطفى ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض».

كنت في مدينة رسول الله ﷺ حين التقيت أخا كريما سلمت عليه فلم يرد، التفت إليه فإذا عيناه تذرفان، سألته: ماذا في الأمر؟ ماذا وراءك؟ أجابني بحروف مقطعة: «رجل أخونا فريد» عجزت رجلاي عن حملي، وتوقف عن الكلام لساني، وغالبت الدموع فغلبتني، ظننت في البداية أنا نحن الاثنين فقط نبكي فريدا، لكن ما هي إلا دقائق معدودات حتى شاع الخبر الفاجعة، وإذا بالمحبين لفريد في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة بكون فريدا بالمات: ألم كبير يعتصر الأفئدة وحسرة شديدة تمرق القلوب، وبكاء تساوى فيه الرجال والنساء، وعزاء متبادل بين الشيب والشباب...

سألني أحدهم وهو يتعجب من كثرة الباكين والمعزين والمحبين: أي شيء كان هذا الرجل الذي ملك القلوب إلى هذا الحد، وأبكى كل هؤلاء الناس؟ قلت: لم يكن صاحب مال ولا جاه، ولم يكن صاحب دنيا ولا منصب، قال فماذا كان إذن؟ قلت: كان رجلا مسكينا ضعيفا متواضعا، لكنه كان صادقا مع الله، وهذه التي بلغت به هذا المبلغ، وبها رزق ما رزق من القبول!

يا حبيبي يا فريد: إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا فريد لمحزونون؟

الآن وقد رحلت عن دنيا الناس؟ أستاذك في قول كلمة، أعرف أنك لو كنت حيا ما قبلتها، تواضعا منك ورغبة فيما عند الله:

لقد عرفتك -وعرفك الناس- عالما عاملا، ومربيا صادقا، وداعيا إلى الله تعالى بلسانك وقلمك، وربانيا في أخلاقك ومعاملاتك.

عرفتك -وعرفك الناس- زاهدا في دنيا الناس، متواضعا غاية التواضع، محبا للخير، راغبا فيما عند الله، شديدا على أعداء الله خصوصا اليهود لعنهم الله...

عرفتك -وعرفك الناس- رجلا محبا للقرآن، تقروءه، وتنشره، وتدعو إليه، حتى إنك عشت بالقرآن وللقرآن، وسخرت كل ما تملك من علم ومال ووقت وغير ذلك لخدمة القرآن.

لكني عرفت فيك شيئا أعظم من كل ما سبق وهو سر نجاحك فيما سلف: إنه صدقك مع الله.

الآن أقولها لك يا حبيبي يا فريد: لقد كنت كلما رأيتك أو كلمتك أو جالسك أو قرأت شيئا من مكتوبك أرى الصدق مع الله بعيني، وأحسه في قلبي وأشعر به في جوارحي.

لقد كنت أرى الصدق مع الله في كل جوانب حياتك: في كلماتك وحركاتك ومحيطك، والصدق مع الله ميزتك الكبرى التي تنطق بنفسها، وتتكلم عن حالها.

أيها الفريد: لقد تراجلت عن صهوة جوادك وأنت الفارس المغوار، ووضعت سلاحك - الذي لم يكن سوى لسانك وقلمك - أيها المجاهد المقدم، وخلدت إلى الراحة -بإذن الله- مع الذين سبقوك من أهل الفضل والصلاح، من العلماء والعباد وأهل الله، فلقد أديت ما عليك، وقمت بواجبك أحسن قيام، رببت أجيالا، وعلمت رجالا، وتركت خلفا صالحا يرد اليوم في ثبات ويقين: كلنا فريد، وإنا على العهد ماضون.

أيها الأخ والأستاذ والمربي: لقد ألتنا فراقك، وصعب على نفوسنا غيابك، لكن الله اختارك واختار لك، ونحن راضون باختيار الله عز وجل، و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

اللهم إنا نسألك باسمائك الحسنَى وصفاتك العلى أن ترزق أخانا فريدا الدرجات العلى من الجنة، وأن تجعله في الفردوس الأعلى مع سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ ونحن معه برحمتك يا أرحم الراحمين.



د. أحمد العمراري

من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

وتضابق منه. واقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿لَوَإِنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: 21).

فشقل القرآن الكريم باعتباره روحا (9) لا يتحمله الجبل على ضخامته، فيخشع ويتصدع. فكيف بالإنسان وهو دون الجبل، بل لا مجال للمقارنة. ألم يكن ﷺ وهو ينزل عليه الوحي يتصبب جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد، كما ورد في حديث كيفية نزول الوحي. ألم تكن دابته تبرك به وهو ينزل عليه من الثقل. وهل شيب رسول الله ﷺ إلا هود وأخواتها؟

وما أدراك! لعل روح الشيخ فريد قد عظمت بتعلقها بروح القرآن. فما عاد ضعف الجسد الطيني يحتمل قوة الروح الديني، فحدث التشقق والتصدع. ومهما حاول الأطباء جهدهم رأب الصدع ورتق الفتق لم يفلحوا. فقد اتسع الخرق على الراقع واشتد شوق الروح إلى بارئها، واختارت الرفيق الأعلى كما اختاره الحبيب المصطفى، بعد تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، والنصح للأمة. وحدث الانفصام، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كان موت أخي فريد بالنسبة للغافلين مثلي صغعة فوق رأس الغفلة - كما يعبر أحد العارفين رحمه الله- علنا نتنبه ونستيقظ. وكان لسان الحال يقول: جاء دورك أيها الغافل فتجهز. عما قريب يأتيك داعي مولاك فتجيب رغم أنفك. كيف ترضى وتطمئن إلى حياة دنيا، حقيقتها ابتلاء، وعيشها عناء، وعمرانها هباء، ومصيرها إلى فناء. أمرها والله غريب، وتعلقك بها أغرب. أيا مغرورا بطول الأمل! كأنك لا تصدق: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ (النحل: 77). انهض من سبات غفلتك، لا تنخدع بالأحلام اللذيذة، والآمال الكاذبة!

«من خاف أُلج، ومن أُلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» (10). اشتدت ظلمة ليل الدنيا، وأذن فجر الآخرة بالبلج. ما بقي من عمر الدنيا إلا ما بين الفجر الكاذب والفجر الصادق. وما قد أذن بلال في الناس ونادى: «الصلاة خير من النوم»، وأوشك ابن أم مكتوم أن يعلن عن فجره.

صدقت يا رسول الله: «كيف أُنعم وصاحب القرن قد التزم القرن، واستمتع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ» (11) فحسبنا الله ونعم الوكيل: هكذا أمر صحابته ﷺ أن يقولوا حين أخبرهم بهذا الخبر فثقل عليهم الأمر.

طبت أخي فريد حيا، وطبت ميتا. فتم قرير العين. ثم نومة العروس فانت في ضيافة الرحمان، عند أرحم الرحماء، وأكرم الكرماء، بين الأحبة الفضلاء. فالسلام عليكم دار قوم مؤمنين، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر.

- 1- مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية (ص5).
- 2- من مقال للمرحوم في مجلة «حراء» العدد 16/ السنة الرابعة/ يوليو-سبتمبر 2009 ص31.
- 3- رواه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن 14/ 2074.
- 4- مجالس القرآن ص 9.
- 5- الفوائد ص 41 (دار المعرفة ط 1420 هـ 2000 م).
- 6- مجالس القرآن ص 4- 5.
- 7- الدين هو الصلاة ص 7- الطبعة 1 2009 - طبع الكلمة للطبع والإشهار.
- 8- بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبطار آليات الطريق ص 4 منشورات ألوان مغربية ط 2002.
- 9- قال تعالى: ﴿وَكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ الآية 49 من سورة الشورى.
- 10- أخرجه الترمذي وقال حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (6098).
- 11- من حديث أبي سعيد الخدري فيما رواه الترمذي في سننه وقال: حديث حسن رقم 3243.

إن فريدا كان أمة ... (تتمة)

عما يخالغ نفسه من الشعور بالتقصير والتفريط والنقص، وعدم أداء ما ينبغي كما ينبغي. وهي بمثابة الزفرة التي يخرجها من انتهى من عمل مضمّن، تعب فيه وبذل جهده ومع ذلك يراه ناقصا ومعيبا. فلا يجد بدا من التوجه إلى سيده ومولاه ليقل عثرته، ويصفح عنه، ويجبر انكساره، ويتجاوز عن خطايا.

اسمعه وهو يبعث رسالة القرآن فيقول: "...إلى جموع التائبين، الآيين إلى منهج الله وصراطه المستقيم.. إلى المثقلين بجراح الخطايا والذنوب مثلي! الراغبين في التطهر والتزكية.. والعودة إلى صف الله، تحت رحمة الله..» (6).

واسمعه أيضا وهو يخاطب نفسه: قيا نفسي المغرورة ألا وإنه لا وزن لعمل يومئذ لم بين بعد الإيمان على صلاة صحيحة، فماذا تغني العلوم والفهوم؟ وماذا تغني المناصب والألقاب؟ وما تنفع الأعمال والأموال؟ إن لم يكن العبد عبدا لله حقا، قائما بحق ربه العظيم، ساجدا وراكعا، خاشعا وخاضعا؟...» (7).

وكم كان شيخنا رحمه الله أيضا مثنيا على ربه شاكرا لأنعمه، لا يفتر عن الثناء على ربه وذكر مننه وفضله عليه، معتبرا أعماله من كرم ربه وهديته. يقول في مقدمة كتابه (بلاغ الرسالة القرآنية...): «إني أحمد الله مرة أخرى أن أرشدني اليوم إلى تقديم هذه الرسالة الصغيرة...» (8).

بل كان في كل ما كتب ونثر إنما يروم ويدعو غيره إلى توثيق الصلة بالله والتماس الطريق الصحيح إليه بشكل أوبأخر: «ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله»، «بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبطار آليات الطريق»، «جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح»... وكان لسانه رحمه الله رطبا بذكر الله، يذكره قائما وقاعدا وعلى جنبه. وكثيرا ما تراه يمسك لحيته ويخرج من أعماق قلبه كلمة «الله» فتنسب على لسانه كما تنساب قطرة الندى على ورقة النبتة.

الشيخ فريد العالم بكتاب الله

المتأثر بروحه:

تتلمذ شيخنا في دراسته العليا على يد الإمام الشاطبي وهو من بين الشيوخ الأموات / الأحياء الذين أخذ عنهم الأصول. فكان خير تلميذ لخير أستاذ. أبصر من خلال مقاصده المقاصد، وخبر بمعايشة كتبه الدروب والمنافذ. ثم من خلال الدراسات والمصطلحية تمكن من إحكام المفاتيح والأدوات المنهجية، ثم كاني به بعد ذلك وقد أحسن التلقي لرسائل النور، والاستنارة بنور الرسائل، الذي هو قبس من ضياء شمس الرسالة الأم... فأجاد العروج في مدارج السالكين، ولبس دروع الربانيين المتقين، لينطلق باتم عدة واستعداد، بكل هذه الذخيرة والعتاد، متنقلا بين منازل الوحي يستفتح المغالق، ويستكشف الأسرار والكنوز. فإذا به يبصر مالا يبصر غيره، ويسمع مالا يسمع غيره، ويتذوق مالا يتذوق غيره، ويشعر وهو يتلقى كلمات الله بما لا يشعر غيره. إنه يحي الحياة الأخرى، حياة الأرواح لا حياة الأشباح. فلها موازينها الخاصة، وحواشها الخاصة، وأناقها الخاصة.

ولما كان الجسد إطارا للروح، لا ينفصمان كلياً إلا بالموت، فإن كلا منهما يؤثر ويتأثر بأحوال الآخر. إذا تقوى أحدهما ونشط، ضعف الآخر وتعب

الهوجاء التي تصادفه، ولن ينجح في ابتلاءات الدعوة التي تمحصه، وقد لا يعمر إلا قليلا، وإن عمره في شخصية ممسوخة، لا طعم لها ولا رائحة ولا لون أصيلا.

إن مشروع القرآن الكريم في حقيقة الأمر هو مشروع للأمة بكاملها. لذا ينبغي أن يكون من القرآن المنطلق، وإليه المرجع، ومنه تؤخذ التصورات والرؤى، وتستمد الخطط والمناهج، وفي ضوئه تعالج قضايا الحياة الفردية والجماعية. وهو الكفيل بإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ومن جور الأديان والإيديولوجيات إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. قد فعل ذلك في القديم حقا، ويفعله اليوم وغدا إن سلمت النوايا وصدقت العزائم في العودة الراشدة إليه مرة أخرى.

لقد ضج بعض رفاق الطريق حين تحول الشيخ من موقع خاص إلى موقع عام، تحول اقتضته طبيعة المهمة الضخمة التي أخذها على عاتقه من جديد. فقد أبى رحمه الله أن يبقى مجرد غصن في شجرة لا يتسع المجال فيها لتنفيذ مهمته، وقابلية المحل لها ضعيفة. إنما اختار أن يكون هونفسه شجرة تحيا وتنمو في تربتها الطبيعية، وتتغذى بموادها الأصلية فتخرج تلقائيا أغصانها المتميزة، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فأكهة طيبة ذات طعم لذيق وذوق خاص ومنظر جميل. من أقبل عليها وذاقها واكل منها لم يعد يشتهي غيرها، ولا يرضى بسواها بديلا عنها.

إنها الشجرة التي تحيا وتنمو في تربة الوحي وتتغذى بأي القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ. وتنبت طاعات وعبادات وأعمال صالحة. وتثمر أخلاقا طيبة ومعاملات حسنة وعلوم نافعة ومعارف نيرة... تشبع نهم الأكلة الجائعين، وتستسهيوي المحرومين الضائعين، وتستقطب الضالين التائهين. وهي الشجرة الوحيدة المؤهلة لتلتقي حول أصلها أصول الأشجار الطيبة، وتلتف حول أغصانها باقي الأغصان الأخرى.

وكذلك كان الشيخ فريد، شجرة تمتح من عروقها عروق باقي الأشجار الأخرى في الباطن مهما بانّت المخالفة في الظاهر. وتنتفع بغطاءاته وثمراته في السر مهما برز التعفف في العلانية. وعم خيره القريب والبعيد وكذا الخاص والعالم. كان أمة وحده داخل الأمة. فكان موته خسارة أمة ومصيبة عظيمة للأمة بكاملها.

الشيخ فريد العارف بالله:

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «يخرج العارف من الدنيا ولم يقض طوره من شيتين: بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه» (5). فكم كان شيخنا رحمه الله باكيا على نفسه خائفا من تقصيره رغم اجتهاده. شاكيا ذنوبه رغم ورعه وتقواه. مظهرا تذله وافتقاره إلى رحمة ربه وعفوه، مرردا في مقدمات كتبه عبارة «وكتبه عبد ربه، راجي عفوه وغفرانه فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي، عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولسائر المسلمين». فإذا كانت مقدمة الكتاب عادة هي آخر ما يكتب منه، رغم وجودها في أوله، فإن هذه العبارة التي يردها الشيخ هي آخر الآخر، وكلمات النهاية. وهي عبارة دالة



رجل فريد بين عمر فريد وموت فريد



د. عبد الكبير حميدي

لم يكن الدكتور فريد الأنصاري - رحمه الله وأُسكنه فسيح جناته - رجلاً عادياً، ولم تكن حياته عادية، ولم يكن موته عادياً. لقد كان الرجل فريداً بكل ما في كلمة "الإنفراد" و"التفرد" من معنى، كان فريداً بالاسم والفعل معاً، بالقول والسير، بالدعوة والأسوة، كأن القدر أراد للاسم والمسمى أن يسيرا جنباً إلى جنب في انتظام وانسجام، وأن يكونا صنوين لا يفترقان، وأن يحققا من التوافق أكمل المراتب، ومن التطابق أعلى الدرجات. إن موت العالم مصيبة كما صح عنه ﷺ، ولكن الأنصاري - رحمه الله - لم يكن عالماً وحسب، ولم يكن كسائر العلماء، بل كان من طينة ومعدن خاص، وكان طرازاً مختلفاً ونوعاً فريداً.

كان - رحمه الله - فريداً في عقيدته الصلبة الصافية، التي لا غيبش فيها ولا تنوء، ولا غموض ولا انحناء. كان يحمل ولاء خالصاً لله تعالى، وحبا عظيماً للإسلام، واقتداءً نبياً بالرسول ﷺ، وكانت أمارات العبودية الصحيحة بادية عليه. كان يحب لله ويصدق في حبه، ويبغض لله ويصدق في بغضه، وكان نموذج العالم الرباني الذي لا يخاف في الله لومة لائم. عاش متحرراً من كل القيود والحدود، والأشكال والألقاب، والمشايخات والشخصانيات، التي سيطرت على قلوب وعقول الكثيرين في هذا الزمان.

وكان - رحمه الله - فريداً في خلقه، هينا لنا بسيطاً متواضعاً سهلاً، لا تكلف ولا تحمل، ولا انتفاخ ولا انتفاش، يعامل الجميع، ويصغي للجميع، ولا يصنف الناس إلا على أساس قربهم أو بعدهم من الإسلام والدعوة.

كان بيته المتواضع العامر مقراً مفتوحاً للعلم والدعوة، لا يفتقر ولا يغلق، إلا من مرض أو عذر قاهر، تعقد فيه الجلسات التربوية، واللقاءات الدعوية، ويستقبل فيه زواره ومحبيه، حتى اللقاءات الخاصة ببحوث الطلبة كانت تعقد فيه.

كنا معه يوماً في بعض اللقاءات الدعوية، وبعد الفراغ من أشغال اللقاء، سأل أحد الإخوة: ألا تجد لي سيارة بأربعة آلاف درهم؟ دهشنا لسؤاله وظننا يمزح، أجابه الأخ مستغرباً: سيارة بأربعة آلاف درهم! قال: نعم! وإن كانت بحاجة إلى دفع دفعها الطلبة! فانفجر المجلس ضاحكاً، وبقينا على ذلك حتى انفض الجمع. وبعد أيام من ذلك إذا به - رحمه الله -

بفي بوعده، ويشترى سيارة متواضعة من نوع فيات 127، كانت راحلته ووسيلة نقله داخل مكناس وخارجها، وكانت أيضاً مقراً متنقلاً لنقل الإخوان والطلبة في مختلف المناسبات، ولم يشأ استبدالها رغم إصرار بعض الإخوة عليه في ذلك، إلا عندما أهداه بعض الإخوة المقيمين بهولندا سيارة من نوع (مرسدس 190).

لم يكن رحمه الله يلبس إلا المتواضع من الثياب، بل لم يكن يعرف إلا المتواضع منه، ما ربط إلى عنقه ربطة قط، ولا ارتدى في مناسبة ما يرتديه القوم من ألبسة عصرية، بل كان الجلباب أحب لباس إلى قلبه، وأقربه من طبعه، وهو مع ذلك لا يرى إلا في أناقة ونظافة وهيبة ووقار.

وكانت رفته رحمه الله، ودمائة أخلاقه، وابتسامته العذبة، وكلامه الطيب، وتعبيراته الطريفة، ومزاحه القليل المليح، ودعواته الصادقة، سبب اجتماع القلوب عليه، ومحبة الخاص والعام له، حتى لا تكاد تجد له من خصم أو مبغض أو مشكك، ولذلك ما

الشاطبي، الذي جعل منه موضوع بحثه لنيل الإجازة. وبعد حصوله على الإجازة التحق بسلك تكوين المكونين، ليتخرج بعد سنة أستاذاً جامعياً مكوناً، ومن يومها والرجل ما بين تدريس وتأليف ومحاضرة وبحث.

وكان رحمه الله غزير الإنتاج الفكري والعلمي والأدبي، كتب الشعر الرصين الجميل، وله فيه دواوين حسنة، ومن شعره الجميل ما قرأه مرة أو مرتين ولم ينشر لحد الآن. وكتب المقالة السياسية الساخرة، واشتهر بعموده المعلوم "عابر سبيل" في جريدة الصحوة الغراء. وكتب في التربية الدعوية كتابه القيم "التوحيد والوساطة في التربية الدعوية" المنشور ضمن سلسلة كتاب الأمة القطرية. وكتب في "الرواية الدعوية" روايته "كشف المحجوب" وروايته "آخر الفرسان". وكتب في منهج البحث في الدراسات الإسلامية "أبجديات البحث في العلوم الشرعية". وألف لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية "دليل الخطيب والواعظ". وكتب في تجديد

كان - رحمه الله - فريداً في عقيدته الصلبة الصافية، التي لا غيبش فيها

ولا التواء، ولا غموض ولا انحناء. كان يحمل ولاء خالصاً لله تعالى، وحبا عظيماً للإسلام، واقتداءً

بينا بالرسول ﷺ، وكانت أمارات العبودية الصحيحة بادية عليه. كان يحب لله ويصدق في حبه، ويبغض

لله ويصدق في بغضه، وكان نموذج العالم الرباني الذي لا يخاف في الله لومة لائم. عاش متحرراً من كل

القيود والحدود، والأشكال والألقاب، والمشايخات والشخصانيات، التي سيطرت على قلوب

وعقول الكثيرين في هذا الزمان.

فقه الدعوة طائفة من كتبه من مثل "البيان الدعوي" و"بلاغ الرسالة القرآنية" و"مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية" و"الفطرية" وغيرها. بل وصل عطاؤه وإبداعه إلى مجال الرسم والتشكيل، وله في ذلك لوحات جميلة يعرفها كل من زاره في بيته. وكان مسك ختام إنتاجه رسالة قيمة في موضوع الصلاة، ختم بها مشواره العلمي المبارك، بعنوان "الدين هو الصلاة".

وكان رحمه الله في خضم ذلك كله يتحرك بوتيرة من يسابق الزمن، ويشعر بدنوا الأجل، وقد ذكر رحمه الله في محاضرة له بأصيلة في صيف العام 2004 أن هاجس الموت يؤرقه ولا يفارقه.

وكان رحمه الله فريداً في مساره الدعوي، اعتلى المنبر حين بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، فنصح وعلم وأجاد، خاطب الناس على قدر عقولهم، واقترب من واقعهم وهمومهم، وصحح أفهامهم، وعالج قلوبهم، فنال التوفيق من الله، والقبول من الناس. فطارت المثات من خطبه ومحاضراته وأشرطته إلى الأفاق، ومالت القلوب والأسماع.

ومثلما أفلح في مخاطبة عوام

الناس، فقد أفلح في مخاطبة خواصهم أيضاً، فكانت خطبه ودرسه الحسني بحضرة أمير المؤمنين ملك البلاد تجديداً لمواقف العلماء الربانيين والدعاة المخلصين، في حكمة الدعوة، وصدق النصيحة، والجرأة الموزونة في الحق. وكان رحمه الله قدوة لعدد من الأخيار من رجال السلطة، وكثير من أعيان مكناس من التجار والأطباء والمهندسين والمتقنين.

وكان رحمه الله إذا خطب أوحاضر، تحدث بحماسة المعهودة وعاطفته الصادقة الجياشة، فتقمص الموضوع تقمصاً، وارتقى إلى أفقه ارتقاء، حتى لا يكاد المخاطب يفرق بين المتحدث والحديث، وبين الذات والموضوع، وتلك صفة لا تنال بالكسب والتدريب، بل يهبها الله لمن يشاء ويصطفى من عباده.

وكان رحمه الله فريداً في مساره المهني، يعد دروسه ومحاضراته بنفسه، ويفيض في شرحها لطلابه، ويعززها - إذا لزم الأمر - بما تيسر من مطابع ومذكرات. وكان لا يخفي مراجعته كما يصنع كثير من زملائه الأساتذة.

وكان مشاركاً بارزاً في الندوات والملتقيات العلمية، ومناقشا بارعاً للأطروحات والرسائل الجامعية. وكان يحظى بقدر غير يسير من المحبة والتقدير في صفوف طلابه، وفي عيون زملائه من الأساتذة والإداريين على السواء.

ومثلما كان شخص الأنصاري فريداً، وحياته فريدة، فقد كان موته فريداً كذلك. جاء نبؤه من تركيا فشاع في يوم أو أقل في ربوع المغرب والخارج، ووقع من الناس موقع الصدمة،

فحزن عليه الجميع، وبكاه العام والخاص، وتنادت لجنائزته المهيبة الجموع الغفيرة من الناس، من العلماء والدعاة، ومن قادة الحركة الإسلامية وشبابها، ومن أهل مكناس عامة، سار الموكب الضخم في صمت وخشوع، فودعوا الرجل الفريد، وواروا جثمانه الثرى، فتحدث البعض بلسان المقال، وتحدث الجميع بلسان الدمع والحال، تحدثوا حديثاً واحداً، قالوا كلاماً واحداً: من يحمل لواء الأنصاري؟ من يكمل مشوار الأنصاري؟ من يجدد دعوة الأنصاري الفريد؟

رحمة الله ورضوانه عليك يا أبا أيوب، ما أعظم مصابنا فيك، وما أشد فقدك علينا، وما أوسع الفراغ الذي تركته فينا، لقد بكينا من فقدنا من أحببنا مرة أو مرات، أما أنت فلا تنفك عيوننا تبكيك ولا تنفك قلوبنا تترثيك كلما ذكرناك، ولكن ربك عز وجل أرادك إلى جواره، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا نملك إلا الرضى والتسليم. نشهد لك بالخير، ونسأل الله لك المغفرة. وإن قلوبنا لتحزن، وإن عيوننا لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا أبا أيوب لمحزونون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



ذ. محمد بوهو

لقد أعطى روحاً جديدة لعمل المجلس العلمي بمكناس وفروعه

القيام بمهام الدعوة الإسلامية الأصيلة، وهو العالم المتواضع الذي طالما استمع إلى محاوريه، وعمل بملاحظات وتوجيهات ناصحيه، وكانت له سعة الصدر لمستفتيه من الناس..

رغم المرض لم يخلد إلى الأرض :

بعد فترة طويلة استغرقت أكثر من ثلاث سنوات، كابد الشيخ فريد المرض، وكان دائماً صاحب الصبر الجميل لم يبخل على الدعوة إلى الله تعالى بوقت أحس فيه براحة عابرة، فكلما تحسنت ظروفه الصحية إلا وتجدد على منبره يخطب، أو على كرسى الوعظ يعظ، أو في المحافل يحاضر.. أذكر أنني وأنا أستمع وأنظر إلى آخر محاضراته التي ألقاها بمقر المجلس العلمي المحلي بمكناس حول "الوحي: مفهومه وحقيقته"، والتي نقلت عبر القناة السادسة للقرآن الكريم المغربية، أن الأخ فريد يكابد المرض وهو يحاضر، كنت أنظر إلى الحروف تنساب من شفثيه بصعوبة، ولا يكاد يجد ريقاً يبلعه كي يستأنف الكلام.. لكن مع ذلك يمضي قدماً لإتمام الفائدة وإبلاغ الناس الخير.. ولسان حاله يقول: "ألم يقل حبيبنا وقودتنا: «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة، فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم فليغرسها وله بذلك أجر..» فانا أغرس ما استطعت من فسائل ما دمت أستطيع ذلك.. وتشعر وأنت تستمع لكلامه أنه نسي المرض ونسي الآلام التي يعاني منها واستلذ حلاوة الكلام الطيب.. كيف لا وهو كلام حول القرآن الكريم، ذلك الكلام المحبب للأخ فريد وقررة عينه في كل المجالس والمحافل العلمية..

كان الشيخ فريد الأنصاري ذلك العالم الذي أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، فرحم الله فقيد الأمة والوطن والبلد والدعاة والعلماء، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقا، و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾..

الوطني، حيث كان له سبق في تأسيسها وجمع الشباب حولها.. فشهدنا اللقاء تلو اللقاء حول مفاهيم بقيت السنة جل العلماء خرساء عن التكلم فيها، وظل الجدل العقيم يلفها في أوساط أخرى.. فكان اللقاء الأول حول مفهوم السلفية، والثاني حول مفهوم التصوف.. وغيرها

مؤهلات علمية وخلقية ومنهجية

تشب عن طوق الحصر :

كان الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله من العلماء الذين عملوا على إحياء أثر القرآن في النفوس، فكانت دروسه وكتابات ومجالسه كلها تأكيداً على ضرورة إعادة الارتباط بكتاب الله سبحانه وتعالى تدبراً وخشوعاً ومسيرة كدحية إلى الله سبحانه وتعالى، وهو العالم الذي أخذ على عاتقه أن لا يروي إلا ما صح عن رسول الله ﷺ تحرياً لسنة الحبيب المصطفى ﷺ وحبا فيه وفي إحياء سنته الطاهرة، وهو العالم الذي كان شديد الارتباط بقضايا الأمة الإسلامية وقضايا الدعوة الإسلامية، وهو العالم الشاعر والأديب الذي حرص على حفظ أصالة لغة القرآن في تعابيره الأدبية والشعرية، وهو العالم الناصح المحرض على الخير في دروسه ومواعظه ومجالسه، وهو العالم الفقيه بواقعه الذي كانت له نظرة ثاقبة وتصور ناضج لمجمل مجريات راهنه المحلي والإقليمي والدولي، وهو العالم الباحث المشجع على العلم والبحث العلمي في محاضراته العلمية في الجامعة وفي الندوات والأيام الدراسية والتكوينية، وهو العالم المربي الذي حرص على أن يترك علماً نافعا ينتفع به مدونا في المكتبات أو في مجال المرثي أو السمعي، وبذور دعاة يحملون مشعل الدعوة من بعده، وجيلاً ممن تربوا على دروسه وتوجيهاته، وهو العالم الذي حرص على أن يخط تصوراً متكاملًا لنظريته في الإصلاح وفي النهوض بهذه الأمة وفي

ونعم العالم الرباني كان، ونعم الداعية الحكيم كان ولا نركي على الله أحداً، لم يهدأ له بال على حال الأمة، وعلى حال الدعوة الإسلامية وعظاً وإرشاداً وكتابة ونصحا وحوارا وبحثاً علمياً وترشيذاً لمسيرة الدعاة إلى سبيل الله، ما عسانا أن نقول سوى ما علمنا المصطفى عليه الصلاة والسلام: لله ما أعطى وله ما أخذ وإنا لله وإنا إليه راجعون، أراد الله إلى جواره سبحانه، فارتقت روحه الطاهرة إلى أعلى عليين تبتغي رضوان ربها جل وعلا..

فريد روح جديدة لعمل المجلس

العلمي وفروعه :

لقد عرفته عن قرب في مرحلة رئاسته للمجلس العلمي المحلي بمكناس (من أواخر سنة 2005 إلى سنة 2008م)، حينها كنت عضواً في الفرع العلمي بإقليم إفران التابع لهذا المجلس، عرفته رئيساً متواضعاً، عالماً عاملاً، مستشعراً للمسؤولية الملقاة على عاتقه، لم يهدأ له بال حتى في الأوقات الحرجة التي مرت به مع صحته.. كان يتأخر في مكتبته إلى وقت متأخر من النهار يريد أن ينهي كل الأعمال المرتبطة بالمراسلات كتابة وإجابة، يضع الخطط الخاصة بعمل وبرامج المجلس، ويبني تصورات عمل اللجان التابعة للمجلس العلمي التي أسسها وأشرف على لقاءاتها الشهرية بكل انتظام..

لقد أعطى روحاً جديدة لعمل المجلس العلمي المحلي، والفروع التابعة له، فهو أول من سن الملتقى السنوي للقرآن الكريم، ذلك الملتقى الذي اعتبره شخصياً عرس القرآن الكريم، كان مناسبة ولا زال يأتي إليه ويشارك فيه جمع كبير من العلماء والمفكرين يأتون إلى مكناس من كل فج عميق..

وإذا تحدثت عن الحوار المفاهيمي وجدت الشيخ فريد الأنصاري رائد هذه المبادرة الفريدة من نوعها على المستوى

رجل العالم الجليل الزاهد حامل الرسالة القرآنية: فريد الأنصاري

فهل من معتبر؟ !

يحاوره : مالك ولهذه الكتب الكثيرة؟! وهذه الكتابة؟! (التي كانت مشروعه في بصائر القرآن الكريم وتفسيره) فقال له مجيباً على سؤاله : **إنني لأزداد مرضاً إن لم أكتب،** وكان رحمه الله تعالى يكتب بالليل والنهار وهو على فراش المرض المرير، ثم تواصل حديثهما فكان أن قال الشيخ لجدي : كيف حالك؟ فأجاب قائلاً : لأبأس قليلاً، قال الشيخ : ألاستطيع أن تركع وتسجد؟! قال : بلى، قال الشيخ : إذن قل الحمد لله كثيراً، وكان الشيخ آنذاك لا يستطيع الصلاة إلا بعينيه. ثم تواصل الحديث بينهم، فقال الشيخ في آخر كلامه مع جدي راضياً بقضاء الله تعالى وقدره : هناك من ولد مقعداً لا يتحرك؛ أما أنا ولله الحمد والمنة فقد عشت خمسين سنة أتكلم، وأتحرك وأمشي، ثم قال بعد هذه الكلمات، كلمة خرجت من أعماق مشاعر الوجدان : الحمد لله يكفي ما عشت من هذه السنوات.

لقد كان الشيخ رحمه الله تعالى على قدر كبير من المعرفة الحقبة بالله تعالى

بالحرف الواحد : إن أبا الشيخ سيدي حسن رحمهما الله تعالى قال لابنه (العالم الجليل) وهو ينصحه عندما رآه قد حصل على الوظيفة، وأخذ في شراء الكتب والاشتغال بها زاهداً في الدنيا وما فيها، أي بني : اجتمع قليلاً من مالك لبناء مستقبلك ولاتصرف ذلك كله في طلب العلم، وكان منزل والد الشيخ آنذاك مجاوراً لإحدى المقابر، فأخذ الشيخ بيد أبيه رحمهما الله تعالى، ثم ذهب به إلى المقبرة المجاورة لهما، فقال له قولته الجميلة الالامعة المضيئة : **يا أبا بني المستقبل** هو الذي تنظر إليه وتراه إنه القبر، فكان بذلك واعظاً لنفسه وأبيه، وبالتبع لنا جميعاً. يرحمك الله تعالى يامصباحاً من مصابيح الدجى ويا علماً من أعلام الهدى، يامن عشت حياتك كلها غارقاً من إرث الحبيب المصطفى ﷺ، مبلغاً إياه.

ثم لازلت أيضاً أذكر الشيخ رحمه الله تعالى وهو في آخر لحظات العمر يتبادل أطراف الحديث مع جدي إذ قال له وهو

ذ. إدريس الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام الإتمان الأكملان على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وبعد؛ فتحدث اليوم عن شيخ جليل القدر، حسن الخلق والخلق؛ تميز بين أهل العلم في عصرنا هذا بتواضعه وزهده وورعه وصبره على المشاق والمتاعب في سبيل ربه تعالى، إنه الشيخ الفاضل، العالم العلامة، الفهامة النحرير، فقيه الأمة وفريد النوع؛ الدكتور فريد الأنصاري، الذي سافر إلى وليه ومولاه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجعله في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وجمعنا به في دار كرامته مع سيد الدعاة وإمام المتقين نبينا محمد ﷺ آمين.

لازلت أذكر وأنا في جنوب المغرب بإقليم الرشيدية الحدث العظيم الذي أخبرني به أكثر من واحد، عندما قالوا لي

التي جعلت حياته زهداً وورعاً وخشية وحملًا للرسالة بكل ما آتاه الله تعالى من قوة. ترى وتبصر في وجهه هم الدعوة، يفكر فيها الليل والنهار، بل وفي كل لحظة وحين، فكان بذلك رحمه الله تعالى يخاطب العقل والقلب معا بكتاب ربه العلي الكبير، الذي كان دينه وشغله الشاغل؛ لأنه عاش بالقرآن ذاكراً ومع القرآن متفكراً وفي القرآن متدبراً، حاملاً له في صدره، عاملاً به في حياته، مبلغاً إياه للامة.

هذا وإن ما كتبناه من كلمات لهو قليل، قليل في حق شيخنا الجليل، إذ القلم واللسان يعجزان عن الحديث والكتابة في أمثال هؤلاء الفحول من العلماء الربانيين المخلصين الصادقين. أسأل الله تعالى الرحيم الرحمان بمنه وفضله وجوده وكرمه؛ أن يمن على شيخنا الجليل بمنه، ويتفضل عليه بفضله، ويوجد عليه بجوده، ويتكرم عليه بكرمه، ويسكنه فسيح جناته، ويجعل قبره روضة من رياض الجنان، ويرحم والديه وموتى المسلمين أجمعين، ويلحقنا بهم مسلمين ثابتين لأمديدن ولاغيرين، ويجمع أبواه وزوجه وأبناءه وإيانا أجمعين معه في دار كرامته بجوار سيد الدعاة وإمام المتقين نبينا محمد ﷺ، آمين.



د. أحمد عزوي

مصيبة موت العلماء

دروس وعبر لأولي الأبصار من وفاة الدكتور فريد الأنصاري عليه رحمة الله الخالق الباري

■ **أولاهما:** العلماء وأساتذة العلوم الشرعية والدعاة والخطباء والوعاظ: ومن الدروس والعبر التي تستخلصها هذه الفئة من مصيبة موت هذا العالم الرباني ما يلي:

1- إن صفة الربانية لا يتصف بها العالم بمجرد الشهادات العلمية ولا بالمناصب العالية والرواتب الغالية، وإنما يتصف بها من علم وعمل وعلم، وصلح بالعلم وأصلح الناس به، وأخلص كل ذلك لله تعالى، وقد جمع الله كل ذلك للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله بفضلته ومنه، كما جمعه لغيره من الربانيين من قبله وفي زمانه.

2- إن العالم والداعية الربانيين يحبهم الله وملائكته ويضع لهم القبول في الأرض، فيحبهم الناس ويتقون في علمهم، فيلتفون حولهم، ويتعلمون منهم، ويتربون على أيديهم، وكذلك كان الدكتور رحمه الله. وخير دليل على ذلك إقبال كثير من الناس على خطبه ودروسه ومحاضراته ومجالسه، وقراءة كتبه ومقالاته، وحضور ذلك الجمهور الغفير من العلماء والدعاة وطلبة العلم والمحبين وعمامة المسلمين لتشجيع جنازته والصلاة عليه والدعاء له بالمغفرة والرحمة وقلوبهم خاشعة حزينة وأعينهم دامعة. وقد عبروا بالسنة مقالهم وحالهم عن شديد حزنهم وأسفهم لفراقه ورحيله.

وليعتبر من أعرض عن الناس عن علمه ودعوته وخطبه ومواظبه، وليعد النظر في طريقته ومنهجه وقصده وصلته بربه، ولا يتهم إلا نفسه، وليحسن الظن بغيره، وليعلم بأن كلا ميسر لما خلق له.

3- إن الخير في رسول الله ﷺ وفي أمته إلى يوم الدين، وأن من قال هلك الناس فهو أهلكهم، وأن جل المغاربة ما يزالون على الفطرة، كلما وجدوا العلماء الصادقين والدعاة المخلصين الذين يرفعون الغشاوة عن أبصارهم وقلوبهم، ويعرفونهم بربهم وبعظمة دينهم، أقبلوا عليهم والتزموا بدينهم، وصدقوا في تدبيرهم.

4- إن في موت أخينا فريد -رحمه الله- في سن التاسعة والأربعين لدرسا بليغا لكل من يؤجل تعليم الناس الخير ودعوتهم إلى الله، وتربيتهم على الإسلام، ويغتر بطول الأمل، ويشغل بديناه عن أداء الأمانة وتبليغ الرسالة حتى يفاجئه الموت، وهو مفرط في جنب الله تعالى، ويتمنى عندها التأخير إلى أجل قريب حيث لا تأخير. فليحذر أمثال هؤلاء أن يعدهم الله ممن يكتمون ما أنزل من البيانات والهدى فيعلنهم ويلعنهم اللاعنون ودرسا للذين يمزقون دينهم بترقيع دنياهم، فلا دينهم يبقى ولا ما يرقعون، ويشترون بآياته ثمنا قليلا فيأكلون في بطونهم نارا وهم يعلمون أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. أعاذنا الله جميعا من النار.

الجهل، وتنطمس النجوم التي يهتدي بها المهتدون، ويسود السفهاء ويستفتون فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ في قوله: «إنما العلماء كمثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة». وقوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا ففسلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (متفق عليه).

ومما ورد في تفسير قوله تعالى: «أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها» (الرعد: 42)، عن ابن عباس في رواية قال: «خرابها بموت علمائها وفقائها وأهل الخير منها».

وفي هذا المعنى قال الشاعر:
الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها
متى يموت عالم منها يموت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها
وإن أبى عاد في أكفافها التلف
ويقول الحسن البصري رحمه الله:
«موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار» (رواه الدارمي).

موت فريد خسارة للمغرب

وللمسلمين :

ولا شك أن موت أخي وأستاذي الدكتور فريد الأنصاري -رحمه الله- ليعد مصيبة عظيمة أصيب بها المغاربة عامة وأسرته الصغيرة والعلماء وطلبة العلم، ومدينة مكناس وجهة مكناس تافيلالت بصفة خاصة. وذلك لأنه -رحمه الله- كان عالما ربانيا حقا بالمعنى السالف الذكر، ولا أزكي على الله أحدا -حسب علمي به بحكم الصحبة والجوار والرفقة في الدعوة والإشراف على البحث العلمي أثناء إعداد رسالة الدكتوراه.

فبموته انطمس نجم يهتدى به، وقبض جزء من العلم النافع، ونقص طرف من أطراف الأرض، وحدثت ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء، وفقد حارس كان قائما على ثغر عظيم من ثغور الإسلام، فقد في منبره الذي كان يخطب عليه، وفي كراسيه العلمية، وفي مجالسه القرآنية، وفي محاضراته الجامعية، وجلساته التربوية. ورفع قلمه، وجفت صحفه، وأغلق حاسوبه. فآلهم ارحمه برحمتك الواسعة وأجر هذه الأمة في مصيبتها وأخلف لها خيرا منها.

دروس وعبر لأولي الأبصار في وفاة

الدكتور فريد الأنصاري :

إذا كانت الموت خير واعظ، والذكرى تنفع المؤمنين، والاعتبار من شأن أولى الأبصار من المسلمين، فإن أولى الناس بالتذكر والاعتبار عند موت العالم فقتان اثنتان :

الحمد لله الدائم فضله وبره، النافذ أمره، الغالب قهره، الواجب حمده وشكره، الماضي حكمه، العدل قضاؤه، والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. إن من سنن الله في خلقه أن جعل «لكل قوم هاد» يبشرهم وينذرهم ليلا يكون لهم على الله حجة بعد البلاغ والبيان. وختم الرسالات السماوية بالقرآن الكريم، وختم المرسلين بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث رحمة للعالمين ورسولا إلى الناس أجمعين، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

وظيفة العلماء في الأمة :

إن الله اصطفى من أمة محمد ﷺ علماء ربانيين يرثون رسوله الأمين، ويخلفونه في أمته، يتلون عليها آياته ويزكونها ويعلمونها الكتاب والحكمة، فقال تعالى في حقهم: «ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون» (آل عمران: 79)، وفي قراءة (تعلمون) بتشديد اللام وضم التاء. والربانيون واحد منهم رباني منسوب إلى الرب، وهو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. وهو المقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: هو العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه، وإذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم، لأن فائدة الدرس العلم، وفائدة العلم العمل. قال مجاهد: (الربانيون فوق الأخبار)، وقال النحاس: (وهو قول حسن، لأن الأخبار هم العلماء، والرباني الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة). وقيل: هو العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العارف بأبناء الأمة وما كان وما يكون. وقال الحلبي: (الرباني منسوب إلى الرب بمعنى التربية، وذلك أن العلماء يربون العلم، أي يصلحونه ويتعلمونه ثم يربون الناس به فيعلمونهم كما تعلموا، ويصلحونهم كما صلحوا هم به) أنظر تفسير القرطبي لهذه الآية الكريمة فيها ولآء العلماء يحفظ دين الأمة، وتضان عزتها وكرامتها، ويزاد عن حياضها، وتتضح معالم الدين، وتحيا السنة وتموت البدعة، ويظهر الحق ويذهب الباطل. وبهم يتم الدفع فتصلح الأرض ولا تفسد، وتحمي الصوامع والبيع والصلوات والمساجد التي يذكر فيها اسم الله كثيرا ولا تهدم لقوله ﷺ، (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين) أخرجه الحافظ الهيثمي.

أي خسارة تحصل بوفاة العالم؟ :

ومن كانت هذه صفاتهم وأعمالهم، فكيف يكون الحال عند موتهم وقبضهم؟ إن موت العالم الرباني ليعد أعظم مصيبة تصاب بها الأمة، لأن بموت العلماء يقبض العلم وينتشر

6- أن يبتغوا الأجر عند الله تعالى بدعوتهم برفع الدرجات في الجنان، والنظر إلى وجهه الكريم، وبأن يرزقهم حبه وحب من يحبه وحب كل عمل يقرب إلى حبه، وأن يحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. وأن يعلموا أن خير مكافأة وأفضل هدية يقدمها لهم تلامذتهم ومحبوهم هي دعواتهم الصادقة بالسنة لم يعصوا الله بها قبل موتهم وعندها وبعدها.

6- وأن يتفاعلوا ولا يياسوا، وييسروا ولا يعسروا، ويبشروا ولا ينفروا، ويلزموا القول الحسن، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والوسطية والاعتدال، ويتجنبوا كل ما يثير الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويتطاولوا ولا يختلوا، ويتحابوا ولا يتعادوا، ويتعاونوا ولا يتحاسدوا ويوقنوا بأن النصر من عند الله وأن العزة لله ورسوله وللمؤمنين.

■ **وثانيهما:** طلبة العلوم الشرعية: ومن الدروس والعبر التي يستخلصها كل طالب للعلوم الشرعية من وفاة العلماء ما يلي:

1- أن يبادر إلى اقتباس العلوم الشرعية ويجتهد في طلبها قبل هجوم تلك الأيام الدنيئة الرديئة التي يرفع فيها العلم ويقبض، وينتشر الجهل ويسود الجهال. لأن العلم يقبض بقبض العلماء كما جاء في الحديث، وكما في قول ابن مسعود ﷺ: «عليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعته هلاك العلماء» (رواه الدارمي).

2- أن يعلم بأن الأمة في حاجة إليه، تنتظره ليسد الثلثة التي حصلت في الإسلام، ويقوم على الثغر الذي تركه العالم الهالك، ويحل محل النجم الذي انطمس، ويبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة.

3- أن يخلص النية لله في طلب العلم حتى يسهل الله له بذلك طريقا إلى الجنة، ويكون من العلماء الربانيين الوارثين لسيد المرسلين، الذين رفعهم الله درجات، وأشهدهم على وحدانيته وقيامه بالقسط، وشهد لهم بكمال الخشية منه.

4- أن يعلم بأن هناك فرقا كبيرا بين أن يكون أستاذا وبين أن يكون عالما، وأن بينهما عموما وخصوصا، فكل عالم أستاذ، وليس كل أستاذ عالما. بارك الله في أعمار علمائنا ودعاتنا وفي علمهم، ونفع الله بهم وأصلح ما فسد في هذه الأمة على أيديهم.

ويسر الله أمر طلبة العلم وسدد خطاكم وعلمكم ما ينفعكم ونفعكم بما علمكم وفتح بصائركم، ورحم الله أخانا فريد الأنصاري ووسع مدخله وأكرم نزلته، وغسله من الخطايا بالماء والثلج والبرد. وإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العلمين.



محور : مراثي شعرية



نم يا فريد فكم سهرت لأجلنا ووقفت للشيطان بالمرصاد
فرددت كيد الكائدين ومكر من يدعو إلى التنصير والإلحاد
.....
فللرحمان أودعناك يا من إلى الرحمن أثرت اقترابا

د. حسن الأمrani



د. محمد الروكي



ذ. حمو أورامو



ذ. عبد الرحمن الوافي



ذ. محمد الشرقي



ذ. المداني عداي



ذ. بدر العمراني الطنجي



ذ. عدنان أجانة



محمد بن عمر الصير



■ فارس بلا جواد

■ توديع عالم

■ نم يا فريد

■ في رثاء فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

■ مراثية الأخ العزيز الداعية فريد الأنصاري

■ هاتف من اسطنبول

■ فأنت الحي بالإكرام سامي

■ رثاء الدكتور فريد رحمه الله

■ مراثية فقيه الأمة الدكتور فريد الأنصاري





فارس بلا جواد

في مديح النخيل السجلماسي

د. حسن الأمrani



لقد اختار موكب النور لحدّه
له فالقى لجنّة الخلد وجده
ن عبير الأشواق في البدء مهده
وهديل الأشعار كان مخدّه
ب، فقد أن أن يعانق غمده
تي فرداً مولى سينشروده
ق وكان النور المؤيد جنده
برز الأفق أصبح النور عده
ب وألقى إلى المساكين رفده
لا ولا خان في الحوادث عده
وى فأوما له، فأدرك قصده
ل) صلاة، ويصبح الليل ورده
أنس البحر راج يركب مده
يتلظى، لا شيء يبرد وقده
كيف خلّفت صاحب الدرب وحده؟
في قيود، فمن يحطم قيده؟
ح سراجاً يضوي، ويزرع وده
فأعزني جواد حبك واندّه
صدقوا وعدهم.. ويصدق وعده

صدق الوعد.. ليس يخلف وعده
ضاق عن وجده الزمان وما في
برج الشق بالمحب وقد كا
ونخيل الأنصار كان عريشاً
صارم ما نبا على كثرة الضر
آن للفارس المتسيم أن يا
(آخر الفرسان) امتطى صهوة العش
سلك الشعب، لا حطام، فلمّا
السجلماسي انتضى ريشة الح
ما تولّى حين ادلهمت خطوب
كان (كشف المحجوب) غايته القص
علم الناس كيف تغدو (القنادي
شق للصحب درب عشق فلمّا
يا خليلي، تركت قلباً يتيماً
يا خليلي حقاً، وصاحب دربي
هو للنور ظامئ ويده
ونداء المحبوب يوقد في الرو
وأنا فارس بغير جواد
ما على العاشقين إثم إذا ما

إشارة: (كشف المحجوب) و(آخر الفرسان) و(قناديل الصلاة) من مؤلفات فريد الأنصاري رحمه الله.

مرثية الأخ العزيز الداعية فريد الأنصاري

د. محمد الشرقي



ثوى زين الدعاء بلا وداع
بأرض الروم قد حم التداعي
فخزرجها بكت أسفا لباع
على فقد المخلد باليراع
وهامته أزاهير المراعي
وشعر الرزء رزء في الدواعي
رحيل السجلماسي ذي المساعي
وأفنى عممه يفتي وداع
ومنبره يهلل للدفاع
قصائده ترقش في الرقاع
وهمام إذا فحت أفاعي
وينصح للعقارب باليراع
ويصبر في الإذابة للواعي
ويبسم للأسود وللضباب
وآدابا توصل للمساعي
تلحن في المعاهد بالسماع
ويمخره فريد بالشرع
ينضدها فريد كالمناجاة
فيفحم فحلها دأب الشجاع
بكاء العلم والأدب الرفاع
وعلمها يودع بالتباع
بنزع العلم يرفع بالضياح
وفردوس وحوور في الرقاع
يكافؤ قدر علمك في الرقاع

فجعنا في فريد باللواعي
قضى والنورسي له أنيس
تهاوى كوكب الأنصار فيها
ومغربنا ينوح له أنين
ثوى شيخ الأصول بلا مشيب
ورمي الدهر للأحباب رزء
دعاة المغرب المفجوع تبكي
فتى أبلى بلاء في جهاد
عروش العلم فارسها فريد
وشاعرنا رقيق الشعر فحل
جسور في سبيل الله ليث
يقدم في المحجة (❖) خير نصح
يرد على المساءة رد حلم
ويبدي للكواشح سن حلم
رسائله يضمها علومها
أخو علم يحاضر في فنون
أصول الشاطبي عباب يم
وكتب النورسي فنون قول
فتى الأشعار ينظمها مجيدا
فإن أبكي فتى الأنصار عذري
ألا فابكوا معي بدرا أفولا
كذلك الدين يرفع من عباد
فتى الأنصار فزت بدار خلد
سقى مثواك قطر مع غمام

(*) جريدة المحجة المغربية نشرت له مقالات ودراسات عديدة طيلة مسيرتها الإعلامية.



د. محمد الروقي

إلى الذي وهب فكره للقرآن، فعاش بالقرآن للقرآن
إلى الذي منح حياته لبلده فعاش في بلده لبلده
إلى الداعية المجاهد، العالم المنافع، الواعظ المربي..
إلى الأخ العزيز، والصديق المخلص، الاستاذ الدكتور
فريد الأنصاري رحمه الله، أهدي هذه القصيدة
تعبيراً عن مشاعر الحب وعزاء في المصاب.

توديع عالم

ودمع العين ينسكب انسكابا
كمثل الماء ينساب انسيابا
ودور العلم تكتئب اكتئابا
يفتت من فدا حته الصلابا
يفتح للهدى عشرين بابا
يروي من مناهله الصحابا
مباركة في عصرها رضابا
يزيح به الغياهب والضبابا
فيحيي من تدفق اليبابا
يفسره فيسمعنا العجابا
يغرّد فوق أيكته العذابا
يسامق في مكاته السحابا
وقد فجعت وعانيت المصابا
تشيّع وتلتهب التهابا
وترمقه تكاشفه الحجابا
نودع عالما ولي وغابا
تسنم في رسالته القبابا
على الإسلام عاش له ثيابا
إلى الأنصار ينتسب انتسابا
أديبا شاعرا نجما شهابا
إلى الله المنادي فاستجابا
بأيدينا نواريه الترابا
فعند الله يحتسب احتسابا
فللفردوس قد أخذ الرقابا
إلى الرحمن أثرت اقترابا
توافدت الجموع له انكبابا
أمير المؤمنين به كتابا

دماء القلب تضطرب اضطرابا
وفي الأحشاء والانفاس نار
تجهمت المناير عابسات
وفي مكناسة حزن عميق
على من مات داعية خطيبا
على من عاش للقرآن إلّفا
ويجني من معارفه ثمارا
ويقبس من لآئله شعاعا
ويغرف من منابعه معينا
إلى من عاش للقرآن حبرا
إلى من عاش للقرآن طيرا
إلى من عاش محبوبا عزيزا
وها الآلاف قد جاءت إليه
تقاطرت الوفود إلى فريد
وتمحّضه المحبة والتحايا
ألا يامعشر الأحباب إنا
نودع عالما حرا أبيّا
نودع عالما بطلا غيورا
نودع عالما شهما كريما
نودع عالما فذا فريدا
نودع عالما يقظا دعاه
وها نحن امتثلنا واستجبنا
فإن عدنا وما معنا فريد
وإن عدنا وما معنا فريد
فللرحمن أودعناك يا من
وهون من مصيبتنا عزاء
عزاء حائز شرفا وأعطى

رثاء الدكتور فريد رحمه الله

د. عدنان أجانة

كبير قدره عال المقام
بهذا النعته فردا في الأنام
وزين علمكم خلق الكرام
تضيء سما الجهالة والظلام
وكان دعاه مرعي الذمام
دروب الجهل بالكلم التمام
بها داويت أنواع السقام
تقوم مقام شاهدة الكلام
فقد بقيت علومك في الأنام
وأكرمكم بمحمود المقام
فبينكم أمر من الفظام

رعاك الله من شيخ جليل
فريد علمكم فلذا دعيتهم
لقد حزت الإمامة باقتدار
فلما أن كملت وصرت بدرا
دعائك إلى لقاء الله داع
تذكرني بكم كتب أنارت
وألقيت الدروس منوعات
وألفت المهذب من بحوث
لئن كان الممات طواك عنا
جزاك الله عنا خير أجر
نودعكم ونسلمكم لزاما



فأنت الحي بالإكرام سامي

✍️ بدر العمراني الطنجي

(رعائك الله من شيخ (همام))
أبي النفس شهم ذي مضاء
(فريد علمكم فلذا دعيتهم)
سرى في الناس عرفاً مستطاباً
(لقد حزت الإمامة باقتدار)
جمعت العلم بالتحصيل حرصاً
(فلما أن كملت وصرت بدراً)
سموت منير درب الخير عزاً
(دعائك إلى لقاء الله داع)
دعاء الحق لا تبديل فيه
(تذكرني بكم كتب أنارت)
ونقد جد بالتصريح جمعا
(وألقيت الدروس منوعات)
بكل فصاحة أديت حقاً
(وألفت المهذب من بحوث)
غدت أصداؤها في كل صوب
(لئن كان الممات طواك عنا)
إذا الترب اصطفتك لها خليلاً
(جزاك الله عنا خير أجر)
وأسعدكم غداة لقاه يوماً
(نودعكم ونسلمكم لزماً)
فراقكم يعز على فئام

جليل الشأن في كل المرام
(كبير قدره عال المقام)
إلى الأنصار ميمون السهام
(بهذا النعت فردا في ارتسام)
وكننت النجم في ليل العتام
(وزين علمكم خلق الكرام)
ترأى للدنا سر النظام
(تضيء سما الجهالة والظلام)
فلبيت النداء بلا اصطلام
(وكان دعاه مرعي الذمام)
بيحث زانها صدق الختام
(دروب الجهل بالكلم التمام)
لدى التفسير: فقه بانتظام
(بها داويت أنواع السقام)
لها الأسفار تزهو في اهتمام
(تقوم مقام شهادة الكلام)
فأنت الحي بالإكرام سامي
(فقد بقيت علومك في الأنام)
يطيب شذى على مر الدوام
(وأكرمكم بمحمود المقام)
ولا نعطي الخيار بالاحتكام
(فبينكم أمر من الفظام)

نم يا فريد



في رثاء

الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

✍️ د. حمو أورامو

(من علماء القرويين)

أمست قواعده بغير عماد
فخلت جوانبه من الرواد
تهوي ولو كانت من الأطواد
وزلازل الأشجان في الأكباد
متتابع الإبراق والأرصاد
من روضنا شيئاً سوى الأفتاد
فإذا بهار ربح كعارض عاد
أمست على عجل يد الإبعاد
إن الزممان لمنذر بعوادي
لم يستفك حتى دعاه مناد
ببياضه، لفعتنا بسواد
لله نرجو ذخيره لمعاد
مشكورة الإصدار والإيراد
تبقي جدار الكنز للأولاد
وتعود عين الماء للوراد
ويخلد الأجداد بالأحقاد
لك من عظيم مودة ووداد
وتركتني وحدي لثقل عتادي
بين الأنام كقسمة الأزواد
من لنقسمة على الأفراد
نحو العلا بالوعظ والارشاد
مسترسلا في النوم فوق وسادي
ظهري وأقلق راحتي ورقادي
فيما أتت من شهوة وفساد
لما تزل في غفلة وتماد
حتى فقدت نباهتي ورشادي
مملوءة بخطيئتي وعنادي
ووجدتها مسودة بمداي
متظلمة كي أستر رشادي
فركبت في العصيان ظهري جوادي
من بعد هذا كي أجمع زادي
ووقفت للشيطان بالمرصاد
يدعو إلى التنصير والإلحاد
فغسلت ما فيها من الأحقاد
وأريت من زاغوا طريق رشاد
وحضور إرثك لم يزل في النادي
للروح بين هياكل الأجساد
في الناس بين سلاسل الأمجاد
ودعنا، فإلى لقاء معاد
ما بين سار: رائح أو غاد
تسقى بها بروائح وغواد
وسكنت في الفردوس أخصب وادي
إننا نراك لها لذنو استعداد
ونزلت ظل العرش للإبراد

الله أكبروا مصاب النادي
خرت علينا بغتة شرفاته
نبكي بأفئدة تكاد لهوله
نشطت براكين الأسى بقلوبنا
فسحاب حزن ممطر بغزارة
هبت أعاصير المصائب فلم تذر
ولكم رجونا رعي زهرة غيثها
أوكلما مدت يد لوصالنا
يا من يرى مسترسلا في غيه
كم ضاحك مستبشر في غفلة
يا من غدا في نعشه متلفعا
إننا احتسبنا ما أصاب قلوبنا
إننا نرى لك في المبرة صولة
إننا لنرجو أن تكون وقاية
حتى تقر العين يوم بلوغهم
حتى يرى الآباء فضل دعائهم
الله يعلم وحده ما صنته
خضفت رحلك فانطلقت مبكرا
لو كانت الأيام تقبل قسمة
لبذلت ما في صرتي منها بلا
حتى تسير بركبنا متوجها
كنت النذير ولم أزل مستلقيا
وزري الذي حملت أنقض ثقله
نفسى استلذت غيها فأطعتها
سمعت نداء الحق إلا أنها
تبعت هواها حقبة فتبعتها
قد أدبرت وتكاسلت فصحائفني
ماذا أقول إذا نظرت سطورها
لو كان غيري من جنى لرفعته
لكنها أمارتي هي من دعت
فإليك وعد الحراني مقبل
نم يا فريد فكم سهرت لأجلنا
فرددت كيد الكائدين ومكر من
وصدعت بالقرآن غلف قلوبهم
ووقفت في وجه التطرف والهوى
عمرت فينا لن نعدك غائبا
لو كنت ممن يدعون تناسخا
لرأيت روحك في الوري متنفلا
ولكن هيهات العقيق ومن به
تلك السبيل لكل حي لم نزل
إننا لنرجو أن تبوأ منزلا
أبدلت أهلا لا تمل جلوسهم
بجوار من يدعى تشفع في الوري
وسقيت من حوض النبي محمد

هاتف من اسطنبول

✍️ د. المداني عداوي

جاءتك النعاة..
وأنت في دو الدنا ضائع تتوجع..
ولهدير الصمت في عينيك ألم السنين
منها نائح ومتفجع..
فجأرت بصبر جميل :
رباه ألهذا القلب كل يوم مصرع؟
أعزي النفس أم أمنيتها..
والركب دونها راحل ومودع؟
هاذي قوافلهم تتالت..
والقفر من بعدهم قفر
وغراب البين على رموش العودة قد تريع..
لمن أحكي ما تبقى من صمتي..
وأنت يا قلب خلف آثارهم تبكي وتدمع..
من بعيد تحمل همسك لي ريح اغتراب
هي الطعن في كبد ما عاد فيه للصبر موضع..
ورسائلك لي - يا ذا الغربتين
أنا..
عبرات..
وأطياف ذكرى ما زالت - كل عمر
من رحم الخلد تتجدد..
فقلت أه.. ثم أه..
عد يا قلب قلبي.. والعود أحمد..
هيهات.. هيهات رد الصدى..
ألك - بعد رحيلهم - في ذي الحياة وطراً أو مستمتع؟
أم تراك يا صاح ما دريت - بعد نواحهم -
أنك كنت المودع والمودع؟؟



مرثاة فقيد الأمة الدكتور فريد الأنصاري



الطالب اليمني : محمد بن عمر الضير
وحدة الدرس القرآني والعمران البشري - مكناس

واستبدت مشاعر الأحران
والأسى صاحب بكل مكان
حرقه من مرارة الفقدان
من أولي الفضل للمكارم بان
فاضل عالم فريد الزمان
"لفظه الدر في عقود الجمان"

xxxxxxx

نصب عينيّه أمة القرآن
بعثته حرارة الإيمان
طيب القصد رائح التبيان
"يخصب الفكر من فنون البيان"
نير الفكر عبقرى الجنان
يرتقيها لطاعة الديان
منه تسمو النفوس بالإيمان

xxxxxxx

كل فرد فينا يعد الثوان
ترتجيه النفوس في كل آن
لم نصل بعد فوق شط الأمان
وفطرت القلوب بالأحزان
لسراج بأفقه الأرجوان
وتوارى به بهاء المعاني
فلقد غاب فارس الميدان
لا طريق ينار للفتيان
ملء روعي وفكرتي وكياني
باقتدار وبلغة في البيان
مد جسري سير في إمعان
وبهاء ينافس القمران

xxxxxxx

من رفاق العلا ودرب التفان
همكم، همهم عظيم الشان
لنهوض بأمة القرآن
في طموح معزز الأركان
به يزهو على المدى المغربان
ولها المشرقان يبتدران

xxxxxxx

قد عزمنا المضي في الاقتان
يحمل الهم دون أي توان
منه عوناً محققاً للأمان
في مقام جزاؤه جنتان
مع أبرار سورة الإنسان
أنعم الله عاليات الجنان
خاتم الرسل داعي الرحمان
لكم زفه أسير يماناني

ألم حل بالفؤاد المعاني
واكتسى الكون حلة من ظلام
أذرف الدمع من دمي وبقلبي
مذ تناهى لمسمعي موت فذ
سيد ماجد نبيل جسور
عبقري كريم خلق أديب

xxxxxxx

عاش همماً يفوق كل ابتلاء
نأ بالجميل، غير أن صموداً
فانبرى مشعلاً يضيء دروباً
لؤلؤياً بلطفه ألمعياً
"ينثر الدر إذ يقوم خطيباً"
يجذب الروح في انسلال عجيب
من رحيق الفرقان يمتص شهداً

xxxxxxx

كيف فارقت يا حبيب البرايا
لسرور بقر بكم ولقاء
"كيف غادرت والليالي شكول"
أوحقاً رأى الوجود غروباً
واكتسى المغرب الحبيب سواداً
بعده لن يطل أي نجاح
وانتهى بالرحيل منه ضياء
ألف كلا؛ فأنت ما زلت حياً
تملأ الأرض ناشراً أفق علم
بمشاريع ضخمة بها نرجو
لعلا خير أمة باقتدار

xxxxxxx

قر عيناً فإن خلفك أسداً
زملاء يعيش في أفئدتهم
وشيوخا يسخرون حياة
وتلاميذكم على الدرب ساروا
يبذلون الجهود في خير سعي
شعلة العلم قد تركت منارا

xxxxxxx

فلتطب يا فريد نفساً فإننا
وسنمضي بما بدأت بعزم
سائلين الإله رب البرايا
وشأبيب رحمة منه تترى
في نعيم مقيم لا وصف فيه
مع نبي الهدى وممن عليهم
وصلاة المهيمن الفرد تغشى
وسلام الإله ينشر فيكم

للعالمين تقول في إصرار:
هو حسبنا من ذلة وصغار
هو حصننا، فاحسباً رهيب دمار
هو فلكنا في ساعة الإبحار
هو نورنا؛ نور الاله الباري
في الأرض يفش زائف الأنوار
هاهم سعووا في سائر الأقطار
يجلي دجى متعاطم استكبار
ياذا القضاء المبرم القهار
بعد النوى ألقى عصا التسيار
كفاته رُحماً كخير قرار
وعلى الصحابة آله الأظهار
ما الطير غنت في ذرا الأشجار

أبشر، فإننا رغم قهر أمة
- "قرآننا مهما تكالبت العدى
قرآننا مهما جهاد أجهدا
قرآننا مهما تبدى مبعدا
قرآننا مهما الظلام تمهدا
لا نور إلا نوره مهما غدا
يا ربنا فأعن دعاة رشدا
كيما يرى النور المحمل بالهدى
يا ربنا يا قاهر الخلق بالردى
هوذا بدار الحق عبدك قد بدا
فردا أذاك. كغيره يرجو ندا
ثم الصلاة على رسولك أحمدا
وكذا السلام مجددا ومرددا



في رثاء فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

ذ. عبد الرحمن عبد الوافي

ألبستها بيد القضاء القهار
مات الحبيب فريد نا الأنصاري
مثل الزوابع في فضاء قفار
فيك العيون بمدمع مدرار
أحزانها قدر من الأقصادار
تروي القلوب بأفجع الأشعار
بالسائر الزائف الأبطالار
حب كحب النحل للأزهار
حكم المقابر في ابن آدم جاري
قد كبروا بسكينة ووقار
لا شيء أفضع منك في الأنظار
تنمى إلى خلد بدار قنار
إنا لنحسبه من الأبطالار

♦♦♦♦

عم البلاد بريحه المعطار
"جرف" النخيل، ودوحة الأنصار
من نور مشكاة الهدى الثرار
في قومه يتلى بلا استبحار
بين الألى سجدوا للاستعمار
مثل الأواني في مرافق دار
آياته في أمة المخضتار
في خلوة غراء بالأنوار
حتى جنبيت به عجيب ثمار
كالغيث إذ يحيي موات برار
بجوارطه وصحبه الأظهار

♦♦♦♦

أفريد هذي صرخة المحطار
وكذاك عمر كواكب الأسفار
من يتممه يبكيك ليل نهار
مذ سال يهدي الناس خير مسار
بجمالها في تلكم الأسفار
كقريضة قمر بنوره سار
فرحا بلقيا الراحم الغفار
لاتعتبن، فأنا أخو الفضار
لله ربي قد تركت صغاري
قد عادني في لجة التذكار
كالطبي بين نيب أفتك صار
مما جرى لك ظاهر الأكدار
هوذا يرد علي باستنكار
في صحبة محمود الأثار
بالله ربي كاشف الأضار

♦♦♦♦

ربي بها متجأوا أوزاري
في حضرة قد سقفت بحجار
جم الشذا كالروضة المعطار
أجلي به قدرا من الأقصادار
في حزن صحب لي هناك خيار
لولا الردى، طاحونة الأعمار
وأعنته بالقول في إكبار
فالعطر من هاتيكمو الأزهار
متفرد في سائر الأعصار
وتقى وذكر قل في الأذكار
وجزاهمو الأوفى بتلك الدار

♦♦♦♦

يا أيها القرآني المتواري

أسى فؤادي أم عيباء نار
من يوم أن صاح النعاة بحسرة:
لا عذر هذا اليوم إن لم تضطرب
لا عذر هذا اليوم إن لم تنفث
وبألف ألف خبيثة محزونة
لا عذر أو تهمة المراثي ثرة
أجنازة العذق الألد ألا أرفقي
الحاملين النعش في كمد وفي
أكتافهم علقت به لكنما
فلتنظروهم عند قبر ظاهر
يا قبر، يا من قال فيك المصطفى:
بالله كن لفريد دين روضة
بالله ربك ضمه بسماحة

♦♦♦♦

أفريد ذكرك بالردى القهار
لم لا وأصلك طيب ينمى إلى
لم لا وعلمك مستمد نوره
لما رأيت كتاب ربك قد غدا
بل قد غدا مهجور شرع فائق
بل قد غدا واحسرتاه زينة
سارعت بالعلم المسدد زارعا
يا عاشق القرآن تتلو آيه
لازلت تتلو به بخير تدبر
علما به أحييت هديا في الوري
فجزاك ربك عن جهادك جنة

♦♦♦♦

أفريد همك لا دعي باوار
«يا كوكبا ما كان أقصر عمره
أبكيك أم أبكي يراعا قد غدا
يا لليراع ويا لنور مسداده
كم خط من قطع يسر جلالها
فسما سموا في البيان فنثره
يا صاحبي يا من يرى اليوم راحلا
- من للصغار؟ ولجت منكسر الروى
برضى أجاب:- وبالسسر جوابه:-
تابعت قولتي: يا أخي هذا الأسى
ضردهاك فصرت بين نيوبه
أيوب هذا العصر أنت فخاقي
ويحي! "أبو أيوب" عما قلت له
- يا صاحبا قد كنت آنس رشده
ضري بلاء لذت فيه بسرعة
فامتن علي بدعوة علي أرى
يا إختوتي إني وإن صرت ناويا
فلسان روعي مرسل شكرا لكم
بلد النورسي إيه يا بلدا بدا
يا للأخوة كم نعمت بدفتها
من قاوموا دائي بطيب فائق
أسكتة حدبا عليه ورحمة
لا تعجبوا من برهم ووفائهم
أو تعجبون وهم فسائل جهيد
من تعلمون: سعيد علم خارق
فالشكر مرفوع إلى "إحسانهم"

♦♦♦♦

إيه أبا أيوب الأنصاري



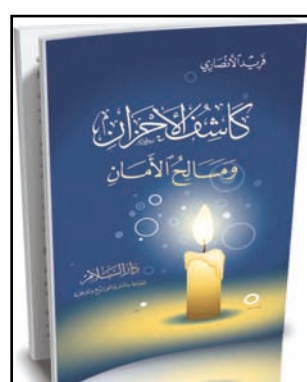
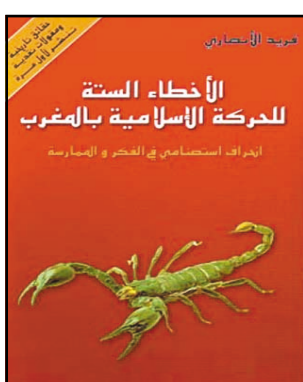
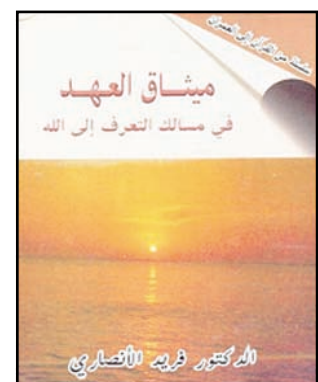
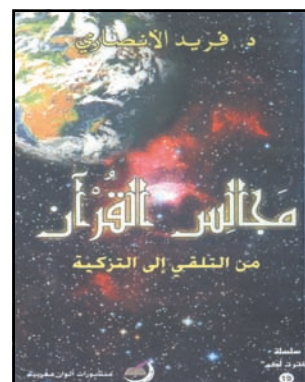
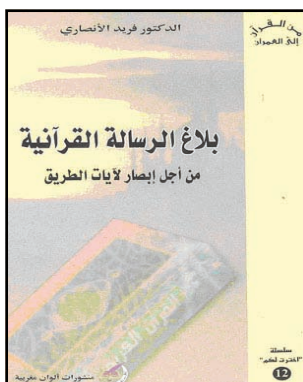
محور : سيرة وآثار

ذ. عبد الحميد الأنصاري

■ أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر

د. رشيد سلاوي

■ وراقية عن أعمال الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله عز وجل





د. عبد الحميد الأنصاري
(طالب باحث في الدراسات الإسلامية،
وشقيق د. فريد الأنصاري، رحمه الله)

النسب والنشأة

(بحاير الأنصار): قصر قديم في واحة تافيلالت، لم يبق منه إلا أطلال، قدر الله عليه سيلا فرق أهله في أرجاء الواحة. وكان من النازحين محمد بن المكي القاضي، الذي نزل في (الجرف) فقيها على طريقة الشرط، ولِد له حسن الضرير الفقيه العالم أبو محمد أبي حسن أبي فريد الأنصاري.

كان أبو أيوب الأنصاري يُرجع نسبه، بناء على بحث قام به بنفسه، إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة رضي الله عنه.

وُلد فريد الأنصاري، رحمه الله، في التاسع عشر من ربيع الثاني، سنة ثمانين وثلاثمائة وألف هجرية، الموافقة لسنة ستين وتسعمائة وألف للميلاد، في قرية (أنيف)، إذ كان والده، خريج القرويين، معلما هناك.

وكان، رحمه الله، يُرجع الفضل في بذرة التدين فيه، إلى والدته عائشة مهاجر، رحمها الله، التي تربت في حجر جدتها لامها الأمازيغية التي لم تكن تفتقر عن الذكر. نشأ في صغره، يجيد الأمازيغية ويتكلم بها، واحتفظ بقدرته على فهمها في كبره، وإن كان نسي الإفصاح بها!

انتقلت العائلة بعد إلى (الجرف)، ونشأ أبو أيوب بقية طفولته هناك، في جو عائلي وبيئي شبيه جدا بما كتب في (كشف المحجوب)، فالبيت الموصوف في الرواية، بمن فيه، يكاد يكون بيت جده.

بدايات الرحلة

أتم تعليمه الابتدائي سنة (1974 م)، وقد حكي الأستاذ أن والده، رحمهما الله، أسقطه في هذه المرحلة سنتين اثنتين تشديدا منه عليه في التأهيل العلمي!

وبانتقاله، رحمه الله، إلى المرحلة الإعدادية كان عليه أن يغادر البيت إلى بلدة (أرفود) القريبة، فأقام مدة في بيت عمته، ومدة في السكن الداخلي التابع للمؤسسة التعليمية.

كان شغولها بالقراءة، فلم تكن أنامله تهمل أي كتاب تقع عليه من أن تتصفحه إلى أن تأتي على تمامه، فقرا، وهو في المرحلة الإعدادية، كتاب (في الشعر الجاهلي)، وروايات المنفلوطي، وروايات جرجي زيدان...

وبانتقاله إلى المرحلة الثانوية سنة (1978 م)، التي درسها في بلدة (كلميمة)، كان له أول احتكاك عملي مع فكرة الدعوة الإسلامية؛ ففي سنته الأولى من هذه المرحلة الدراسية، وفي حجرة من السكن الداخلي للمؤسسة التعليمية، كان يجالس عفوا بعض التلاميذ، فشرع أحدهم يتحدث عن الحركة الإسلامية، مجتهدا في الدعوة لفكرتها، إلا أنه بدا لأبي أيوب، رحمه الله، أن جلسه أساء من حيث أراد أن يحسن، فرد عليه مصححا بناء على المعلومات التي استقاها من قراءاته، ثم بعد مدة ليست بالطويلة من ذلك النقاش، اتصل بأبي أيوب صاحبه الذي تكلم عن الحركة الإسلامية، وعرض عليه أن يطبقوا ما تناقشوا حوله، فاستحسن أبو أيوب الفكرة، واتصل ببعض أصدقائه ممن ينحدرون معه من نفس

القرية، وعرض عليهم فكرة أن (يصنعوا) شيئا اسمه (الإخوان المسلمون)؛ فتحمسوا لذلك كثيرا، كما حكي رحمه الله.

كان من أهم زادهم آنذاك في جلساتهم اشربة الشيخ عبد الحميد كشك، كانوا يجتمعون عليها ليلا، والظاهر مما كان يحكي، رحمه الله، أن الأمر يتعلق بتصرف عفوي من يافعين، وليس بتنظيم له برنامج واضح.

ومن الوسائل التي كانوا يستعملونها في نشاطهم الدعوي، مجلة تُكتب في دفتر يتداولونه بينهم، وكان أبو أيوب، رحمه الله، صاحب فكرتها والمُشرف عليها.

عندما ختم، رحمه الله، تعليمه الثانوي سنة (1981 م)، وفي العطلة الصيفية، باع دراجته العادية، وسافر، دون أن يخبر أحدا من أهله، إلى مخيم بالعرائش.. كان المفروض أن يمكث أسبوعا أو ما يقارب، لكنه أثر الاستزادة، فجعل يخيم مع كل فوج يجيء إلى أن أتم شهرا. وقد كان أول مخيم له في حياته، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

في رحاب الجامعة

التحق، رحمه الله، بالجامعة في (ظهر المهرز) بفاس، سنة (1981 م)، وهي السنة الثانية من تأسيس شعبة الدراسات الإسلامية، فاختارها مسلكا علميا له.

بدأ مرحلته الجامعية متشعبا بالفكر السلفي وبفكر تقي الدين الهلالي وصداه، رغم أن الطابع الغالب على محيطه العائلي كان ميلا إلى السلوك الصوفي على الطريقة التجانية.

فقد الله أن التقى، أول من التقى، بإخوة من جماعة الدعوة فعاشهم سنته الأولى، وفي هذه السنة ألقى أول درس له في مسجد قريب من الجامعة. حكي، رحمه الله، أنه تخرج من ذلك كثيرا وطلب الإعفاء، لكنه لم يُعَف، وكان الموضوع حول شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحدث، بين التكليف بالموضوع وإلقائه، أن سافر في عطلة وسط السنة الدراسية إلى قرية (أنيف) مسقط رأسه، وأعد هناك درسه في جبل صغير مطل على القرية، معتمدا على (عقريه عمر رضي الله عنه) للعقاد.

وكان هذا درس أول تجربة دعوية له، رحمه الله، تركت آثارها على شخصيته، وقوت ثقته بنفسه.

ثم بعد ذلك التقى بشباب من (الشبيبة الإسلامية)، فصاحبهم بضعة أشهر، لكن نفره منهم، حسب ما روى رحمه الله عن نفسه، أنهم كانوا يعلنون عن أهداف ضخمة، وعملهم أقل بكثير من أهدافهم التي يدعون، فغادرهم بسلا.

كان في سكنه الجامعي بفاس مخالطا لشباب جماعة الدعوة بفاس، وشباب الجمعية الإسلامية بالقصر الكبير، فغلب عليه مسارهم ولزمتهم، وبقي يحفظ رقم غرفته، التي كان الإخوة يتناوبون عليها.. كانوا يسمونها كما يروي، رحمه الله: (الزاوية).

ويحكي عنه، أنه كان من حين لآخر، يأخذ فراشه، ويذهب إلى مقر رجال التبليغ، فيبيت معهم.

حكي عن نفسه، رحمه الله، أنه لم يترك ديوان شعر في مكتبة الكلية لم يقرأه، وحفظ من الشعر الكثير، ثم نسيه على عادة الشعراء في تعلم صناعة الشعر.

بدأ كتابة الشعر وهو في المرحلة الثانوية، وفحل وهو طالب في الجامعة، فأرسل في هذه الفترة قصيدة لإحدى المجلات المغربية، فلم تُنشر، وأجيب في ركن

الرود: (نتمنى أن تكون هذه القصيدة لك!)، والظاهر من روايته، رحمه الله، أن المشرف على المجلة كان يعرفه!

لم يرو عنه أنه تولى أي مسؤولية تنظيمية في مرحلته الجامعية قبل شهادة الإجازة، بل كان متفرغا لتققيف نفسه، وكان يجتمع مع الإخوان على مذاكرة نصوص الوحي، ثم ينصرف إلى برنامج الخاص. وكان، رحمه الله، ينصح صراحة من يريد تكوين نفسه ألا يعتمد على ما تقدمه له هذه الجماعة أو تلك، بل يشمر عن ساعد الجد ويسلك دربا عصاميا، دون أن يتجافى عن موارد الخير أينما كانت.

هذا مع العلم بأنه يرى أن أهم وظيفة على الحركات الإسلامية الاضطلاع بها، هي وظيفة (إنتاج العلماء)، إذ هي الضمانة الوحيدة لاستمرار التدين وجودا، ورشداً ومنهجاً.

في غمار البحث العلمي

بمجرد حصوله على شهادة الإجازة سنة (1985 م)، رحمه الله، حصل على امتياز منحة دراسية لإتمام الدراسة في فرنسا، لكنه نظر للأمر نظرا مقاصديا، فآثر السير في طلب العلم الشرعي، حيث الجودة فيه، هنا في المغرب، لا هناك في الغرب. تيسر له الالتحاق بما كان يسمى (تكوين المكونين)، وحينها بدأ مشوار البحث العلمي الجاد.

في السنة الثانية من (تكوين المكونين)، سنة (1986/1987)، قدر الله له أن يختار الإمام أبا إسحاق الشاطبي موضوعا ومنها، والأستاذ الدكتور الشاهد البوشخي مرشدا ومشرفا، والدراسة المصطلحية أداة ومنهجاً، ثم واصل على هذا المنوال في بحث الدكتوراه حتى ناقشها سنة (1999 م).

يحكي، رحمه الله، عن منهجه في التعامل مع البحث، أنه كان يأخذ فيه بسنة التعامل مع العبادة، فلم يكن يغلو ولا يجفو. إذ كثير من الباحثين تجدهم ينجون على بحوثهم انكببا عظيما، فيُسهرون ليلهم، وينقطعون له انقطاعا، حتى إذا مرت مدة من الزمن، انقطعوا عما كانوا فيه، وبقوا على فترتهم تلك إلى أجل غير معلوم، فلما يستأنفون يستأنفون من البدء كما لو لم يكن لهم سابق عهد بموضوعهم وبحثهم. كان يحذر الباحثين من هذا الأسلوب، أسلوب الموسمية في التعامل مع البحث، فليس الأهم أن يقرأ الطالب كثيرا، بقدر ما الأهم أن يقارب بين فترات قراءاته، حتى لا ينقطع له خيط النور العلمي، ويتشتت عليه موضوع بحثه، فهذا أول رهان على الباحث أن يكسبه في تعامله مع البحث؛ بإتقان طريقة المرواحة بين الاستراحة والبحث، فيتصيد أوقات نشاطه ويعمل فيها، فإن تعب استراح إلى حين تجدد الشرة.

كان، رحمه الله، قد يسهر ليلة كاملة على بحث مسالة، لكنه لم يكن يتخذ ذلك ديدنا مستمرا، بل كان معتدلا، يترك الكتابة والفهم يأتیان على سجيتهما، ولم يكن يتكلفهما تكلف المُنبت.

وهذه الطريقة المستلهمة من السنة، هي الكفيلة بأن تجعل الباحث تنهال عليه الإشراقات دون أن يتكلفها، وفي جميع أحواله المعيشية، من أكل وشرب واستراحة... تروي عنه زوجته أنه قد ينهض من فراش النوم ليلا، فيدون بضعة أسطر، ثم يرجع للنوم بعدها، ويقول إن مثل هذه الخواطر كالنفضات، من لم يقيد بها بقيد الكتابة في وقتها، فقد لن تتأتى له بعد أبدا! من يقرأ أي مؤلف لفريد الأنصاري

يستحلي أسلوبه ويستلذه، ويجد نفسه يقرأ كثيرا مستزيدا، ولا شك أن قراءاته الأدبية كان لها أثر بالغ في ذلك، إلا أنه معروف أن الكاتب البليغ غالبا ما يكون له أصل يستقي منه خصائص أسلوبه، بسبب كثرة معاشرته له قراءة وتتلمذا، وأحسب أن لو حاولنا تقريبا وتسديدا، نسبة أسلوب أبي أيوب الأنصاري لأصل مال إليه، لكان أبا إسحاق الشاطبي، وليس هذا اعتمادا على كونه صحبه في بحوثه زمانا فقط، ولكن بالنظر إلى التشابه الخاصصي بين الأسلوبين، فأسلوب الإمام الشاطبي امتزجت فيه الفحولة مع السهولة امتزاجا طبعه ببصمة خاصة، وهو من النوع الذي قد تستطيع التعرف على صاحبه، على فرض أنه مغيب عنك، اعتمادا فقط على قراءة نصه، فتتعرف من الأثر على الصانع. وهذه الخصائص عينها واضحة أيضا في أسلوب فريد الأنصاري، وهي ما تسمه بتمييزه وفراسته.

يؤكد هذا ما كان، رحمه الله، ينصح به طلبة الدراسات الشرعية من قراءة كتب المتقدمين من مفسرين وأصوليين وفقهاء، حتى يرتاضوا على أساليب البلاغة، كان يقول بأن فيها غنية عن كتب الأدب، وكثيرون صلب عود الكتابة لديهم بهذا المسلك، و(صحبة الفحول تفحل) كما يقول أ.د. الشاهد البوشخي.

كان، رحمه الله، يرقن كتبه مباشرة على الحاسوب، وقد اتخذ حاسوبا منذ منتصف التسعينات، إذ كان يستعمل (الماكينطوش) في الأول، كان يقول عن مؤلفاته بأنها تخرج من المطبعة طبقا للصورة التي يراها عليها، وهي ملفات (وورد) ينظر إليها بين يديه، وكان يثني على ما وفره الله له بهذه التقنية الحديثة، التي مكنته من التحكم في الإخراج النهائي لكتبه وهي في مرحلة التدوين.

ومن أواخر ما اشتغل به، رحمه الله، من البحوث، تحقيق كتاب (القوانين الفقهية) لابن جزي، فقبل أكثر من سنتين من وفاته، كان بلغ منتصف الكتاب تحقيقا، وكان يشتغل بمعدل صفحة في اليوم، وكانت نيته، رحمه الله، متجهة إلى تضمين عمله شرحا للكتاب أيضا، فكما قال، بدلا من أن يؤلف كتابا في الفقه المالكي، اختار أن يشتغل على تحقيق (القوانين الفقهية) ثم يشرحه؛ فيكون قد أتى بمجامع الخير.

وعند مرضه، رحمه الله، أوقف كل مشاريعه العلمية، وانقطع إلى تفسير كتاب الله، وكأنه، رحمه الله، كان يسابق الموت!

بدأ، رحمه الله، مسيرة الكتابة شاعرا، وانتهى مفسرا! ختم الله له عمله مشغلا بتفسير سورة آل عمران، بعد أن أتم تفسير البقرة وبعض سور المفصل.

مسيرة العروج نحو القرآن

إن السلفية المنهجية في فقه الدين قد قادت أبا أيوب الأنصاري إلى الرسو في رابع القرآن.

استطيع القول بأنه، على مستوى التصور الفكري العام، لم يحدث انعطاف منهجي كبير في فكر الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله.

إن أول انطلاقة دعوية كانت له، رحمه الله، بعدما صار من منظري الدعوة الإسلامية، كانت بالاشتغال على مفهوم (التوحيد والوساطة)، الذي يركز على فكرة واضحة وعميقة، هي التشديد على أن يكون القرآن أساس التربية لدى الحركة الإسلامية، فلا يخلط بشيء ينافسه، ولا يتوسط إليه شيء يحجبه، وقد كان هذا



أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر..... (تمة)

منهج النبي ﷺ، إذ كان يأمر من كتب شيئاً غير القرآن أن يحموه.

فقبل صدور كتاب (التوحيد والوساطة في التربية الدعوية) بمدة، كان مضمونه، وبنفس عنوانه، مادة تربوية معتمدة لدى روافد (رابطة المستقبل الإسلامي)، وكانت على شكل شريط فيديو، مازلت أتذكره جيداً.

إن الطابع الغالب على خطابه في الكتاب هو التوجه إلى مخاطبة أبناء الحركة الإسلامية، إذ كان يرى فيهم، رحمه الله، إن هم ساروا على جادة التمسك بالكتاب، قوة كبيرة للدعوة الإسلامية، سواء بما هم عليه من هيكل تنظيمي، أو بما هم فيه من كم عددي شبابي، إذ كانوا آنذاك يشكلون غالب الشباب المتدين.

ثم إنه أوكلت له مسؤولية تنظيمية على المستوى الوطني، فكان طبيعياً أن يهتم بما هو مسؤول عنه؛ إلى أين يتجه؟

كان رحمه الله يتحدث عن كتابه (التوحيد والوساطة في التربية الدعوية)، محاججا عن تهمة قصده منه مجرد مهاجمة هذه الجماعة أو تلك؛ مما هو محسوب على من يخالفه في المنهج، بأن أول ظاهرة ينتقدها في الكتاب، إنما تحسسها أول مرة لدى جماعته التي احتضنته، وبقي فيها زمناً إلى حدوث الوحدة المعروفة، وهي ظاهرة (الوساطة العلمية)، إذ معلوم لدى من قرأ الكتاب أنه قسم الوساطة المنشوشة على نور القرآن إلى وساطتين: وساطة علمية، ووساطة روحية.

ومن ثم يمكن القول بأن أول نقد نهضت له همته، رحمه الله، كان (ذاتياً)، ينظر إلى المحيط القريب، قبل النظر إلى ما يليه في القرب.

لقد بدأ عمله أستاذاً بكلية الآداب بالمحمدية، سنة (1987 م)، واستمر فيها سبع سنوات، وكان والده، رحمه الله، يحثه على السعي للانتقال إلى مدينة مكناس، باعتبار قريتها النسبي من إقليم الرشيدية، فقدر الله ذلك الأمر سنة (1994م).

فشهدت مكناسة، بطابعها الشعبي، مرحلة تحوله من داعية يجالس الخاصة من طلبة العلم الشرعي وشباب الحركة الإسلامية، إلى داعية يخاطب العامة، ولا يحتكر نفسه لصالح أحد.

ولا يبعد أن يكون وجوده، رحمه الله، بمدينة مكناس، بما هو معروف عنها لدى عامة الناس من شروخ تضخها، قد أسهم، إضافة إلى قناعاته في فقه الأولويات الدينية، في الانتباه إلى السيل الجارف من المنكرات، الذي يقلع أمامه طلائع الخير ويدوسها دوساً، فكان كتابه (الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب) استنبصاراً مبكراً بالوضع الذي نعيشه في هذه الفترة.

ثم جاء بعد ذلك كتاب (البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي)، الذي يعتبر من الناحية المنهجية التصورية تفريعاً على مفهوم التوحيد والوساطة، فإذا كان الوحي القرآني لا ينبغي أن نخلطه بغيره مما قد يشوش عليه، ومما يعرض لنا عادة في سياق خدمة الوحي وشرحه، كيف بما هو خارج عن مجال الوحي قرآناً وسنة، وداخل في مجال الاجتهادات التي مازالت إشكالات لم تتجل التجلي الكافي لبناء عمل عليها، كيف بهذه الأخيرة إذا سيطرت على ذهن الداعية وصارت محرك مسيره؟

ولقد كان للكتاب قصة.. بعيد قيام الوحدة بين حركة الإصلاح والتجديد ورابطة المستقبل الإسلامي، انسحب بعض الإخوة، لاعتراضهم على بعض الترتيبات العملية التي يرون أنها

حاسمة في تصويب خطوات الوحدة، كان، رحمه الله، يقرهم على صواب المعتمد الذي استندوا عليه، لكنه خالفهم في القرار الذي بنوه عليه، ولقد كان سبباً قوياً في رد كثيرين عن التراجع عن الوحدة.

إذ كان، رحمه الله، ميلاً إلى التمهّل في اتخاذ القرارات الحادة، ويغلب حسن الظن ما وجد إلى ذلك سبيلاً، لكن الذي تبين له حسب روايته، رحمه الله، وبعد مدة من التبين كافية، أن المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح، كان يسطر في الأوراق برنامجاً، ويسير عملياً وفق برنامج آخر، تأخذ فيه السياسة زمام المبادرة.

ولقد خرج كتاب (البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي)، متزامناً مع الفترة التي كان مؤلفه، رحمه الله، يصرح فيها بأنه لم تعد له أي علاقة بأي جهة تنظيمية.

هنا أدرك الأستاذ، رحمه الله، من طريقه الدعوي منزلاً! فكان عليه تبين علاماتها، ليسلم له ما هو آت منها؛ فإذا كانت السياسة لها نصيب من المشروع الدعوي محصور في مجال الاجتهادات، فما حقيقة النصيب الأكبر من مشروع الدعوة، وما مداه مفهومها ومنهجها؟ فكان كتاب (بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إِبصار آليات الطريق).

جاء بعد (سيماء المرأة في الإسلام)، الذي يمكن اعتباره لبنة تصحيحية في فقه التدين، وهو يذكر بكتاب (الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب).

ثم كتاب (ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله)، الذي يمكن اعتباره، بالنظر إلى مضمونه وتاريخ صدوره، بمثابة الشق التطبيقي ل(بلاغ الرسالة القرآنية).

أما كتاب (الأخطاء الستة للحركة الإسلامية) والذي أثار ضجة سياسية، فلا جديد فيه من الناحية التصورية، وكله متعلق بالتنزيل وفقه الواقع، لا ببناء التصورات، فغاية ما فيه تنزيل الجانب التصوري الذي أسسه كتابا (البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي) و(الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب)، على واقع الحركة الإسلامية بالمغرب.

ومن غريب ما قاله، رحمه الله، عن عنوان الكتاب، وقبل مساجلته مع أ.الدكتور أحمد الريسوني، أنه خشي تسميته في الأول (الأخطاء السبعة)، لما للرقم سبعة من دلالات شرعية... فأراد أن يتفاهل... وأنقص واحداً من سبعة!!!

تلا (الأخطاء الستة) في الطبع والنشر، وإن كان سابقاً عنه في التأليف والرقن، كتاب (الفطرية: من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام)، الذي أبان فيه مؤلفه، رحمه الله، عن تصوره الذي خلص إليه من تجربته الدعوية، واختاره مسلماً راشداً لحركة الدين في المجتمع: تداول القرآن بين الناس قراءة وحفظاً وتدبراً، يقودهم في ذلك علماء الأمة.

فأما تداول القرآن فتولى شرح منهجها كتاب (مجالس القرآن: من التلقي إلى التزكية)، وأما قيادة المشروع ففصل في إنتاجها كتاب (مفهوم العالمية: من الكتاب إلى الربانية).

وسبق كتاب (الفطرية)، بتمامه كتاباً ورقناً، ل(الأخطاء الستة)، فيه دلالة واضحة على منهج الأستاذ، رحمه الله، إذ يبدأ بالبناء أولاً، ويصوغ البديل صياغة كاملة، قبل أن يعالج المسارات المرتبكة تبليغاً وإيضاحاً.

فإن كان قدم هذا على ذاك في الصدور، فأحسبه إنما أراد بذلك، رحمه الله، أن يبدأ بخطه الدعوي الخالص وقد نفذ عنه كل المشوشات التي قد ترجعه إلى عهد مضى! ثم تلا ذلك التطبيق العملي لهذا، بأن شرع الأستاذ، رحمه الله، في تدبر القرآن في

جلسات خالية عن أي أغلال تنظيمية، فأتى سورة البقرة تفسيراً، وقد سجلت تلك الجلسات كاملة تسجيلاً صوتياً.

حكى لي أحد محبيه أن أبا أيوب الأنصاري لما أراد أن يشترع في تدوين تفسيره، هاب الأمر لجلالته... فكان الله أراد أن يهيئته للحال التي يكون الفقيه بها خاضعاً لله، لأبسا لبوس الرقة التي تحتاجها لأي لفهمها، والاغتراف من أسرارها، فقدر الله عليه المرض..

زاره وهو في حالة هذه شيخه أ.الدكتور الشاهد البوشيخي، فسأله عما يكتب؟ فأخبره، رحمه الله، بأنه أنهى تفسير البقرة وشرع في آل عمران، فعلق فضيلة الدكتور متمنياً لو يقوم مؤلف بتأليف كتاب (العلماء المرضى)، على غرار (العلماء العزّاب) لعبد الفتاح أبي غدة!

فبين كتاب (التوحيد والوساطة) والرتوع في حياض القرآن، مسيرة بين طرفين توسطتهما محطات ووقفات، فأما الطرف الأول فهو التأسيس التصوري المتمثل في (التوحيد والوساطة)، وأما الطرف الثاني فهو تنزيل عملي للطرف الأول بمباشرة الغوص في كتاب الله مكابدة وتفسيراً.

وهذه المسيرة التي وصلت الطرفين جذيرة بالدراسة المفصلة.

الدراسة المصطلحية براق الإسراء

إن اثر المنهج الدراسي المصطلحي واضح جدا في كتبه، رحمه الله، وقد قاده الله به إلى خاتمتين جميلتين: تفسير القرآن، والأرض التي قبض بها!

كما أن منهج تبين المصطلحات والمفاهيم وتبينها واضح جدا في مسيرته الدعوية، رحمه الله، فمثلاً في المرحلة التي تولى فيها رئاسة المجلس العلمي بمكناس، جعل مناقشة مفاهيم (السلفية)، و(الصوفية)، وغيرها من المفاهيم التي كان في نيته الاشتغال عليها... جعل ذلك مقدمة ضرورية لبداية البيان الدعوي بين الناس بعد.

فالمصطلح أول ما يبداً به كتبه ودعوته، فأما أن ينفذ غبار الدخن عن مصطلح قرآني شرعي، ك(الحكم)، و(الإبصار)... أو يسك مصطلحاً جديداً، وينتج لغة فريدة، ذات تأصيل شرعي متين، ك(التوحيد والوساطة)، و(الفطرية)...

أو يستجلي مصطلحات فقيه أو مفسر، كما صار به القدر إلى تأليف كتاب (مفاتيح النور)، بتكليف من معهد الدراسات المصطلحية، فحقق الله بذلك للأستاذ، رحمه الله، ما تيمّن به في تكتنيه بأبي أيوب الأنصاري، فتوفاه الله بالأرض التي استشهد بها أبو أيوب الأنصاري ﷺ.

كانت نيته، رحمه الله، في التفسير، بادئ الأمر، أن يشتغل على نماذج تكون بمثابة الشق التطبيقي لكتاب (مجالس القرآن)، فال الأمر إلى العزم على السفر عبر القرآن حرفاً حرفاً إلى تمام الختمة، لكن لله في تدبيره حكم.

الرجل الفريد

كان، رحمه الله، ذا طابع شاعري في حياته، وفي جميع أحواله، مما يعرفه عنه كل من رافقه، وكان يتأمل تأملات حتى يحدث له شبه فناء غير متكلف عما حوله.. قد يحاضر في الكلية، فيجلس على سطح مكتبه حيناً، وحيناً يرفع قدميه متربعا فوقه كما لو كان جالسا على الأرض! يحدث ذلك بتلقائية تامة، ولو فعلها غيره لبدأ عليه التكلف، وربما التعالي!

وكان مرة في مكان عام يناقش أمراً، فجلس القرفصاء بطريقة (صحراوية)! فأخرجت وعرضت عليه إحضار كرسي،

فرفض متعللاً بارتياح نفسه لجلسته تلك! كان، رحمه الله، يتحاشى أن يجرح أحداً، صغيراً كان أم كبيراً، وكان ينتبه إلى انفعالات الناس غير الظاهرة، فيتفرسها ليرفع عن مخاطبه الحرج الذي لم يستطع البوح به، وذلك من بالغ الأدب منه، رحمه الله، وأحذب العطف.

كان شديد البعد عن سوء الظن، وكان حليماً عمن يتحايل عليه، مع افتتانه إلى حبالة الخفية.. يجيئه الرجل في أمر من أمور الدين أو الدنيا، فيتحايل بعض الاحتيال في وسيلته وكلامه، أو في غايته ومقصوده، ويخطط خيراً بشراً، ثم يلين الأستاذ له القول، ويقضي الحسن مما يريده منه الرجل، حتى لتمتلك نفسك غيظاً مما ترى، ثم تعلم بعد حين أن الأستاذ، رحمه الله، تطفن إلى أدق مما فطنت به من احتيال الرجل، لكنه تغافل عنه تغافلاً حليماً كريماً.

في صغره، كان يساعد والدته في أشغال البيت بمساعدة عجيبة... وكذلك كان يصنع مع أهله بعد زواجه.

ربما أتى عليه حين، تجده فيه، حاملاً بيده ريشة يرسم بها مواجيد أصباغاً على لوحة بين يديه.. لم تكن يده ماهرة جداً في فن الرسم، لكنها كانت تتحرك بوحى من روحه، لتخط لوحات يتطاير منها غبار الحركة والانفعال، وأخرى تتوقف عندها العين لتمتلي من هدوئها وسكينتها.

وقد درس دراسة خاطفة الفن التشكيلي بقواعده، إذ كانت عنده كتب، أحسبه استعارها، تتحدث عن الظلال والأضواء، والمذاهب الفنية في ذلك.

غلاف رواية (كشف المحجوب) هو، رحمه الله، من صممه.

كان يتجنب ذوات الأرواح ويرجح حرمة رسمها، فإن فعل فيحتال على رأسها بحيلة فنية يغطيها بها.

وأحسب أن أجمل لوحة رأيته له، فرس تركض في جو السماء، وقد اكتنف جوانبها سحب غامق، والبرق ينقذ من سناكبها، وفي موضع الرأس نار أو نور يتدفق منه سيل منحدر باستقامة وميلان باتجاه الأرض!

عند ركوعه أو سجوده، كانت تصدر منه تسبيحات عميقة حتى لتسمع تنهده عن بعد منك وهو في المسجد، من غير قصد منه إلى ذلك، وكانت هذه علامة أعرف بها ما إذا كان موجوداً في المسجد الذي أكون فيه حينها!

كان في بيته ديك! وكلما مات له ديك اتخذ ديكاً جديداً.. كان يحب صوته!

لكني ما عرفت حقيقة السر في ذلك إلا بعد وفاته، رحمه الله.. فلقد بت ليلة في آخر بيت استقر به، فقدر الله علي أرقاً، حينها علمت الأنس الذي يجده في أذان الديك من يكون مستيقظاً في آخر الليل، وكذلك كان حاله، رحمه الله، حسب ما يرويه عنه أهله.

من طريف ما حدث له، رحمه الله، أنه لما اتجه العزم لديه، إلى ترقى منبر الجمعة، كان مطلوباً منه أن يجتاز مباراة للحصول على الترخيص الرسمي، فاجتازها وأسقط فيها!

ولما أراد أن يصعد المنبر أول مرة، سارع أحدهم، فصعد درج المنبر قبله، فحيل بين أبي أيوب وبين الخطبة في المسجد الذي عين فيه!

كانت خطب الجُمع الأول، التي القاها يغلب عليها الطابع الأكاديمي قليلاً، لكنها صارت بعد قريبة من الناس جداً، فجعل الناس يتوافدون على دروسه، فكانت مجالسه في المسجد عامرة.

وفي أواخر دروسه قبل وفاته، رحمه الله، صار المسجد يمتلي بالناس امتلاء لم أر له مثيلاً في مكناس، في أي درس من دروس المساجد، ولقد كانت سبعة دروس، ختم بها، ثم مضى إلى ربه.



وراقية عن أعمال الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله عز وجل



إعداد: د. رشيد سلوي

خلف الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله عز وجل وراءه دراسات إسلامية وأدبية مهمة، وتشمل مؤلفات (1)، وكتباً مترجمة، ومقالات، ومشاركات في ندوات ومؤتمرات، وتفصيل ذلك كما يأتي:

1- دراسات إسلامية (2):

1- إبداعات البحث في العلوم الشرعية. منشورات الفرقان الدار البيضاء الطبعة الأولى الدار البيضاء 1417هـ - أبريل 1997م مطبعة النجاح الجديدة (205 صفحة).

2- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي. منشورات ألوان مغربية سلسلة اخترت لكم 19. الطبعة الأولى دار النجاح الدار البيضاء 1424هـ - / 2003م (191 صفحة).

3- بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إِبصار آليات الطريق. منشورات ألوان مغربية "سلسلة اخترت لكم 12" الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء (119 صفحة).

4- التوحيد والوساطة في التربية الدعوية (جزآن). نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، صدر ضمن سلسلة كتاب الأمة القطرية بالعديدين 47 و 48 السنة 1416هـ - / 1995م (ونشر في طبعة أخرى عن دار الكلمة للنشر والتوزيع المنصورة مصر 1423هـ - 2002م. 256 صفحة).

5- جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح. الطبعة الأولى 1430هـ - 2009م دار السلام (292 صفحة).

6- الدين هو الصلاة والسجود لله باب الفرج. الطبعة الأولى: 2009م طبع الكلمة للطبع والإشهار (95 صفحة).

7- سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة. منشورات ألوان مغربية سلسلة اخترت لكم 16 الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م (96 صفحة).

8- الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب دراسة في التدافع الاجتماعي. تقديم د. سعد الدين العثماني سلسلة "اخترت لكم: 3" منشورات الفرقان الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1421هـ - / 2000م. (88 صفحة).

9- الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام. منشورات رسالة القرآن رقم: 3- 2007م (327 صفحة).

10- قناديل الصلاة مشاهدات في منازل الجمال. دار الكلمة للنشر والتوزيع المنصورة الطبعة الأولى 1422هـ - / 2002م. (168 صفحة).

11- كاشف الأحزان ومسالك الأمان. الطبعة الأولى 2009م دار السلام (64 صفحة).

12- مجالس القرآن مدارس في رسائل الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ. الطبعة الأولى 1430هـ - 2009م دار السلام (405 صفحة).

13- مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية. "سلسلة اخترت لكم 19" منشورات ألوان مغربية مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى 1425هـ - / 2004م (80 صفحة).

14- المصطلح الأصولي عند الشاطبي. نشر معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي "سلسلة الرسائل الجامعية" مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة الأولى 1424هـ - 2004م. (571 صفحة).

15- مفاتيح النور نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي. نشر معهد الدراسات المصطلحية بفاس المغرب، ومركز النور للدراسات والبحوث، أستانبول / تركيا. الطبعة الأولى: 2004م. (384 صفحة).

16- مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية. منشورات رسالة القرآن 1 طبع دار الكلمة مكناس المغرب 1427هـ - 2006م (148 صفحة).

17- ميثاق العهد في مسائل التعرف إلى الله. "سلسلة من القرآن إلى العمران" الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م مطبعة أنفو برينت فاس المغرب (210 صفحة).

18- الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب انحراف استصنامي في الفكر والممارسة. منشورات رسالة الفرقان رقم: 2 مكناس المغرب 1428هـ - 2007م (178 صفحة)

2- أعمال أدبية:

19- آخر الفرسان مكابدات بديع الزمان سعيد النورسي (رواية) دار النيل للطباعة والنشر إسطنبول، الطبعة الأولى: 1427هـ - 2006م. (246 صفحة)

20- جداول الروح (شعر) (بالاشتراك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح) مطبعة سندي مكناس 1997م

21- ديوان الإشارات طبع دار النجاح الجديدة، منشورات الدفاع الثقافي بالمغرب (الدار البيضاء 1999م)

22- ديوان القصائد (شعر) مطبوعات الأفق الدار البيضاء الطبعة الأولى 1413هـ - 1992م (60 صفحة)

23- كشف المحجوب (رواية) مطبعة أنفو برينت فاس 1999م.

24- مشاهدات بديع الزمان النورسي (شعر) مطبعة أنفو برينت فاس الطبعة الأولى: مارس 2004م (100 صفحة)

25- الوعد: (شعر) مطبعة أنفو

برينت، فاس: 1997م (فاس 1997).

3- كتب مترجمة:

كتابان مترجمان للغة الفرنسية:

● سيماء المرأة في الإسلام:

Les Secrets du Hijab
Auteur(s): Farid AL-ANSARI
Editeur(s): Almadina
Année: Non spécifiée
Pages: 128

● مجالس القرآن:

Autour du Coran- Pratique des Assemblées Coraniques de l'Assimilation à la Purification
Auteur(s): Farid AL-ANSARI
Editeur(s): 2008
Année: 96
Couverture: Souple

● كتاب مترجم للغة التركية:

- مفاتيح النور:

Risale-i Nur'un Anahtar Kavramlari
Author: Dr. Ferid el-Ensari
Edited By: Dr. Veli Sirim, Ahmed Hamdi Yildirim
Publisher: Nesil Yayinlari
Published: Istanbul, Mayis 2007
Pages: 286

4- مما لم ينشر من أعماله:

- تفسير سورة البقرة وجزء من سورة آل عمران وسورة ق والذاريات والطور والنجم.

- مصطلحات أصولية في كتاب الموافقات للشاطبي. (رسالة دبلوم الدراسات العليا، نوقشت سنة 1989 بكلية الآداب- الرباط).

- عودة الفرسان (رواية).

- جمالية التدين كتاب في المقاصد الجمالية للدين.

- من يحب فرنسا؟ شعر مشترك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح.

- ديوان المقامات.

- ديوان المواجيد.

5- مقالات (3):

- رسالة الله : مجلة رسالة القرآن. العدد الأول، السنة الأولى محرم سفر- ربيع الأول 1425هـ - / مارس- أبريل- ماي 2004م. (ص: 3- 10).

- القرآن العظيم من مشهود بديع الزمان سعيد النورسي : مجلة رسالة القرآن العدد الأول، السنة الأولى محرم سفر- ربيع الأول 1425هـ - / مارس- أبريل- ماي 2004م. (ص: 59- 73).

- القرآن العظيم في معركة السلام مدخل إلى تأسيس القضية. مجلة رسالة القرآن العدد الثاني. السنة الأولى ذو القعدة- ذو الحجة- محرم 1425هـ - / يناير- فبراير- مارس 2005م. (ص: 3- 17).

- مفهوم الجمالية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: الأول السنة الأولى (أكتوبر- ديسمبر) 2005 (ص: 22- 25).

- مفهوم الجمالية في الإسلام من

الترتيل إلى التشكيل. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: الثاني السنة الأولى (يناير- مارس) 2006م (ص: 24- 27).

- البحث عن فرس إسطنبول، (شعر). مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: الرابع السنة الأولى (يوليوز- سبتمبر) 2006م (ص: 64- 65).

- العقيدة الإسلامية بين جمال القرآن وتقسيمات علم الكلام. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: الخامس السنة الثانية (أكتوبر- ديسمبر) 2006م. (ص: 40- 43)

- جمالية التفكير الإيماني. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: السادس السنة الثانية (يناير- مارس) 2007م (ص: 37- 39).

- جمالية التعريف القرآني بالله. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: السابع. السنة الثانية (أبريل- يونيو) 2007م (ص: 45- 48).

- روعة الانتساب التعبدية. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: الثامن السنة الثالثة (يوليوز- سبتمبر) 2007م (ص: 57- 62).

- فلسفة العمر. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: التاسع السنة الثالثة (أكتوبر- ديسمبر) 2007م (ص: 36- 39).

- القرآن الكريم روح الكون ومعراج التعرف إلى الله : مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: العاشر السنة الثالثة (يناير- مارس) 2008م (ص: 11- 15).

- معارج الصلاة وإخراج الإنسان الكوني : مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد الحادي عشر السنة الثالثة (أبريل- يونيو) 2008م (ص: 50- 55).

- سر الدعاء وخفاء الأسماء : مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: الثاني عشر السنة الثالثة (يوليوز- سبتمبر) 2008م (ص: 15- 20).

- رجال ولا كأي رجال : مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: الثالث عشر السنة الرابعة (أكتوبر- ديسمبر) 2008م (ص: 51- 53).

- من أنت أيها الإنسان : مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد الرابع عشر السنة الرابعة (يناير- مارس) 2009م (ص: 30- 34).

- القرآن العظيم وقضية الأمة. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: الخامس عشر السنة الرابعة (أبريل- يونيو) 2009م (ص: 58- 63).

- كلمات الله في معركة السلام. مجلة حراء (اسطنبول- تركيا) العدد: السادس عشر السنة الرابعة (يوليو- سبتمبر) 2009م. (ص: 31- 34).

- مصطلح "المباح" في كتاب الموافقات للشاطبي. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية. العدد: 2- 3، سنة 1990م. (ص: 85- 101).

- مصطلح المباح في كتاب الموافقات للشاطبي. ضمن أعمال ندوة الدراسة



وراقية من أعمال....(تقمة)

المصطلحية والعلوم الإسلامية (تنظيم كلية الآداب سايس فاس و معهد الدراسات المصطلحية بفاس أيام 23-24-25 نونبر 1993م) (ص: 489-504).

- منهجية دراسة المصطلح التراثي. ضمن أعمال الدورة التدريبية: نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي تنظيم معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، أيام 10/30-5/11/1996م (ص: 171-224)

- نظرية التعريف الأصولي ونقد الحد المنطقي عند الشاطبي. مجلة دراسات مصطلحية يصدرها معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب ظهر المهرار بفاس العدد الأول: 1422هـ - 2001م (ص: 13-27).

- مصطلح الاجتهاد عند الإمام الشاطبي (790هـ-). مجلة دراسات مصطلحية يصدرها معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب ظهر المهرار بفاس العدد الثاني: 1423هـ - 2002م (ص: 207-245).

6- من أعماله المرئية والصوتية:

1- من أعماله المرئية: VCD

- نور القرآن
- أهم الأخطار التي تهدد الأسرة المسلمة

- لا تقولوا راعنا...
- من أسرار عقد البيعة
- التوبة النصوح
- من أسرار تنزيل القرآن الكريم
- الحمدلة
- المال والحياة
- نبذ الكتاب
- حرمة زواج المسلمة من الكافر
- حقيقة السحر
- صمام الأمان من السحر وتأثيره

- طلب الهداية
- الاستعداد لليوم الآخر
- مالك يوم الدين
- نعمة الخير والرحمة والفضل على المسلمين

- إياك نعبد وإياك نستعين
- سلسلة الفتاوى- الجزء الأول
- سلسلة الفتاوى- الجزء الثاني
- آية النسخ منهج تربوي
- دعاء سورة الفاتحة
- أوائل سورة البقرة
- من معاني الربوبية النسخ
- آداب السؤال
- أسرار التعبد بالقرآن
- ظاهرة الكذب
- مرض الوسواس
- بركات الصلاة والزكاة
- القرآن الكريم روح الكون ومعراج

التعرف إلى الله
- الاستعداد للصيام
- شهر التخلق
- آثار الصيام والقيام
- فاتحة سورة الذاريات
- الإنسان وعمره
- وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أن نصارى

- فضل رسول الله ﷺ
- مساجد الله
- ادعوني أستجب لكم
- ذكر الله بآية الكرسي
- فقه علوم أصول الفقه
- آثار زلزال البحر على المؤمن
- مفهوم الاستقلال
- الخروج من الغمراء
- صفات المتقين
- عبادة الانفاق
- عبادة الحج والنسك
- العطلة النافعة
- حق أمانة الدين على الأبناء
- النفس الطيبة والنفس الخبيثة

- كلمة عن الموت
- أصول بناء صرح الوطن
- الصلاة أولا
- حديث الفسيلة
- الأسراف والتبذير
- مجالس القرآن الكريم
- مجالات تدبر القرآن الكريم
- آثار الوازع الديني في تمثين الاندماج الوطني
- فضل كافل اليتيم
- العشر الأواخر من رمضان
- النبأ المزدرج
- فاتحة سورة القمر
- العبودية
- الحكمة من القصص القرآني
- لواء الحمد يوم القيامة
- دليل الحاج والمعتمر
- المواطنة في الإسلام
- خطر الكذب على رسول الله ﷺ
- دعاء المغلوب
- طريق النجاة
- لقاء التواصل مع الوعاظ والخطباء
- مقدمة في طلب العلم
- دعوة ودعاة
- ولقد يسرنا القرآن للذكر
- الخطاب الشرعي
- علم لسان العرب
- أزمة حوادث السير
- فقه الدعوة
- أم عندهم خزائن ربك
- التعريف بعلم أصول الفقه
- ندوة حول رسول الله ﷺ
- منزلة الصيام
- محمد ﷺ
- الزاد الإيماني من القصص القرآني
- خاتمة سورة القمر
- منزلة القلوب
- الرحمن علم القرآن
- الخطاب التكليفي
- معجزة القرآن الكريم

- أقسام الخطاب الشرعي
- الإشاعة باسم الدين
- حقوق ذوي القربى
- خلق الإنسان علمه البيان
- رسائل الله عز وجل
- العلم رسالة
- منهج تلقي القرآن الكريم
- كلمات الله في القرآن الكريم
- مفهوم الترتيل في القرآن الكريم
- ميزان الله
- الربانية
- المعلوم من الدين بالتفقه
- التحسين والتقبيح العقليين
- فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام
- تسمية الحكم الشرعي الخطاب
- خلق الإنسان من صلصل كالفخار
- رب المشرقين ورب المغربين
- كل من عليها فان
- مفهوم السلفية (1) (2)
- وجوب المسألة العبدية
- مفهوم القدرة
- المبادئ اللغوية
- أقسام التكليفي والواجب التكليفي
- سنفرغ لكم أيها الثقلان
- ندوة حول مفهوم التصوف
- الانفاق في سبيل الله
- الليلة المباركة
- فاتحة سورة الفرقان
- تحديات الأسرة المسلمة في المغرب
● ب- من أعماله الصوتية: MP3
- سلسلة علم أصول الفقه (8)
- سلسلة مقاصد الحج التربوية (8)
- سلسلة أصول الذكر (24)
- سلسلة فقه الدعوة (32)
- سلسلة منازل الإيمان (60)
- سلسلة بصائر القرآن الكريم (80)

1- رتبنا هذه الكتب ترتيبا لغائيا ليسهل الاستفادة منها.
2- أغلب هذه الكتب طبع مرة أخرى من قبل دار السلام.
3- هذه نماذج فقط من مشاركاته الكثيرة في المجالس والمؤتمرات والندوات.

أنشطة جمعوية في تأبين الدكتور فريد رحمه الله

● السعي لإكمال مشروعه الفكري والإصلاحي

● دراسة وتأسيس المفاهيم الأدبية لديه
● إنشاء موقع إلكتروني للملتقى
وقد عرف الملتقى حضورا نوعيا من أصدقاء وطلاب الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، وانعكس ذلك على أعمال الورشات التي عرفت حماسة في النقاشات والاقتراحات.

- مدينة الراشدية:

تعتبر هذه المدينة مسقط رأس المرحوم فريد، وتقديرا لجهود واحد من أبنائها وأبناء هذه الأمة المغربية أقامت الجمعية المغربية للأساتذة الباحثين بتنسيق مع المجلس الحضري لأرفود نشاطها التأبيني في حق الأستاذ فريد صباح يوم الأحد 3 محرم 1431 الموافق 2009/12/20 بدار الشباب وقد شارك في هذا مجموعة من الأساتذة الفضلاء كالأستاذ عبد المجيد طلحة، والأستاذ عبد الحميد الوافي والأستاذ عبد الكبير حميدي، والأستاذ مولاي أحمد الطايبي والأستاذ عبد الله الصغيري والأستاذ إدريس مولودي رئيس المجلس العلمي للرشيدية والأستاذ إدريس أوها المندوب الإقليمي لوزارة الأوقاف بالرشيدية والأستاذ بابا خويا.

وقد أكدت عروض السادة الأساتذة على ضرورة العناية بتراث الأستاذ ونشره وإنجاز بحوث ودراسات جامعية حول فكر الأستاذ فريد.

وقد أجمعت جميع هذه الأنشطة على أهمية التراث العلمي والتربوي والدعوي الذي خلفه الأستاذ فريد، وضرورة مواصلة الجهود لإتمام هذه المشاريع وإشاعة فضلهما والتعريف بها لأهميتها في صياغة الإنسان الصالح المصلح وفي بناء مجتمع سليم من الأمراض.

الأستاذ إدريس مستعد
- ورشة "بناء الشخصية الإنسانية من خلال فكر الأنصاري" وأطرها الدكتور محمد جكيب الحصة المسائية: وكانت عبارة عن ندوة حول فكر وشخصية الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، أدارها الدكتور أحمد العمراني بمشاركة كل د. رضوان بشقرون عن المجلس العلمي المحلي بالدار البيضاء، ود. عبد الرحيم الرحموني عن معهد الدراسات المصطلحية بفاس، ود. يحيى رمضان عن كلية الآداب مكناس، ود. محمد البركة عن نفس الكلية، ود. فاتح يلزم عن مركز النور للبحوث والدراسات بتركيا، ود. محمد جكيب عن رابطة الأدب الإسلامي. ود. رشيد بلخياط عن جمعية الرسالة للفكر بالبيضاء، ود. محمد موهوب عن مؤسسة المهدي بن عباد بالبيضاء.

وقد ختم هذا الملتقى بتوصيات أهمها:
- التأكيد على أصالة وعمق أفكار الدكتور فريد الأنصاري
- العمل على:

- نشر كتب ومحاضرات وخطب د. فريد الأنصاري في الأوساط الشعبية بالمجان إن أمكن
- القيام ببحوث ودراسات في مشروعه الفكري
- إتمام ونشر مجالس القرآن في الأوساط الشعبية وداخل الأسر
- نشر خطبه ومحاضراته
- تكوين لجنة تحضيرية للملتقى الثاني
- إنشاء مؤسسة فكرية باسمه تحمل مشروعه الفكري وتنتشره
- نشر الإنتاج الأدبي والفكري الذي لم ينشر وبعض الحوارات التي لم تنشر

نظمته جامعة المولى إسماعيل بتنسيق مع المجلس العلمي المحلي بتاريخ الأحد 3 محرم 1431هـ الموافق 2009/12/27 وقد شارك في هذا اللقاء نخبة من المفكرين والأساتذة الجامعيين مثل كلمة الدكتور حسن أوريد وممثل النقابة الوطنية للتعليم العالي بكلية الآداب الفرع المحلي، وممثل عن شعبة الدراسات الإسلامية،

وقد اتفقت كل المداخلات على الإشادة بالقيمة العلمية والخلقية والتربية للراحل.

- مدينة الدار البيضاء:

حيث نظمت جمعية الرسالة للفكر بشراكة مع المجلس العلمي المحلي بالدار البيضاء- عين الشق، الملتقى الأول حول فكر الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى تحت شعار: "فكر الأنصاري: تأسيس للمفاهيم، وتأهيل للخطاب"، يوم الأحد 03 محرم 1431هـ/ الموافق ل 20 دجنبر 2009م، وذلك بقاعة المحاضرات بالمجلس العلمي المحلي بالدار البيضاء- عين الشق.

وكان برنامج الملتقى يتوزع على حصتين:

صباحية ومسائية.
الحصة الصباحية: وعرفت تنظيم ورشات عمل رامت الإحاطة بجوانب فكر الأنصاري رحمه الله في أبعادها: العلمية والأدبية والإصلاحية. فجاءت هذه الورشات على الشكل الآتي:

- ورشة "مجالس القرآن" وأطرها الدكتور أحمد العمراني
- ورشة "الفطرية" وأطرها الدكتور يحيى رمضان
- ورشة "جمالية الأدب" وأطرها الدكتور

في إطار تأبين الدكتور أبي أيوب فريد بن الحسن الأنصاري رحمه الله تعالى، وفي سياق التعريف بآثاره العلمية وجهوده التربوية ومشاريعه الدعوية، وفي سبيل تنوير الرأي العام المغربي وربطه بسلسلة بعلمائه الأجلاء نظمت مجموعة من الجمعيات في بعض المدن المغربية أنشطة تأبينية تخدم الأغراض السالفة الذكر:

- مدينة وجدة:

نظمت جمعية النبراس للثقافة والتنمية حفلا تأبينا للعلامة والداعية الرباني الدكتور فريد الأنصاري تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته أمين، بتاريخ الأربعاء 07 ذي الحجة 1430 الموافق ل 25 نونبر 2009 في الساعة السابعة مساء بمقر الجمعية وقد تضمن برنامج الاحتفال التأبيني المواد التالية:

- الافتتاح بآيات بينات من الذكر الحكيم
- تقديم شريط مركب من إنتاج اللجنة الإعلامية للجمعية

- شهادة الدكتور عبد الحفيظ الهاشمي عن الفقيه المرحوم فريد الأنصاري

- كلمة للدكتور خالد الحسني بعنوان: "منهج التدبر عند فريد الأنصاري رحمه الله تعالى"

- قراءة شعرية للأستاذ الشاعر محمد الشركي.

وانتهى الحفل بالدعاء لله عز وجل أن يتغمد الفقيد بالرحمة الواسعة وأن يسكنه فسيح جناته.

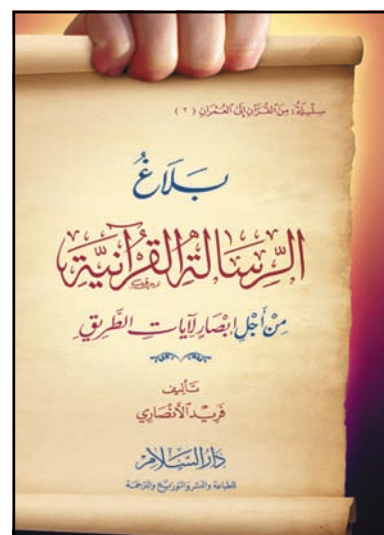
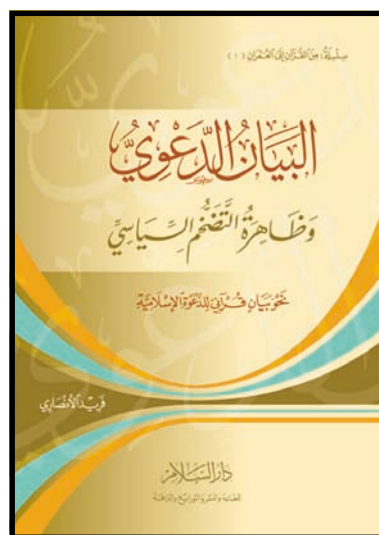
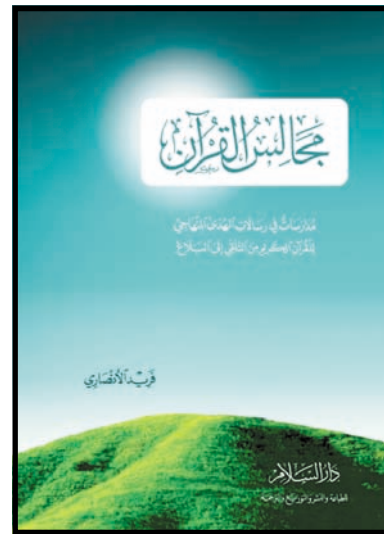
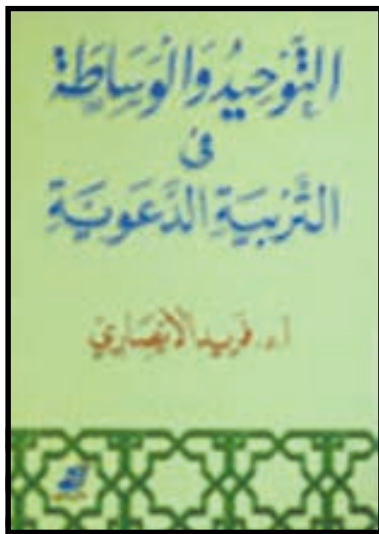
- مدينة مكناس:

- وقد شهدت هذه المدينة نشاطا متميزا



محور : مربيا قرآنيا

- من لحمل الرسالة القرآنية والدعوية الفطرية بعدك يا فريد؟ د. محمد الأنصاري
- كان فضيلة الأستاذ الدكتور الفريد رحمه الله كالشمس لمكناس وكالعافية للناس د. عبد المجيد بالبصير
- قناديل العالم الرباني "فريد الأنصاري" د. إبراهيم بلبو
- نظرات في المسألة التربوية في فكر الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله د. الطيب الوزاني
- منهج التدبر عند فريد الأنصاري رحمه الله تعالى د. حسني خالد
- تقديم كتاب "مفهوم العالمية من الكتاب الربانية" للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله د. مصطفى الهاشمي





من لحمل الرسالة القرآنية والدعوة الفطرية بعدك يا فريد؟!



د. محمد الأنصاري

إن الموت أمر طبيعي في المخلوقات كلها، فهو سنة الله وحكمه وقدره، وهو ابتلاء سماء الحق عز وجل مصيبة يتلى بها سبحانه عباده «فأصابكم مصيبة الموت» (المائدة : 106)، فالموت حق على كل نفس «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (آل عمران : 185)، والمؤمن الحق يؤمن بهذا الحق ويرضى به، ويستقبل ابتلاء الله له به بالرضى والخضوع لحكم المولى ولقضائه وقدره وسنته في الحياة الدنيا سبحانه، فنحن عباده وهو خالقنا ومولانا يتصرف فينا وبنا كيف يشاء .

هذا هو منهج الله وحكمه في عباده ومخلوقاته «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» (الرحمان : 26، 27)، وهذه شريعته في التعامل مع ابتلاء مصيبة الموت، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

عظم مصيبة الموت بعظم

منزلة الميت عند الله :

إن مصيبة الموت أمر عظيم على الناس ثقيل على الأنفس، ويزداد الأمر عظما بعظم منزلة الميت عند الله تعالى وعند عباده ومخلوقاته، فالأرض والملائكة والناس تبكي لموت هؤلاء، والحجر والشجر يبكي لموتهم تماما كبكاء الجذع على الرسول ﷺ . لذلك كان موت العلماء أعظم مصيبة تتلى بها الأمة، فموت العالم الرباني الوارث لعلم النبوة ولرسالة النبوة ولنهج النبوة في التفكير والتعبير والتدبير، وفي تزكية الأنفس وإصلاح القلوب وصناعة العقول وبناء الإنسان بميزان القرآن، موت هؤلاء العلماء الوارثين العاملين بمقتضى الإرث النبوي مصيبة حقا وابتلاء حقيقي يحمص الله به الصف المؤمن قال تعالى : «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» (الملك : 2)، قاله تعالى خلق الموت والحياة ليعامل الناس معاملة من يختبرهم أيهم أحسن عملا، فيجازيهم على ذلك، والمعنى ليبلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا وأشد منه خوفا وأيكم أسرع إلى طاعة الله وأورع عن محارم الله(1).

ما الواجب بعد موت العلماء؟ :

ومن هذا المنطلق فإن هذا الابتلاء يقضى القيام بواجب الاستخلاف في أداء رسالة العلماء في الأمة بعد موت من يموت منهم، فالعلماء هم قادة الأمة وروادها وولاة أمرها وهم أمناء الله على خلقه، والقيام بوظيفتهم ورسالتهم قيام بوظيفة الأنبياء وأداء لرسالتهم، وأحسب أن أخانا الدكتور فريد الأنصاري تغمده الله في رحمته وأسكنه فسيح جنته وحشرنا الله وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا من هؤلاء العلماء الربانيين ورثة الأنبياء.

مناقب الدكتور فريد :

أحسب أنه رحمه الله تعالى من هذا الصنف من العلماء الربانيين الوارثين للأنبياء، القائمين بوظيفتهم في البعث والإحياء لمنهج الفطرة ودين الفطرة ودعوة الفطرة ونظام الفطرة، في الأنفس والحياة والدولة والمجتمع . أقول هذا الكلام ولا أزكي على الله أحدا، فقد كان الفقيه رحمه الله تعالى عالما متحققا ومتخلقا بمقتضى العلم الذي يورث معرفة الله تعالى حق المعرفة، ومحبة حق المحبة، وخشيته حق الخشية، ويورث حب رسوله ودينه والدعوة إليه، إذا سئلت عن علمه فقل كان عالما موسوعيا، فقد كان رحمه الله برحمته أصوليا راسخا، وفقيها مدققا، ومحدثا محققا، ومفسرا مبينا، فكان ملما بالعلم بالوحي وبعلوم الوحي، وكان إلى جانب ذلك عالما مفكرا منظرا مؤصلا، عالما بالواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي للدولة والمجتمع، عالما بتاريخ الأمة وحاضرها، مستشرفا لمستقبلها الحضاري والعمراني بالمفهوم القرآني، فزرقه الله تعالى بهذا العلم والعمل بمقتضاء القدرة على البيان وفصل الخطاب، والقدرة على

في استمطار رحمت الله واستنزال السكينة على الجالسين المتدارسين وحفوف الملائكة لمجلسهم وذكر الله لهم في الملأ الأعلى عنده سبحانه وتعالى . وحقيقة هذه الفضائل والبركات لا يدركها إلا من تذوق حلاوة مجالس الذكر ومدارس القرآن، وتحقق وتخلق بهداياتها وبصائرها وأنوارها.

من هاهنا فإن بعث هذا المنهج من جديد في الأمة اليوم هو في حقيقة الأمر تجديد للدين ولفهم الدين وتجديد للدين من منطلق الفهم السوي السديد للوحي عملا بقوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه : «...ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...»(2).

معالم من تجديده الدعوي :

ثم إنه رحمه الله تعالى من رواد الدعوة إلى الله تعالى في هذا العصر بالمنهج الدعوي الفطري، وهو المنهج الذي رسم معالمه الوحي القرآن قال تعالى : «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي

إذا سئلت عن علمه فقل كان عالما موسوعيا . فقد كان رحمه الله برحمته أصوليا

راسخا، وفقيها مدققا، ومحدثا محققا، ومفسرا مبينا . فكان ملما بالعلم بالوحي وبعلوم الوحي، وكان إلى

جانب ذلك عالما مفكرا منظرا مؤصلا . عالما بالواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي للدولة والمجتمع، عالما بتاريخ الأمة

وحاضرها، مستشرفا لمستقبلها الحضاري والعمراني بالمفهوم القرآني، فزرقه الله تعالى بهذا العلم والعمل بمقتضاء القدرة

على البيان وفصل الخطاب، والقدرة على الجدل العلمي البناء المقنع للمخالفين، والقدرة أيضا على مخاطبة الأنفس ومعالجة

أهوائها، والعقول ومعالجة زيفها، والقلوب ومداواة أمراضها، فكان عالما ربانيا يربي بصغار العلم قبل كبارهم ويزكي

أنفسهم، فكان رحمه الله بانبا للإنسان نفسا وقلبا وعقلا وجوارح، أحب الناس فأحبوه وحبب إليهم

الإيمان وزينه في قلوبهم.

فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (الروم : 30)، وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم على بيانه وتنزيله والعمل بمقتضاه في دعوته، لذا فإن إحياء هذا المنهج وبعثه في الأمة اليوم تجديد للدين فقها وتنزيلا وللدعوة منهجا وإعمالا وللواقع فهما واستجابة وتفاعلا .

يقول رحمه الله تعالى في بيان هذا المشروع الدعوي الكبير الذي كان يسير على خطاه ولقي الله تعالى وهو على ذلك : (المشروع الدعوي وكما هو معروف أنا أسير على خطى أستاذنا الدكتور الشاهد البوشيخي فيما يمكن أن نسميه بالمدرسة القرآنية أو مدرسة الفطرة في الدعوة والدين، كما تعلمون الأستاذ البوشيخي من الأوائل الذين سبقوا إلى هذا المجال، وأرشدوا طلبة العلم ورجال الدعوة إلى الاشتغال بكتاب الله عز وجل، هذا المشروع هو نفسه. أقول هذا الكلام لأنني ما أحببت أن ينسب إلي مشروع خاص فهو مشروع الأمة ومشروع الدين، مشروع عام، كل يحمل منه ما يسر الله له من العلم ومن المسؤولية، وأنا على الطريق إن شاء الله تعالى، والذي على الطريق فليحمد الله، لأن النعمة الكبرى هي أن يجد الإنسان نفسه على الطريق لا خارج الطريق، فأحسب أن السير بهذا المنهج القرآني من إشاعة تداول عام جمعي للقرآن الكريم يعتبر هدفا عظيما وتفنى دونه الأعمار، ولا يطمع أحد أن يقول بأنه

سيستطيع أن يصل إلى الهدف الذي رسمه القرآن الكريم لطلاب القرآن إلى غايته. ثم هو مشروع الأمة، فهو يحتاج إلى جيل، وربما إلى أجيال ولهذا قلت أنا على الطريق، المهم أن يكون الإنسان يخوض الأمر الدعوي في بحر القرآن، ونسال الله عز وجل السداد والتوفيق حتى نلقاه عز وجل ونحن على منهاج القرآن الكريم(3).

● التركيز على رسالة الدعوة والبلاغ في الإصلاح :

إن رسالة الفقيه رحمه الله تعالى من خلال هذا الحديث واضحة جلية، إنها رسالة حمل القرآن للأجيال ورسالة الدعوة للقرآن تحققا وتخلقا، إنها رسالة البلاغ المبين للرسالة القرآنية بمنهج الفطرة في فقه الدين وفقه الدعوة وفقه الواقع وفقه التنزيل، وهي رسالة عظيمة جلية، بل إنها أعظم رسالة على الإطلاق في هذه الحياة الدنيا، فهي الرسالة التي اشتغل بها الرسول ﷺ في حياته كلها ولم يشتغل بغيرها قط، وهي الرسالة التي اشتغل بها الصحابة الكرام والخلفاء الراشدون بعده رضي الله عنهم جميعا، وهي الرسالة التي اشتغل بها العلماء والصالحون من وراث النبوة في هذه الأمة، وهي الرسالة التي يجب أن يشتغل بها حملة القرآن، ورواد مجالس القرآن وطلبة العلم عامة، والعلماء الربانيون في هذا الزمان وفي كل زمان، فالاشتغال بها وبمنهجها تحققا وتخلقا في مجال الدعوة والتربية والتزكية وفي غيرها من مجالات عمارة الأرض، هو أقرب طريق يوصل السالكين إلى الله تعالى إلى الهدف المنشود وهو تحقيق الشهود الحضاري للأمة والعمران البشري بالمفهوم القرآني .

من يحمل هذه الرسالة بعدك يا

فريد؟!

وحمل هذه الرسالة والسير في حملها على منهج الفطرة، يحتاج إلى جهود متضافرة وإلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فهبوا يا شباب القرآن ويا رجال ونساء القرآن للتعاون على خير القرآن وحمل رسالة القرآن، فإن النجاة في ذلك وإن ابتغاء رضوان الله في ذلك، وإن عزة دينه وعودة الأمة إلى الخير والريادة والسيادة والقيادة في ذلك، وإن السبيل إلى الجنة التي يبتغيها كل مؤمن مخلص صادق في هذا الزمان وفي كل زمان هو في حمل هذه الرسالة والسير على خطاها والاستبصار ببصائرها قال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها» (الأنعام : 104)، فمن لحمل هذه الرسالة ورفع راية القرآن بعدك يا فريد؟ لقد كنت فريدا في حملها والدعوة إلى حملها، والسير في ركابها وإحياء منهاجها في الناس لتحبي ببعثه القلوب، وتزكو النفوس، وتنصلح الأحوال، ويعم الأمن والأمان الإنسان والزمان والمكان بفضلها وهداياتها بصائرها. نسال الله تعالى أن يتقبل منك ويجازيك الجزاء الأوفى، ونساله تعالى أن يهيئ رجلا بعدك لحملها والسير على منهاجها الفطري بصدق وعزم وإخلاص، وأن يجعلنا منهم أمين أمين أمين إنه سميع مجيب .

1- فتح القدير، للشوكاني : 5 / 258، 259 .

2- مسلم في الذكر والدعاء : 4867 .

3- في حوار أجرته جريدة المحجة مع فضيلته قبل موته وهو المنشور في هذا العدد .



لا عزاء لنا إلا فيما خلفت

رحل الشيخ الرباني الدكتور فريد الأنصاري إلى لقاء ربه، بعد معاناة مع المرض، ومع واقع حاول تغييره بكل ما أوتي من وسع، تاركا في الأمة شرخا كبيرا برحيله، لكن عزاءنا أنه خلف إرثا ثقافيا وفكريا كبيرا، استطاع أن يحقق به مكانة سامقة رغم صغر سنه الذي لم يتجاوز التاسعة والأربعين.. وإذا تصفحنا هذا الإرث المتنوع والعميق، أدركنا أننا لسنا أمام شخصية مثقفة أو عالمة عادية، وإنما أمام عالم فريد من نوعه، فياض في عطائه، في زمن وإن تعددت فيه الأسماء وتطاولت، شحبت فيه العطاء وتقزم، وأنا إزاء قمة من القمم التي شعت بنور ربها في عصر خبت فيه أغلب الأنوار، وأنا إزاء صوت قوي لا يخشى في الله لومة لائم، في وقت خفتت فيه الأصوات.. عالم جمع بين وضوح الفكرة وقوتها، وبين دقة العبارة وجمالها، وأمن حد اليقين أن للقرآن الكريم في عصر العولمة الكاسحة قدرة مذهلة على تشكيل الإنسان الحضاري، وإعادة بناء شخصيته من جديد، وتطعيمها بكل ما يلزمها من معانٍ تعبدية وعمرانية، شرط إصاخة السمع والفؤاد والعقل له، لأن أنوار القرآن لا تفيض إلا على من أخلص النية للزود منه، والنهل من فبوضاته المشعة.. أيقن حد الإخلاص أن لا ملجا من هذه الظلمات التي يتخبط فيها الإنسان إلا حقائق القرآن، فعمل جاهدا على مشروع علمي جاد وشامل، دعا فيه إلى ترسيخ العلم الشرعي وإشاعة مجالس القرآن الكريم، وتدبر بلاغات رسالة الله عز وجل، معتمدا في ذلك على المنهاج الفطري، أو الفطرية كما كان يسميه، من أجل إرجاع الإنسان إلى فطرته التي فطره الله تعالى عليها، فكانت أعداد من "رسالة القرآن" وأبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التاصيل المنهجي، وقناديل الصلاة، وجمالية التدين وغيرها، جزء من أجزاء هذا المشروع الذي حاول قبل أن يلقي ربه، أن يجدد به الفهم لمعاني القرآن الكريم ولمقاصده، ويُبصر الإنسان أنه لا قيمة له سوى بقدر ما يغرسه الوحي في نفسه من حقائق الإيمان، وما يسري بقلبه من روح الأمر الرباني، ويخاطبه شيخنا الأنصاري بأسلوب متأنج بالصدق والحرقة:

"قالول لك أيها الإنسان، هذا عمرك الفاني يتناثر كل يوم، لحظة فلحظة، كأوراق الخريف المتهاوية على الثرى تترى، أرقب غروب الشمس كل يوم تدرك كيف أن الأرض تجري بك بسرعة هائلة لتلقيك عن كاهلها بقوة عند محطتك الأخيرة، فإذا بك بعد حياة صاخبة جزء حقي من ترابها وقمامتها، وتمضي الأرض في ركضها لا تبالي.. تمضي جادة غير لاهية.. كما أمرت - إلى موعدها الأخير.. فكيف تحل لغز الحياة والموت؟ وكيف تفسر طلسم الوجود الذي أنت جزء منه ولكنك تجهله؟ كيف وها قد ضاعت الكتب كلها؟ ولم يبق بين يديك سوى هذا الكتاب؟"

كما كان إبداعه الأدبي يصب في هذا المشروع، سواء رواياته أم شعره، ولعل رواية كشف المحجوب ورواية آخر الفرسان وديوان الإشارات وديوان مشاهدات بديع الزمان النورسي وغيرها من الكتب الإبداعية تنبئ عن رسالية المضامين التي تهدف إلى تنبيه القارئ إلى السباحة في ملكوت الله والغوص وراء مقاصد القرآن من أجل تجديد علاقته بدينه، بل من أجل تجديد حياته كلها، كما تنبئ عن أسلوب مغموس في إجابيات الشكل الحدائي وجماليته، ليرتقي به إلى عالم الجمال والتأمل والتدبر.

رحمك الله يا فقيد الإسلام، فقد جاهدت كي تبليغ رسالة مفادها أن الوحي هو وحده المؤهل لإصلاح التشوهات التي أصابت الإنسان المعاصر، وإرجاعه إلى فطرته والابتعاد عن الانحرافات التي شوهت تصوراته ومفاهيمه، وامتدت إلى ممارساته وأخلاقه، وأن الوحي وحده هو الحق "فماذا بعد الحق إلا الضلال"، رحمك الله برحمته الواسعة، وأسكنك فسيح جناته، ونفع الأمة بعلمك وأدبك، وعمق معرفتك بكنه الجمال..



د. أم سلمى

كان فضيلة الأستاذ الدكتور فريد رحمه الله كالشمس لمكناس وكالعافية للناس



ذ. عبد المجيد البصير

أجل كذلك كان رحمه الله، وكان في أوجز وصف له المربي الرباني، وفي أوسع من ذلك الخبير بخبايا الجمال الدعوي، وبمفاتيح المنهج في كل ما يتعلق بالعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية وقضايا الفكر الإسلامي.

كان رحمه الله من أهل القرآن، أهل الله وخاصته، إذ كان مهندس البصائر القرآنية، تنظيرا وتطبيقا، ربي عليها الناس ابتداء بمكناس، من داخل مساجدها وعبر منصاتها وجمعياتها، كما ربي طلبة العلم في مختلف الدور والكليات والمدارس والمعاهد بكبار العلم بعد صغاره، وبمناهجه بعد قواعده.

كانت كلماته رحمه الله بلسان العالم المتمكن، وتأليفه بقلم الأديب المتقن، وإشرافاته بعين البصير المحقق، ومناقشاته في أدب الضابط المدقق.

أهم الأصول الفكرية والمدرسية التي نهل منها

الأستاذ فريد :

لطالما تأملنا في مرحلة التلمذة عليه في السلك الجامعي والسلك الثالث، في أصول شخصيته العلمية وإمامته التربوية الاجتماعية، فوجدناها تنهل -فيما تنهل- فيما تنهل- بعد مدرسة الوحي الرباني والصدر الأول الذي

كانت كلماته رحمه الله بلسان العالم المتمكن. وتأليفه بقلم الأديب

المتقن، وإشرافاته بعين البصير المحقق، ومناقشاته في أدب الضابط المدقق.

لطالما تأملنا في مرحلة التلمذة عليه في السلك الجامعي والسلك الثالث، في أصول شخصيته العلمية وإمامته

التربوية الاجتماعية، فوجدناها تنهل -فيما تنهل- فيما تنهل- بعد مدرسة الوحي الرباني والصدر الأول الذي يحتوي

خيرة قرون الإسلام وأجيال الإيمان من أربع مدارس كبرى : مدرسة العلوم الشرعية، ومدرسة

الدراسات المصطلحية، ومدرسة النور القرآنية، ومدرسة الأدب الإسلامي

- الثاني: موقع الفطرية الإلكتروني الذي كان بمبادرة من بعض محبيه، وهو في حاجة إلى تطوير يشمل كافة أعماله المكتوبة والمسموعة والمرئية، تحت إشراف ثلة من الخبراء بترائه ومنهجه التوحيدي التكويني.

نسأل الله العلي القدير لأستاذنا الفريد أن يتغمده- وقد افتقدنا فيه أبا كريما، وأبا رحيمًا، ومربيا حكيمًا- بوسع رحمته وفردوس جنته، وأن يلهم أهله وبنيه، وذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

شهادة تقدير:

وأخيرا أختتم بكلمات هي من أصدق ما قيل في حقه في حياته رحمه الله، وهي شهادة فضيلة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله آخر تقريره لدكتوراه الفقيد يوم مناقشتها "إن فريدا الفريد لم يكد يخلق إلا للعلم والبحث العلمي، في حدود عشريني له، ولذلك فإني أهنته من سويداء القلب، وأدعو له بمزيد من التوفيق، وأحثه على السير في هذا المجال بنفس الجهد، وبنفس العناية، وبالحرص الشديد الذي كان له قبل إنجاز هذه الرسالة. عليه أن يحول حياته إلى رسالة، ليتمكن الوصول إلى المقصود، وليتمكن تذليل عقبة البحث العلمي، والسير الجاد وتعبيد الطريق للاستئناف العلمي فإنما هذه محطة فقط، والآن وقد بلغ أشده وبلغ الأربعين سنة، بدأ إرساله في مجال العلم."

وأخيرا أحمد الله الذي أخرج من صلبه العلمي- وسيخرج إن شاء الله عز وجل- من هو خير مني. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يحتوي خيرة قرون الإسلام وأجيال الإيمان من أربع مدارس كبرى : مدرسة العلوم الشرعية، ومدرسة الدراسات المصطلحية، ومدرسة النور القرآنية، ومدرسة الأدب الإسلامي :

■ **مدرسة العلوم الشرعية:** وخصوصا مدرسة أصول الفقه الذي خبر دقائقها ولطائفها، وسبر قضاياها وإشكالاتها، في مختلف أدوارها وأطوارها، وعلى الأخص في دورها المقاصدي الأخير مع علمها الشامخ الكبير الإمام أبي إسحاق الشاطبي الذي صحبه أستاذنا رحمه الله مصاحبة البحث والدرس من سلك تكوين المكونين إلى الدكتوراه إلى سلك التدريس الجامعي إلى الإشراف على الرسائل والأطروحات المتعلقة بالقضايا المصطلحية عامة والشاطبية خاصة.

■ **مدرسة الدراسات المصطلحية:** وخصوصا المدرسة الفاسية- بتعبيره رحمه الله- إذ كان عضوا مؤسسا لمعهد الذي يرأسه أستاذه مقام والده وشيخ أساتذتنا فضيلة الدكتور الشاهد البوشيخي بارك الله في عافيته وفي عمره، وبهذه المناسبة الأليمة نعزي فضيلته في مصابه ومصابنا الجلل، فقد كان أستاذنا الفريد رحمه الله خير من أخرج من صلبه العلمي، إذ أنجز تحت إشرافه كافة بحوثه الجامعية.

■ **مدرسة النور القرآنية:** وهي مدرسة بديع الزمان سعيد النورسي، من خلال تفسيره الهادي لبصائر القرآن كليات رسائل النور، وقد أفاد به أستاذنا رحمه الله في مختلف دروسه ومحاضراته وتأليفه، وأفرده بمعجم شامل



قناديل العالم الرباني "فريد الأنصاري"



د. إبراهيم بن البو

نزل قدر الله تعالى المتصرف في خلقه فقضى، ولا راد لقضائه، بوفاة علم من أعلام الإسلام الأفاضل ومصباح من مصابيح الهدى، تميز برسوخه العلمي وجماله الأخلاقي ونهجه الإحيائي واجتهاده المقاصدي وسمته الراقية، اسمه: "فريد الأنصاري". وإنه لحدث مر أبكى عيوننا وأحزن قلوبنا، كما أبكى عيون وأحزن قلوب الملايين من المحبين في مشارق الأرض ومغاربها، غير أننا بفضل إيماننا لا نقول إلا ما يرضي خالقنا موقنين أن الموت سنة من سنن الله تعالى السارية في الخلق، قال جل وعلا: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (آل عمران: 185) وقال أيضا: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (الرحمن: 24-25).

مكانة الأستاذ فريد من خلال شهادة أساتذته وآثاره :

وقد كان رحمه الله تعالى عالما ربانيا فريدا، شهد له بذلك علماء المغرب والمشرق، وفي مقدمتهم أستاذه ومربيه "فضيلة الدكتور الشاهد البوشيخي" والذي أشاد بشخصه وعلمه في العديد من المناسبات. فمما قاله فيه وهو يقدم لأطروحته الفريدة "المصطلح الأصولي عند الشاطبي": (أما ابني البار فريد فهو كاسمه فريد. وقد قلت له هذا غير مجامل في أول عمل علمي قدمه، وأقوله له اليوم بتوكيد أكثر، لأن هذا العمل الثاني أعمق وأدق، وأكثر عطاء، وأبعد أثرا إن شاء الله تعالى.... ثم إن فريدا الفريد لم يكد يخلق إلا للعلم والبحث العلمي، في حدود عشريني له. ولذلك فإني أهنته من سويداء القلب، وأدعو له بمزيد من التوفيق، وأحثه على السير في هذا المجال بنفس الجهد، وبنفس العناية، وبالحرص الشديد الذي كان له قبل انجاز هذه الرسالة(1).

وشهد له أيضا ما خلف من آثار علمية وكتب قيمة، يكاد يمثل كل واحد منها نبزاسا يبدد ظلاما حالكا ومصباحا يزيل ضبابا كثيفا خيم على أفهام الناس، خصوصا في هذا الزمان الذي هو زمان الغيم والرؤية العسيرة، ومن هذه المصابيح: الفطرية، بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إِبصار آيات الطريق، جمالية الدين، قناديل الصلاة، مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة، أبعاديات البحث في العلوم الشرعية، البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب.... وشهد له -زيادة على ما ذكر- مساره التعليمي بالعديد من الكليات

والجامعات المغربية، والتي كان فيها فارسا مغوارا وعالما محنكا وباحثا كشافا، تجود قريحته بدرر وكنوز علمية ولطائف ونكت بلاغية تشد الباب الطلبة إليها شدا، مما دفع الكثير منهم إلى التسابق من أجل النهل من ينبوع علمه الدفاق، والعب من عين بلاغته وفصاحته، والارتواء من فيوضات ونسمات رقائقه وتوجيهاته، والاستفادة من دقائق قواعد منهجه العلمي السديد.

كما كان رحمه الله من أنصار الله تعالى، يصدق في حقه ما قاله الحواريون لعيسى عليه السلام: ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون. ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (آل عمران: 51)، آمن بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا ورسولا وذاق حلاوة إيمانه فخاف وأدج، وارتوت روحه بغيث القرآن فانسابت سيوله على فكره وسلوكاته. وعرف حق المعرفة أنه لا صلاح لأمر هذه الأمة إلا بما صلح به أوله، فحمل

قبل فوات الأوان: ﴿ففروا إلى الله، إني لكم منه نذير مبين﴾ (الذاريات: 50). وإنما الفرار إليه يكون بالتعلق بكتابه العظيم: القرآن الكريم، على سبيل السلوك إليه تعالى لإدراك قوارب النجاة إلى بر الأمان من رضى الرحمان.

فاعلم إذن أن فتنة هذا العصر هي بداية خير جديد، وإعلان لبزوغ عصر القرآن وظهور بعثة التجديد، فإما أن تركب مع موكب الربانيين فتكون من الناجين، وإما أن تبقى مع المتخلفين فتكون من الهالكين، وإنما الربانيون هم المتعلقون بالقرآن، قال تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: 79). وفي قضية النجاة والهلاك، قال رسول الله ﷺ: «أبشروا.. أبشروا..» ليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا القرآن سبب -أي حبل- طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا» (رواه ابن حبان في صحيحه).

أول الأعمال التي ينبني عليها ما سواها: الصلاة، إن

صلحت صلح سائر الأعمال وإن فسدت فسدت سائر الأعمال، وهذا ما عبر

عنه أبو أيوب الأنصاري بقوله البليغ المليخ: «أما أنت فاعلم أن السير إلى الله من

غير مسلك الصلاة ضرب من التيه! كل أعمالك في الجهاد والدعوة إلى الله، وما

تستكثره من حركات وسياسات، راجعة إلى مدى سلامة هذا الأصل عندك،

قصدا ووقتا وأداء. وإلا فعلى دينك السلام!

يا أيها الحيران.. إن الله تعالى خلقك، فتذكر هذا جيدا، خلقك ولم تكن شيئا مذكورا، وبمقتضى ذلك ترتب على ذمتك حق عظيم، هو حق الخالقية، فماذا أدبت لله تعالى منه؟ ذلك هو السؤال الذي على الإنسان -كل إنسان- أن يرجع إليه، ليبدأ مسيرة التعرف إلى الله.

أما أنت أيها المسلم، فباعتبار أنه تعالى جعلك مسلما، وتلك نعمة أخرى أعظم وأكرم، فما عليك إلا أن تبادر إلى حمل رسالة القرآن، في زمان تخلق الناس فيه عن القرآن، يا ويلهم(2).

كما أنها تبين له أيضا أن الماضي الفعلي في هذا السبيل المنجي من الشقاوة والضنك في الدنيا والهلاك في الآخرة، يقتضي تصحيح التصور قبل السلوك والعقد قلبيا على الإيمانيات قبل تطبيق الأحكام والتشريعات. ورأس العلم معرفة الله تعالى، "و ما أحسب هذا الشرود الرهيب عن باب الله في هذا الزمان، إلا دليلا قاطعا على الجهل العظيم الذي يكبل الناس أن يبحثوا عن ربهم الذي خلقهم، مما يصنفنا دون أدنى مراتب المعرفة بالله. تراخيها عن سلوك طريق المعرفة به في الرخاء، فبقينا هملا، أو لقي في مزلة التاريخ، وبقيت وصية

هم بلاغ القرآن وبيان حكمه وأحكامه وكيفية التعامل معه. والجدير بالذكر أنه وإن كان جثمانه الطاهر قد ووري التراب وعرجت روحه الملائكية إلى بارئها، فإنه ما مات، فما خلفه من قناديل مضيئة ومصابيح منيرة ستخلد اسمه في سفر تاريخ العظماء وسير النبلاء ومذكرات الصديقين والأتقياء، بل وستبوءه إن شاء الله تعالى، المنزلة العليا في دار القرار وتسكنه فسيح الجنان مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

قبسات من قناديل الأستاذ فريد وتوجيهاته :

ومن القناديل التي أشعلها والمصابيح التي أضاعها بفكره النير لينتفع بنورها كل من له قلب حي أو ألقى السمع وهو شهيد، ما يلي:

1- قناديل توجه السالكين إلى الله

تعالى: تبصر كل باحث عن معرفة الطريق إلى الله عز وجل بالآيات والعلامات الدالة عليه بلطف ورحمة وبرفق ولين، وترشده إلى ما به تتم المعرفة الحققة: "كتاب الله"، منادية إياه: "عليك أيها المسلم أن تبادر إلى الله

رسول الله فينا دون وفاء، فكان لها مفهومها المخالف في واقعنا: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة». لو كان الناس يعرفون الله حقا لرأيت الحال غير الحال ولرأيتهم يسابقون في أداء حق الخالقية(3). ولا يمكن أن تتم هذه المعرفة إلا بما دل عليه قول النبي ﷺ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله» (أخرج به البيهقي في شعب الإيمان) وبما قعد له فريد الفريد رحمه الله تعالى بقوله: «حق الخالقية هو مفتاح المعرفة بالله(4).

ولا يستقيم السير مع هذا كله إلا إذا عرف السالك حقيقة الحياة وأيقن بما لا يدع شكا ولا ريبا أن العمر الدنيوي مجرد حلم، وأن مفهوم الحياة إنما يتجلى بصورة حقيقية في الآخرة، حتى لكان ما دون الآخرة ليس بحياة، وتلك آيات القرآن العظيم ناطقة بهذا، قال عز وجل: «وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» (العنكبوت: 64)... تلك هي طبيعة الحياة الآخرة تفيض بالحياة والحياة، وتمتد نعمها التي لا تنفذ على عرض الكون، فلا يعرف لها نهاية، خلودا مؤبدا، إلى ما شاء الله. ويبقى ما دون ذلك من حياة أشبه ما يكون بطعم الصياد الذي يغري الفريسة لتقع على المنفعة الوهمية، فتكون من الهالكين، فهي متاع الغرور... فإن لا طول للحياة الدنيا ولا بقاء لها مكانا وزمانا، بل هي مجرد خدعة للإنسان إن لم يستثمرها للحياة الحقيقية: الآخرة(5).

حتى إذا صحت عقيدته وتوثقت صلته القلبية بخالقه والمنعم عليه بما لا يعد ولا يحصى من النعم، فلا يتأكد صدق دعواه حتى يصدق عمله وقوله ما وقر في جنانته. وأول الأعمال التي ينبني عليها ما سواها: الصلاة، إن صلحت صلح سائر الأعمال وإن فسدت فسدت سائر الأعمال، وهذا ما عبر عنه أبو أيوب الأنصاري بقوله البليغ المليخ: «أما أنت فاعلم أن السير إلى الله من غير مسلك الصلاة ضرب من التيه! كل أعمالك في الجهاد والدعوة إلى الله، وما تستكثره من حركات وسياسات، راجعة إلى مدى سلامة هذا الأصل عندك، قصدا ووقتا وأداء. وإلا فعلى دينك السلام! «كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب» (النور: 39). إنك لن تذوق ما الإيمان وما الإسلام حتى ترحل إلى الصلاة: تكشف أسرارها الممتدة إلى بحر الغيب المطلق فتري عجبا..(6)

ومن أنوار هذه القناديل أنها تدل السالك على ما به يكفل الاستمرار على صراط الله المستقيم بثبات ويقين، مؤكدة أن مدار ذلك على ثلاثة مفاتيح: «هي أصول لما سواها: اغتنام المجالسات والتزام الرباطات وتبليغ الرسالات... فأما المفتاح الأول: فهو الحرص على مجالس القرآن وهي خير



قناديل العالم... (تتمة)

أنواع مجالس الذكر... وأما المفتاح الثاني: فهو التزام الرباطات، وإنما القصد الرباطات: بيوت الله والتمزام الجماعات قصد شهود الأوقات واكتشاف الصلوات... وأما المفتاح الثالث: فهو تبليغ الرسالة، والمراد به: الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... (7)

2- قناديل تبين كيفية التعامل مع

القرآن الكريم: تبصر المسلم الحق بهدايات وحقائق من جملتها :
أولا : بحقيقة القرآن، إنه كلام الله، كلام رب الكون، وإذا تكلم سبحانه تكلم من عل -أي: من فوق- لأنه العلي العظيم سبحانه وتعالى، فوق كل شيء، محيط بكل شيء علما وقدرة، إنه رب الكون... ومن هنا جاء القرآن محيطا بالكون كله، متحدنا عن كثير من عجائبه... كلام من أحاط بمواقع النجوم خلقا وأمرنا وعلمنا وقدرة وإبداعا، فجاء كتابه بثقل ذلك كله، أنزله على محمد ﷺ من بعدما هياه لذلك وصنعه على عينه سبحانه جل وعلا، فقال له: ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ (الجن: 5) (8). وتبرز أن القرآن روح، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (الشورى: 52)، **وإنما كان القرآن روحا لأنه سبب حياة هذه الأمة، من حيث هي أمة، وسبب حياة القلوب، فلا يموت قلب خالطت نبضه آيات القرآن الكريم ولا حياة لقلب خلي منها** (9).

ثانيا : بقواعد منهج التعامل مع هذا الكتاب الرباني المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن أهمها:

■ الحرص على تلاوة القرآن

واغتنام أوقاته: يقول العالم الرباني "فريد الأنصاري" الذي تذوق حلاوة قراءة كلام رب العالمين وسبح في بحر جماله: "إن هذا القرآن سر لطيف، وكنز رباني عجيب، لو تلوته يا صاح حق تلاوته لرأيت فيه عجايبا ولأبصرت منه بصائر الكون جميعا، فهو جامع الكتب السماوية كلها وخلاصتها الكاملة، فهو الكتاب" (10).

ولا شك أن القرآن لكل الأوقات والأزمان إلا أن الله تعالى أرشد عباده الذاكرين إلى أوقات مخصوصة باعتبارها ذات جمال خاص تحقق الذكر الحق، قال عز وجل: ﴿وانك ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ (الأعراف: 205)، وهذا ما نبه عليه الفقيد رحمه الله قائلا: "فلا غنى لك أخي السائر عن زاد المساء، فهو زاد الأنبياء والصديقين، قال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ (النور: 36-37)... ولكن لا تنسى حظ الليل من القرآن الكريم! فاجعل جزءا من ورد القرآن صلاة بليل، وإن نشط سيرك فاجعله كله قياما! ذلك خير، فقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: «نعم الرجل عبد

الله لو كان يصلي من الليل، قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا» (متفق عليه) (11)

■ **أخذ القرآن بمنهج التلقي:** وذلك بأن يستقبل القلب الوحي على سبيل الذكر، وهو ما يقتضي: أن يتعامل معه العبد ويتدبره آية آية باعتبار أنها نزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه فتبعث قلبه حيا في عصره وزمانه! ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي يتلقى القرآن بهذا المعنى بأنه يلقي له السمع بشهود القلب، قال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (ق، 37) (12).

ولا يتحقق ذلك فعلا إلا بتدبر آيات القرآن، أي: النظر إلى مآلاتها

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ (فصلت: 30-36)، وهي: إعلان توحيد الله ورفع راية لا إله إلا الله -الاستقامة على صراط الله -التبشير وعدم التنفير - الدعوة إلى الله لا إلى ذات الأشخاص والهيئات والمنظمات - العمل الصالح أساس الدعوة إلى الله، وعلى رأسه الصلاة - إعلان الانتماء لكل المسلمين وحرص على عدم تفريق وحدتهم العامة - لا تستوي الحسنه ولا السيئة - دفع الشر بالخير - الصبر على الأخذ بالمنهج القرآني - الحذر من الشيطان. (14)

3- قناديل تقوم مسيرة الحركات

الإسلامية بالمغرب: تبرز الأخطاء والانحرافات التي وقعت فيها

إن مدار تلك القناديل التي توجه السالكين إلى

الله تعالى على ثلاثة مفاتيح: "هي أصول لما سواها: اغتنام

المجالس والالتزام الرباطات وتبليغ الرسالات... فأما المفتاح الأول: فهو

الحرص على مجالس القرآن وهي خير أنواع مجالس الذكر... وأما المفتاح الثاني:

فهو التزام الرباطات، وإنما القصد الرباطات: بيوت الله والتمزام الجماعات

قصد شهود الأوقات واكتشاف الصلوات... وأما المفتاح الثالث: فهو تبليغ

الرسالة، والمراد به: الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر...

وأعاقبها في النفس وفي المجتمع، وذلك بأن تقرأ الآية من كتاب الله فتتأمل، إن كانت متعلقة بالنفس، إلى موقعها من نفسك وآثارها على قلبك وعملك، تنظر ما مرتبتك منها؟ وما موقعك من تطبيقها أو مخالفتها؟ وما آثار ذلك كله على نفسك وما تعانیه من قلق واضطراب في الحياة الخاصة والعامة؟ تحاول بذلك كله أن تقرأ سيرتك في ضوئها، باعتبارها مقياسا لوزن نفسك وتقويمها، وتعالج أدواء بدوائها وتستشفى بوصفاتها.

■ **ظاهرة التضخم السياسي على حساب العمل التربوي والدعوي:** حيث أن " بعض العاملين للإسلام، المخلصين لدعوته يغترون بالوجه السياسي المحارب للمشروع الإسلامي، فيجعلون ذلك أساس المعركة ورأس الأولويات الدعوية في أوطانهم، بينما غالبا ما يخفي ذلك الوجه خطة أخطر من ذلك وأدهى، هي تقويض صرح الشعور الديني لدى مختلف الشرائح الشعبية في البلاد الإسلامية، وذلك بضرب البنية الخلقية التحتية التي هي أساس قيام الأسرة المسلمة، حيث استمرار المحافظة على بيضة التدين في المجتمع وتلقينها للأجيال" (15)

■ **وقوع بعض فصول الاتجاهات الإسلامية في " الاستصنام المنهجي":** أي: "في ضرب من الانحراف عقرها عن السير في طريقها الأصيل، وأدى بأشكالها التنظيمية ذاتها إلى أن تصير حجبا لها هي نفسها عن النظر إلى "مقصد إقامة الدين" في النفس والمجتمع، ذلك المقصد الكلي الذي رفعت شعاها لها من يرم ولادتها" (16)

ولم يكن كاشفها -رحمه الله- يقصد بذلك سوى تصحيح مسار هذه الصحوة المباركة حتى تسير وفق الهدى النبوي الذي رفع لواء العمل الدعوي وجد في تغيير الواقع بالعمل التربوي، معتبرا إياه من أولى الأولويات، أولوية ينبغي أن تقدم على كل عمل سياسي أو نقابي أو

اجتماعي...، لأنه هو المؤطر لها الضامن لسلامتها من الانحراف والزيغ والضلال، معتمدا في ذلك على القرآن فقط وجوامع كلمه وهديه الفعلي والتقريري.

4- قناديل تؤطر البحث في العلوم

الشرعية: أجملها صاحبها وجمعها في باقة مهداة إلى كل طالب علم في كتاب سماه: "أبجديات البحث في العلوم الشرعية"، ومن أهم ثمراتها:

■ **تقديم توجيهات تطبيقية عن منهجية البحث من البداية إلى النهاية، وذلك بتجلية مراحلها الثلاث التي تمر بها، وهي:** المرحلة الابتدائية وتشمل أربع خطوات: المرجعية، والتقريب، والتقميش، والإعداد، والمرحلة التركيبية وأهم عناصرها: الفرض والنص والاستنتاج ثم القالب العلمي، والمرحلة الثالثة: المرحلة التكميلية وتشمل ثلاثة عناصر أساسية: إعداد الفهارس، مراجعة البحث، الرقن والإخراج.

■ **رسم آفاق للبحث في العلوم الشرعية لتشمل:** التحقيق والتكشاف الموضوعي، والدراسات المصطلحية، والدراسات المنهجية، بالإضافة إلى الدراسات المتعلقة بالعلوم الشرعية، كعلوم القرآن والتفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه وأصوله، والفكر الإسلامي، تجنباً للعشوائية والتكرار والفوضى.

■ **التنبيه إلى ضرورة اعتماد المنهج الصحيح في البحوث المتعلقة بالعلوم الشرعية لبناء المشروع الحضاري الإسلامي، وهو ما يتطلب تأصيل مناهج البحث، بالاستنباط منها نفسها، وتجديد اختراع ما هي بحاجة إليه وهو ليس فيها، وباستصلاح ما يجوز من مناهج غيرها" (17)**

لقد كان فريد الفريد فعلا مصباحا من مصابيح الهدى، استنقى نوره الرباني من شمس القرآن ونور جوامع كلم النبي ﷺ، فانساب نوره رقراقا فأشعل قناديل أضاعت دروبا كثيرة، وأنارت مسالك عديدة، انتفع بها خلق كثير. فاللهم أنعم عليه بالنظر إلى وجهك الكريم وبصحة خير الأنام، آمين يا رب العالمين.

- (1) المصطلح الأصولي عند الشاطبي، ص: 7-8 (بتصرف)
- (2) ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله ، ص: 24-27
- (3) بلاغ الرسالة القرآنية، ص: 37
- (4) نفسه، ص: 48
- (5) نفسه، ص: 67-68
- (6) نفسه، ص: 70
- (7) نفسه، ص: 70
- (8) نفسه، ص: 29 (بتصرف)
- (9) نفسه، ص: 24
- (10) ميثاق العهد، ص: 104
- (11) نفسه، ص: 109-114 (بتصرف)
- (12) نفسه، ص: 80
- (13) بلاغ الرسالة القرآنية، ص: 26
- (14) انظر تفصيل ذلك في: بلاغ الرسالة القرآنية، ص: 86-95
- (15) البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، ص: 170
- (16) الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، ص: 16-17
- (17) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ص: 169



نظرات في المسألة التربوية في فكر الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله



د. الطيب الوزاني

تقديم:

لعل مما يدعو إلى الاهتمام بالجانب التربوي عند الأستاذ المربي فريد الأنصاري رحمه الله تعالى أن الرجل كان رجل تربية بامتياز، وحتى النخاع - كما يقال - ولا يلهج إلا بالتربية، وجميع ما ألفه يصب في التربية: نظرا وعملا، تصورا وتطبيقا، علما ومنهجيا وطريقة ودليلا عمليا، درسا وتدريسا، خطبا ومواعظ، بل حتى إبداعه الأدبي من شعر وقصة ونقد، وكيف له أن لا يكون رجل تربية بامتياز وقد تشرب ذلك منذ صغره في بيته مع والديه اللذين سهرا كثيرا على تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه الآداب والنظام؟ وكيف بمن تربى على يد الفحول في التربية القرآنية ابتداء من المدرسة النبوية مع الصحابة والتابعين مروراً بكبار العلماء الربانيين العاملين والمربين والمصلحين في القديم والحديث والمعاصر. كما سيرد بعد أن لا يكون داعية ومربيا ومصلحا اجتماعيا؟ أليس هو من يحكي عن شيوخه قولهم الذي يتمثله كثيرا: من عاش الفحول تفحل؟

ثم أليس من حق من ذاق لذة الجمال الكوني والقرآني وحلاوة الإيمان أن يكون مربيا وداعيا ومصلحا؟ ومن ذا الذي يمكن أن يكون مؤهلا لها من ليس في مثل أبي أيوب فريد الأنصاري رحمه الله تعالى علما وخلقاً وذوقاً وهما بصالح المجتمع؟ وإني بحكم متابعتي لما يسر الله متابعتي من إبداعاته منذ زمن غير يسير تبين لي - فيما أقدر وفيما أعتقد أن أحدا من المنصفين لن يسره إلا أن يوافقي - أن المسألة التربوية تحظى باهتمام واسع لدى الرجل الفريد إلى حد يمكن اعتبارها هي بؤرة تفكيره، وجوهر مشروعه الدعوي، ولب حياته التي وهبها لله ولخدمة دينه علما وتعلما، بيانا وتبييناً، فهما وتربية وتبليغا، ونصحا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين (من الولاة والعلماء والدعاة والعاملين) ولعامّة المسلمين.

ولحالة الإشراف على بعض معالم مشروعه التربوي والدعوي كان تتبع مواطن حضور الهاجس التربوي لدى الرجل في كتاباته ذات الاتصال بالمسألة التربوية اتصالا قريبا أو بعيدا، أو اتصالا ظاهرا جليا أو باطنا خفيا، بقصد تلمس الخيط الناظم لكل كتاباته، فتبين أن حضور المسألة التربوية لديه يمكن تجليتها من خلال جانبين: جانب البناء، وجانب الهدم؟ فكيف ذلك؟

أولا - الجانب البنائي:

يسعى هذا الجانب إلى إبراز الجهود التي بذلها الأستاذ فريد رحمه الله تعالى من أجل بناء تصوره في المسألة التربوية بدءا من التصريح بدواعي اهتمامه بذلك (مقدمات كتبه) إلى بحوثه في تأصيل المسألة التربوية وبيان أهميتها ومركزيتها في الإصلاح الديني والتجديد الديني والبعثة الحضارية المتجددة للأمة (كتاب التوحيد والوساطة، والمصطلح الأصولي، وأبجديات البحث، والفجور السياسي،

والبيان الدعوي، ومفهوم العالمية، وبلاغ الرسالة، بعثة التجديد المقبلة...)، إلى محاولاته في تنزيل مشروعه التربوي في دلائل وتوجيهات عملية ذات بعد تطبيقي وروحي (مجالس القرآن وبلاغ الرسالة، وفناديل الصلاة، وجمالية الدين...)، مع العلم بوجوب التصريح بصعوبة الفصل أحيانا داخل الكتاب الواحد بين الجانب العلمي النظري التصوري وبين الجانب العملي التطبيقي والتنزيلي، لتداخلهما وتكاملهما أبعادا ومقاصد وإجراءات.

■ **دواعي الاهتمام بالمسألة التربوية عند الأستاذ فريد:** يمكن تجلية بعض الدوافع التي ألحت على الأستاذ فريد ودفعته للاهتمام بالتربية تنظيرا وممارسة بناء ونقدا فيما يلي:

- إن التربية هي الإطار الذي يتم داخله تشكيل القيادات و الجنود... فهي صمام الأمان الذي يضبط المسيرة الدعوية داخل الصف (التوحيد والوساطة 33/1).
- نجاح العمل الدعوي في مختلف جوانبه مرتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بما يحققه من نجاح في المسألة التربوية تصورا وممارسة (نفسه 33/1).
- أغلب الخلافات والأفات في الأمة راجعة إلى آفات وتعثرات تربوية بالأساس (نفسه 33/1) ولا حل لهذه الخلافات إذن إلا

كلمات القرآن وبلاغاته وفي سنة النبي ﷺ وسيرته التي هي التطبيق العملي والفعل والواقعي للوحي ويمكن تلمس هذا التأصيل الشرعي في كتاب " التوحيد والوساطة في التربية الدعوية" (1995) إذ بين أن التربية هي "تعهد الفرد المسلم بالتكوين المنتظم، بما يرقيه، في مراتب التدوين، تصورا وممارسة" (التوحيد والوساطة ج 1 ص35)، وذلك بتوظيف كل ما يساعد على فهم الإسلام وحسن تنزيله تربويا في حياة الفرد والجماعة" (التوحيد والوساطة ج 1/ ص36) أو "كل ما يساعد على تمثيل الإسلام في الحياة البشرية روحيا وعلميا ونفسيا واجتماعيا" (التوحيد والوساطة ج 1 ص37) ولما كانت التربية تربية إسلامية فلا بد أن تقوم على مصدرية شرعية تعتبر التوحيد قطب رحاها وتقوم في مادتها التربوية على النصوص الشرعية: نصوص الكتاب والسنة (التوحيد والوساطة ج 1 ص44) والتطبيق الفعلي لهذه التربية ليس له من وجود إلا في سنة النبي ﷺ لأن الرسول إنما كان مربيا هذه الأمة ببلغ رسالة الإسلام التربوية (التوحيد والوساطة ج 1 ص55) فالمدسة النبوية نموذج التربية التوحيدية القرآنية التي كانت تتميز بخصائص متميزة منها اعتمادها في

كان رجل تربية بامتياز، وحتى النخاع - كما يقال - ولا يلهج إلا بالتربية.

وجميع ما ألفه يصب في التربية: نظرا وعملا، تصورا وتطبيقا، علما ومنهجيا وطريقة ودليلا عمليا، درسا وتدريسا، خطبا ومواعظ، بل حتى إبداعه الأدبي من شعر وقصة

من خلال قنوات التربية الصحيحة.

- عملية إحياء الدين لا تتم إلا بإحياء نموذج التربية القرآنية التي مارسها الأنبياء الذين كانت مهمتهم ووظيفتهم التربية القائمة على العلم والتعليم (مفهوم العالمية ص4).

- أهداف الفجور السياسي تتركز في هدف واحد هو تدمير الفطرة والقضاء على الدين الفطري في الأمة ولا سبيل إلى تحقيق التدافع في هذا الجانب إلا بتجديد الذات المسلمة وذلك بالرجوع إلى الفطرة دينا ودعوة لأن الفطرة المسلوقة أو المخرومة لن تعالج إلا بمنهاج فطري كما هو معروض في القرآن الكريم والسنة النبوية من غير وساطات (الفطرية ص 5 إلى 8 بتصرف)

هذه الدواعي وغيرها هي التي ألهمت الغيرة في صاحبنا وأيقظت فيه هم البذل والاجتهاد في إسداء النصح للأمة وللعاملين في حقل التربية والدعوة عن علم وبحكمة وبإخلاص، نسأل الله أن يتقبل منه ويبارك له الأجر، وينفع به الأمة.

■ **أصول الاستعداد:** ويقصد بها أن فريدا رحمه الله تعالى في مشروعه التربوي والدعوي كان حريصا على تأصيل عمله وبيان أصول الاستعداد التي استمد منها معالم هذا المشروع، وهي على نوعين:

الأول: التجربة النبوية المعصومة كما يعرضها الوحي قرآنا وسنة وسيرة: هنا عمل الأستاذ فريد رحمه الله تعالى منذ فترة مبكرة من مساره العلمي والدعوي على تأصيل المسألة التربوية والبحث عن أصولها الشرعية كما هي مبثوثة في

التربية على مصدرية القرآن ثم تعميق الاتجاه التوحيدي وربط المتربي بالله وحده من خلال القرآن الكريم نفسه ثم اعتماد منهج التكوين دون منهج التلقين وتسعى إلى الكشف على مواهب الصحابة وخصائصهم ومختلف قدراتهم ومراعاتها وتنميتها. ونظرا لهذه الأهمية المصدرية الكبرى للقرآن الكريم تعالت صيحات فريد رحمه الله تعالى في الأمة من خلال كتبه وخطبه ومحاضراته الأكاديمية بضرورة العودة للكتاب "كلمات الله" والسنة (بيانات الرسول" من أجل تجديد الدين (الفهم) وتجديد الدين وإعادة بعثة الأمة بعثة بالمنهج الفطري فيقول: "فإلى القرآن والسنة أحببنا الكرام، نستمد منهما تصوراتنا، ومناهجنا، وبرامجنا، في التربية، والتكوين، والإعداد والتوجيه، والترشيد، عسى أن يبارك الله خطواتنا، فتثمر بإذن عز وجل ما نرجوه من خير لهذه الأمة، الممزقة مرتين! مرة بيد المفسدين، وأخرى بيد المصلحين، مع الأسف الشديد! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" (التوحيد والوساطة ج2/ خاتمة).

الثاني: التجربة الاجتهادية للعلماء الربانيين ورثة الأنبياء عبر تاريخ الأمة: في سبيل تأسيس مشروع تربوي وتجديدي راشد وسليم لم يكتف الأستاذ فريد بالتجربة النبوية - وإن كان قد توقف عندها كثيرا وجعلها هي المنطلق والأساس - وإنما مال إلى التجربة التاريخية لمشاريع تربوية راشدة سارت على منهج النبوة ابتداء من عصر الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين وتابعيهم من الأئمة الأعلام إلى يومنا، مال

إلى هذه التجارب التربوية والإصلاحية والتجديدية يستلهم منها معالم الرشيد والتجديد ويبرز من خلالها استمرار الدين وعوامله لأن إحياء الأمة وتجديد الدين بعد النبوة موكول للعلماء الربانيين لذلك تجده واعيا بهذا الأمر عندما يقول: "منهج بناء الأمة كما كان على يد رسول الله ﷺ، يكون على يد ورثته من الدعاة المجتهدين والعلماء المصلحين" (البيان الدعوي ص 5) وقد كانت قراءته للتاريخ قراءة تربوية واعية وقاصدة تستهدف الكشف عن مواطن الرشيد فيها مثل قراءته لوصية الباجي لولديه والتي كانت ملهمه لكتابة كتاب: "مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية" لاقتراح ما يلزم لعصرنا من فلسفة التربية وبرامجها ومقرراتها وأهدافها وقد كان الأنصاري رحمه ينظر بإعجاب كبير للباجي لأنه "عالم عظيم ذو باع طويل وتجربة عميقة في مجال طلب العلم وتعليمه، والاشتغال به: تربية وتزكية ونشرا وتجديدا في ظروف شتى من العسر والبسر والخوف والأمن والسفر والحضر" (مفهوم العالمية/ ص 14) وبنفس المنهج قرأ تراث الشاطبي الأصولي والمقاصدي، ولاح له أن الشاطبي لم يكن مجددا في المصطلح الأصولي والمقاصدي إلا لأنه مجدد ومصلح ورجل تربية لذلك عقد في أطروحة فصلا لطيفا وهو المتعلق بـ"إصلاحية التجديد المصطلحي عند الشاطبي" بين فيه أن المقصد من التجديد المصطلحي عند الشاطبي هو مقصد إصلاح تربوي، وأن اهتمام الشاطبي بعلم الأصول لم يكن اهتماما بالعلم لذاته دون العمل ولا بالنظر دون التطبيق ولا بالمفهوم دون التربية والتخلق، ألم يقل فريد في حق الشاطبي: "إن القصد التربوي الإصلاحي كان حاضرا عند كل لمسة تجديدية للشاطبي في المصطلح الأصولي بل لقد كان كتاب المقاصد كله في الإصلاح التربوي امتدت فروعه إلى سائر الأبواب الأصولية الأخرى: لأن فكر أبي إسحاق الشاطبي إنما بني على ذلك الأساس (التربوي والإصلاحي)؟" (المصطلح الأصولي/ ص112) ولذلك فإذا كان "المصطلح هو العلم" (المصطلح الأصولي عند الشاطبي، ص11) وكان العلم هو "التربية والأخلاق" (مفهوم العالمية، ص 7) والربانية والإصلاح والتجديد فإن المصطلح هو التربية والأخلاق أو التعبد والامتثال (المصطلح الأصولي/ ص15) ومن ثم كان الاهتمام بالمصطلح اهتماما بالعمق التربوي وبصلب القضايا التربوية ومنطلقاتها الحقيقية إذ لا تربية ولا تجديد ولا إصلاح إلا بإصلاح المفاهيم والتصورات تصحيحا ينطلق من المنهج القرآني في تناول المصطلحات والمفاهيم وقضاياها والتربية بها وعليها.

وعموما فإن أبا أيوب الأنصاري رحمه الله تعالى كان يقرأ التاريخ بوعي ديني وحس تربوي وهم دعوي إصلاحي تجديدي يتلمسه في نصوص الوحي والسنة السيرة وفي التجارب الإحيائية للعلماء الربانيين والدعاة والمجتهدين المخلصين وسيرهم " من أمثال الحسن البصري.. وعبد الله بن المبارك، والفضيل بن عياض، وسعيد بن جبير، وشعبة بن الحجاج، وفقهاء المدينة السبعة.. هؤلاء الذين شكلوا مرجع الفقه المالكي، وأساس (عمل أهل المدينة)، لدى الإمام مالك، وكذا الإمام الزهري، وربيعه الرأي، ويحيى بن



وتضليل! (البيان الدعوي ص 8)، لأن العمل السياسي ليس أصلاً من أصول الدين ولا التسدين، وليس هو -بناءً على ذلك- أصلاً من أصول الدعوة. وإنما هو وسيلة تابعة، وفرع خادم، وآلة استبصار مهمة، بل ضرورية؛ لتحقيق مناهج العمل الدعوي "البيان الدعوي ص 168)

- نقد المسلك التربوي التعليمي الرسمي التغريبي: إن مما يتعلق بالتربية والتعليم الإسلاميين الوعي بالمخططات التربوية والتعليمية التغريبية التي دخلت الأمة مع الاستعمار والتيارات العلمانية بعده والتي كان من أهدافها الكبرى القضاء على الإسلام وعلى مؤسساته التوجيهية الضامنة لاستمرار الدين في المجتمع، ولعل أهم ما يمكن رصده في المجالين التعليمي والثقافي -كما يقول فريد- هو سيطرة الفرنكوفونية على الوضع مطلقاً؛ فالتعليم لم يستطع التخلص من عقدة اللغة الفرنسية (الفجور السياسي/ ص 47)، فاللغة الفرنسية يأسادتي ليست لغة وكفى. إنها نوع خاص من الثقافة، إنها ثقافة العهارة! (الفجور السياسي / ص 48).

فضلاً عن هذا فبرامج التعليم ومضامينها ما دامت ذات طابع علماني فإنها قاصرة عن تخريج العلماء الربانيين والدعاة المخلصين، كما أن غياب التربية المنهجية في البحث العلمي أدى إلى وجود ثلمات كبيرة في هذا الجانب طالما علا صوت أسنادنا في التنبيه على خطورتها في حال استمرارها.

- نقد واقع الدراسات الإسلامية بالجامعات: حمل الأستاذ فريد منذ فترة مبكرة هم الدراسات الإسلامية وأقلقه واقع التعليم الجامعي عموماً وواقع الدراسات الإسلامية خصوصاً بسبب ما تعانيه الجامعات الإسلامية والمعاهد الشرعية عبر أقطار العالم الإسلامي -إلا قليلاً- من أزمة ما سمي بقضية التحديث أو إصلاح برامج التعليم -ومن أجل ذلك فقد -تدرجت- مع الأسف- من الأعلى إلى الأدنى عبر فترات ومراحل متتاليات (مفهوم العالمية ص 6) وهذا الوعي بهذا الواقع العقيم هو ما دعا فريد إلى تأليف كتابه في أبجديات البحث ومفهوم العالمية ومفهوم الفطرية وكذلك البيان الدعوي وغيرها من الكتب التي ضمنها هذا الهاجس بالأصالة أو بالتبع والعرض.

وأخيراً يظهر مما سبق أن الأستاذ فريد رحمه الله أجل من تحيط هذه الكلمات بكل أفكاره، ولكن حسبنا أن نقول إنه حمل في صدره هموم الأمة المسلمة وهموم التربية الإسلامية بمفهومها القرآني وتطبيقاتها النبوية وفي تجلياتها المختلفة، وفي مقاصدها العمرانية الحقيقية. وقد كان وسط سجع الظلام الكثيف المحقق بالأمة ينسج خيوط عمل مضمّن ومركب ينهض أولاً ببناء التصور الإسلامي لمفاهيم التربية والدعوة والتجديد والإحياء وإبراز آلياته ووسائله وخطته العامة والعملية، وينهض ثانياً بتحليل غبار الواقع ونقد وبيان مختلف الأخطاء التي شابت واقع العمل الإسلامي من جهة، ثم تحليل وكشف الخيوط الخارجية المحدقة بهذا العمل، وإنك لنقرأ للرجل أفكاره التربوية فتجده عالماً ربانياً وفقهياً سياسياً وأديباً رسالياً ومصلحاً اجتماعياً وناصحاً أميناً وحكيماً، وكان يجمع بين جوانحه التطلع الثاقب للماضي والنظر الفاحص للواقع والاستشراف المتبصر للمستقبل. لله درك من رجل فريد، فهل تجود الدنيا بمثلك أم أن الفريد فريد وكفى؟!

ويحدد الأستاذ رحمه الله مجالات فقهه الواقع في أربعة أسس، وهي التعليم والإعلام والاقتصاد والسياسة وهي التي تشكل قوى عمران البشري المتحركة في نسجه الاجتماعي العام (الفطرية ص 41) فلا بد من السيطرة على الواقع لأن من سيطر على الواقع تمكن من صنع الواقع ومن سيطر عليه صنعه الواقع وتحكم فيه.

■ الجانب التطبيقي والعلمي: لم يترك شيخنا رحمه الله آراءه التربوية مجرد أفكار ولا نظريات وإنما حاول تنزيلها بنفسه وممارستها في واقعه بما استطاع من قوة الكلمة والبيان والعمل والتدريس والوعظ والإرشاد وقد خصص بعض كتبه لبيان كيفية تنزيل وتطبيق ما دعا إليه كما هو الحال في كتاب "مجالس القرآن من التلقي إلى التلقي" الذي يمكن اعتباره دليلاً عملياً لكيفية الدعوة والتربية بأصولها التي بينها في كتاب "التوحيد والوساطة" وفي غيره من الكتب العلمية، وفي كتاب "الفطرية" وكتاب "بلاغ الرسالة القرآنية" وكتاب مفهوم العالمية وكتاب ميثاق العهد وقيل ذلك كله كتاب "أبجديات البحث"

• ثانياً- الجانب الهلدي:

ويتعلق الأمر بنقد المسالك والمناهج التربوية المنحرفة عن أصول الشرع

تجديد الفهم للدين، وتصحيح التصور في المفاهيم الكبرى والقضايا المركزية في الدين الواردة في كلمات الله (القرآن الكريم)، وبيانات الرسول ﷺ. وقد عمل فيه الأستاذ على تجديد منهج فهم الدين والعلم ومفهوم العالم، وقد تجلّى عمله في عمله العلمي في الدراسات المصطلحية وفي عمله في رسالة "مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية" وكتابه "أبجديات البحث في العلوم الشرعية" حيث سعى في كل ذلك إلى إبراز المقصود من تجديد الدين ورسم المعالم الرئيسية والخطوات الكبرى والضوابط الكلية، لذلك يعتبر الأستاذ فريد على غرار أستاذه الدكتور الشاهد البوشيخي أن أكبر معضلة تواجه الأمة هي معضلة المنهج، وانطلاقاً من ذلك فإن منطلق التجديد في فهم الدين وفقهه وتجديد علومه هو تجديد مناهجها في التعامل مع الدين قرآناً وسنةً وأن فقه النصوص يساوي المنهج في التعامل مع تلك النصوص (مفهوم العالمية ص 68)، وما دام الأمر كذلك فنحن في حاجة إلى تجديد قضايا العلم، نعم، ولكننا في حاجة أشد إلى تجديد مناهجها، وإنما قضاياها تبع لمناهجها، والنتيجة فإن تجديد المناهج هو الكفيل بتأطير بعثة التجديد وإسنادها على المستوى العلمي (الفطرية ص 219)،

حمل الأستاذ فريد الأنصاري في صدره هموم الأمة المسلمة وهموم التربية

الإسلامية بمفهومها القرآني وتطبيقاتها النبوية وفي تجلياتها المختلفة، وفي مقاصدها

العمرانية الحقيقية

وقواعده و مقاصده لدى المسلمين قديما وحديثا وتجلي ذلك في :

- نقد المسلك التربوي الواسطي: وتجلي هذا في كتاب "التوحيد والوساطة" فقد كان هذا الكتاب مزدوج القصد يجمع بين البناء والهدم، وقد سبق عرض جانبه البنائي وبقي القول في جانبه الهلدي إذ لم يكن بيان المنهج التوحيدي كافياً من غير نقد مسالك التربية المنحرفة والتي عبر عنها فريد بالتربية الواسطية القائمة على وجود الوسيط الربوبي بين العباد وبين المصادر الأصلية، ومن أكبر تجلياتها التربية الصوفية التي تقوم على وساطة الشيخ وتقديس أفكاره وجعلها وسيلة لفهم الدين أو الفهم السليم للدين، والوساطة الفكرية التي تقوم على تقديس مفكر بعينه مفسراً أو متكلماً أو فقيهاً أو مفكراً معاصراً أو داعية معينا. وقد كان لشيوع التربية الواسطية آثاره الوخيمة والخطيرة في شيوع الجمود والتقليد والتعصب وكل مظاهر السلبية وهجوم الفجور السياسي الطبيعي والمصنوع!!

- نقد المسلك التربوي التجزئي والتضخيمي: إن بناء تصور تربوي سليم لا يجد له مكانة وقبولاً ما لم يتم نقد التوجهات التربوية التي سادت الدعوة الإسلامية المعاصرة من قبيل التجزئ والتضخيم الفقهي أو الروحي أو الفكري أو السياسي، فليس أخطر على الإسلام من تحزيبه وتقزيمه في شكل مذاهب أو تنظيمات أو أحزاب وبرامج سياسية أو غير ذلك وليس أضر بالإسلام من تضخيم الجزء أكثر من الكل لذلك لاحظ أن من أخطر أخطاء العمل الإسلامي المعاصر الوقوع في شرك تحزيب الإسلام (البيان الدعوي ص 153) ذلك أن علاقة السياسي بالديني في الإسلام.. هي علاقة الجزئي بالكلية؛ وإن كان تدبير الكلية الديني من خلال الجزئي السياسي هو قلب للميزان. وتشويه للعمل الدعوي، بل تحريف له

وفي هذا السياق انتقد بعض مناهج النظر في التراث الإسلامي خاصة في: علم الكلام بتخليصه من الطابع الجدلي الذي هيمن عليه وربطه بالتزكية والتخلق (مفهوم العالمية ص 69 إلى 74)، وفي الفقه على أساس تخليصه من التقليد والتعصب وربطه بالأصول ثم بعمقه المقاصدي (الفطرية ص 220 وما بعدها و 224 وما بعدها) وليس التجديد مقصوداً على هذين العلمين بقدر يراه ممتداً إلى سائر العلوم الشرعية وعلوم القرآن والسنة وفقه اللسان وفقه الواقع (مفهوم العالمية : الفصل الثالث، والفطرية الفصل الثالث أيضاً وأبجديات البحث) وغيرها مما يدخل في كل ما يخدم عملية فهم الدين وتجديده وتنزيله.

ب- فقه الواقع: يجعل الأستاذ فريد فقه الواقع "جزءاً من فقه الدين" وينظر إليه بصفته الجزئية التي تنضبط بضابط الكلي ويأخذ حجمه من غير تضخيم، وهو شرط صحة الإفتاء (مفهوم العالمية ص 81) وقد عبر عنه القدماء بفقه تحقيق المناط، ويسميه المحدثون بفقه الواقع (مفهوم العالمية ص 81) أو "أصول الفقه السياسي" (مفهوم العالمية ص 81 والفطرية ص 228 وما بعدها) والتربية الإسلامية في هذا المجال تقوم على العناية به من حيث مراعاة مرتبته التي لا تتعدى كونه جزءاً من كل، مع الاجتهاد في وضع قواعد وضوابط كلية تؤسس لمنهج معرفة سنن التحولات وسنن التوقعات والمآلات فيما يتعلق بتدبير شؤون المجتمعات على المستوى المحلي والدولي، لذلك كان فقه الواقع ضرورة من ضرورات الاجتهاد المعاصر، ولا يجوز لعالم أن يتصدى للإفتاء في الشأن الإسلامي العام المرتبط بمصائر الشعوب الإسلامية، وأمنها الاستراتيجي، المادي والمعنوي، إلا بتحصيل درجة الاجتهاد فيه (الفطرية ص 228) على موازين الكتاب والسنة،

نظرات في المسألة التربوية (تتمة)

سعيد القطان، ويحيى بن معين، مروراً بأئمة الفقه الكبار، وعلماء الأمصار كالإمام أبي حنيفة النعمان، والإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام الليث بن سعد، والإمام الأوزاعي، والإمام الطبري. ثم جاء بعد ذلك الأئمة الذين حملوا لواء الإصلاح، على الصعيدين العلمي والاجتماعي، كالإمام أبي حامد الغزالي (ت: 505هـ)، والإمام عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 596هـ)، وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ) إلى مجدد القرن الثامن الهجري في المشرق، تقي الدين أحمد بن تيمية (ت: 728هـ)، الذي ما زالت تجربته التاريخية وكتبه تشكل إلهاماً نموذجياً لحركة التجديد الديني في العصر الحاضر. ويلحق به تلميذه المشهور الإمام ابن القيم رحمهم الله أجمعين.

ثم مجدد القرن الثامن في المغرب، إمام غرناطة الشهير أبو إسحاق الشاطبي، صاحب الموافقات والاعتصام (ت: 790هـ)، الذي شكل هو أيضاً منعطفاً تاريخياً مهماً جداً في تاريخ الإصلاح العلمي والاجتماعي في الإسلام... ثم جاء بعد ذلك الإمام السيوطي، وغيره كثير... إلخ... ومن الإمام محمد بن عبد الوهاب المتوفى: (1206هـ)، إلى الإمام جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، والإمام حسن البنا، ومحمد إلياس الكندهلوي بالهند، والأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي بتركيا... إلخ. رغم اختلاف التوجهات والاجتهادات والمظاهر والتجليات، ومستويات الوعي الديني بين هذا وذاك.

ثم ما تفرع عن هؤلاء وأولئك، من حركات تجديدية بهذه الصيغة أو تلك، عبر مختلف دول العالم الإسلامي. (البيان الدعوي ص 32-31) (الفطرية ص 66 إلى ص 70) (والتوحيد والوساطة/ ج 2)

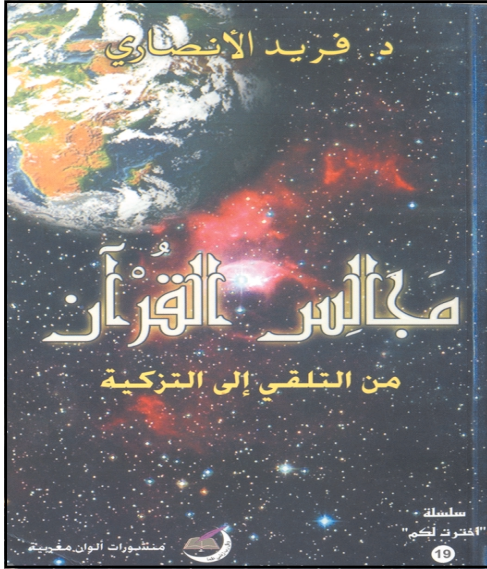
إن هذه السلسلة الذهبية من المربين والعلماء الربانيين في مختلف مراحل تاريخ الأمة المتعرج هي التي وقف عندها فقيها الأنصاري رحمه الله واستجلى من تجاربها دروساً في تجديد الفهم للدين وتجديد الدعوة إليه وإحياء بعثة التجديد المقبلة على منهج الفطرية في التلقي والفهم والتبليغ والتربية وإصلاح المجتمع، فقد كان رحمه الله يرى في هؤلاء "نموذج العالم الرباني الحكيم الربوبي" كما كان يعتقد "أن المطلوب اليوم إنتاج الوفرة من هذا النموذج، وفرة تزيد ولا تنقص، وإن حاجة الأمة إلى العلماء من هذا النوع هو بعدد حاجتها إلى الأطباء قوة ووفرة" (الفجور السياسي ص 78).

■ فروع الامتداد: مما سبق يتبين أن الخطاب التربوي للأستاذ فريد عبارة عن مشروع إصلاحي شامل، متعدد الجوانب ومتكامل العناصر ومتناسق في أهدافه فهو لا ينصب على الجانب الخلفي فقط كما يعتقد كثير من الناس ممن يقصرون التربية على جانبها الخلفي إذ "من الخطأ قصر التربية على جانب التزكية الروحية دون سواها أو العكس" (التوحيد والوساطة/ ج 1 ص 27) بل هي كل متكامل ومعقد مما يمس الحياة البشرية روحياً وعلمياً ونفسياً واجتماعياً ورياضياً... الخ (التوحيد والوساطة/ ج 1 ص 27)، وهكذا يمكن القول إن هذا الخطاب التربوي تمتد فروعه لتمس جميع مكونات الذات ومكونات البناء الاجتماعي لأن ذلك نسج كلي متداخل ومتكامل، ومن أبرز تلك الفروع:

أ- فقه الدين: إن واحدة من واجبات التربية المهمة في إطارها الإسلامي هو



منهج التدبر عند فريد الأنصاري رحمه الله تعالى



مبصارا يكشف عن أمراض النفس وعللها ويقوم في الوقت نفسه بتهدئتها وتشذيبها أي بتزكيتها وتربيتها، ومن ثم فإنه يكفي المتدبر للقرآن أن يعلم المعنى العام للآية أو السورة مما أثر عن جمهور السلف ليدخل في مسلك التدبر.

ولأن الاهتمام في المنهج للتي هي أقوم هو سر النجاح في كل شيء، إذ بقدر التفقه في المنهج والرشد فيه، يكون مستوى النجاح كما وكيفاً. ومن هنا فإن نجاح المشروع يتوقف على مدى النجاح في اتباع منهجه الخاص، فالقرآن الكريم وظيفته الأساس هداية الناس إلى صراط الله المستقيم، ولعل هذا هو السر في تكرار الفاتحة في كل الصلوات المفروضة والمسبحة لتضمنها دعاء خاصاً في بيان القصد من القرآن ووظيفته الأساس: «اهدنا الصراط المستقيم». إنها وظيفة الهداية للتي هي أقوم وأرشد في التفكير والتعبير والتدبير، وهي المشار إليها في قوله تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» (الإسراء: 9).

فبلوغ مرتبة الأقوم في الهداية يتوقف على اتباع المنهج الأقوم في تدارس القرآن. والمدارس

إلى فضاء مجالس القرآن، مجالس المدارس، أو تنفيذها يتم عبر طريقتين:

- مجالس القرآن الأسرية: داخل الأسرة لبنائها على مفاهيم الإسلام وتكوين البناء على مختلف أعمارهم على مواجهة الإيمان وقيم الدين، ويقود الأبوان مجلس القرآن داخل البيت، وهو ما سيعوض استجداء النظريات التربوية وحل المشاكل الأسرية، لأن مجموع أفراد الأسرة سيستفيدون من بركة وخير القرآن وتربيته الفطرية للأفراد.

- صالونات القرآن: وتكون بفتح صالون البيت للأحباب والأصحاب من أجل تدارس القرآن وتدبره والإنصات إلى حقائقه وحكمه لتكوين الشخصية الإسلامية المتماسكة على المستويين النفسي والاجتماعي وتحقيق التعارف الإنساني وتمتين المحبة الإسلامية لتخريج مصابيح القرآن في الأمة بنور القرآن.

ويؤكد على مسألة جوهرية تتعلق بمن له الأهلية لبناء مجلس المدارس، وما يفرضه ذلك من السقوط في التبرؤ الذاتي من عدم الأهلية أو انتظار



د. حسني خالد

لا تحرير للأمة اليوم في معركة هذا العصر إلا بالقرآن، بهذه الكلمات القليلات البليغات لخص فريد الأنصاري رجل القرآن مشروعه الدعوي الذي عبر عنه في كثير من دروسه ومحاضراته وخطبه ومواظبه، وكل كلامه حتى كان لاهم له إلا الاشتغال بالقرآن، وصاغه في مجموعة من كتبه التي عنوانها بدراسات قرآنية ابتدأها بكتاب "بلاغ الرسالة القرآنية" و"ميثاق العهد"، ثم كتاب "الفطرية: بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، وعمق البحث فيها عبر سلسلة الدراسات العلمية ضمن مجلة "رسالة القرآن: من القرآن إلى العمران". ووضع خلاصة منهجها العملي في الكتيب الذي يحمل اسم: "مجالس القرآن.. مدخل إلى منهج تدارس القرآن العظيم وتدبره من التلقي إلى التزكية" ويقدم الجانب الإجرائي والتقني لعملية مدارس القرآن وتلقيه بلوغ التزكية الربانية، مقدماً خطوات عملية لتنفيذ "المشروع" والمنهج العلمي لإقامة "مجالس القرآن" وضوابط إنجاحها بلوغ البعث الممهد لعملية التجديد الإسلامي.

يقوم المشروع في جوهره على تصور: التداول الاجتماعي للقرآن، ومنهج: التدبر للقرآن:

أما التداول الاجتماعي للقرآن فيتم عبر مشروع "مجالس القرآن" التي هي (مدرسة شعبية لنشر ثقافة القرآن وبناء أخلاق القرآن، ودعوة لتداول القرآن في السلوك الفردي والاجتماعي من خلال الإقبال العام الشعبي على تعليم القرآن وتدارس القرآن وفتح "صالونات القرآن" داخل الأسرة وبين الأصحاب لتقديم كوؤس الذكر للأهل والأحباب والأقارب والجيران، ولا أحلى ولا أذ من موائد القرآن ومجالس التدارس الميسر لسوره وآياته بين يدي الرحمن) مجالس القرآن ص: 14.

وهي أيضاً: (مشروع دعوي تربوي بسيط سهل التطبيق والتنفيذ، سلس الانتشار، غايته تجديد الدين وإعادة بناء مفاهيمه في النفس والمجتمع بعيداً عن جدل المتكلمين الجدد وبعيداً عن تعقيدات التنظيمات والهيئات، وبعيداً كذلك عن الانتماءات السياسية الضيقة والتصنيفات الحزبية المربكة) ص: 16.

وهي أيضاً: مسلك تربوي مبسط لسلوك طريق النور قصد التعرف إلى الله، مشروع ليس لنا فيه، يقول رحمه الله، من اجتهاد إلا الجمع والترتيب ومراعاة التنزيل في واقع جديد، نأخذه كما هو من القرآن والسنة النبوية، مشروع لا منة فيه لأحد إلا لله.. ولا انتماء فيه لقائد أو رائد ولا لتنظيم أو جماعة، بل هو انتساب تعبدي لله". ويرى رحمه الله تعالى أن الدخول

الاهتمام في المنهج للتي هي أقوم هو سر النجاح في كل شيء، إذ بقدر

التفقه في المنهج والرشد فيه، يكون مستوى النجاح كما وكيفاً. ومن هنا فإن نجاح المشروع يتوقف على مدى النجاح في اتباع منهجه الخاص، فالقرآن الكريم وظيفته

الأساس هداية الناس إلى صراط الله المستقيم.

التدبرية القرآنية لها منهجها الخاص الذي به تتم، وهو منهج يقوم على ثلاث خطوات تختزلهما قاعدتان:

أما الخطوات فهي:

- الخطوة الأولى تلاوة القرآن بمنهج التلقي

- الخطوة الثانية التعلم والتعليم بمنهج التدارس

- الخطوة الثالثة التزكية بمنهج التدبر

وأما القاعدتان فهما:

القاعدة الأولى:

قاعدة اقرأ وتدبر ثم أبصر، وهذه القاعدة هي السبيل لاستخلاص الهدى المنهجي من القرآن الكريم، وعمادها منزلتان:

أ- منزلة التحقق بالقرآن:

فهما وإدراكا وعلماء، حتى يستقيم الفكر ويصح الفهم عن الله تعالى، عبر القراءة والتدبر: فالقراءة بمعنى التلاوة لقوله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله»، والتدبر بمعنى التأمل والتفكير في المقروء لقوله تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» (محمد: 24)، إنه تدبر يتجاوز العقل إلى القلب لينير إبصارها للبصائر القرآنية ولهدايات المنهجية.

ب - منزلة التخلق بعد التحقق:

فمسلك التبصر بعد القراءة والتدبر

مفض حتما إلى الإبصار. وهو:

- إبصار العقول الواعية والقلوب الحية للطريق المستقيم والمنهاج القويم قال تعالى: «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها» (الأنعام: 52).

- وإبصار للنور القرآني والهدى الرباني وتبصر بهما: «ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا» (الشورى: 52).

- وإبصار للميزان الذي به يعرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والنور من الظلام: «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون» (الجاثية: 20).

- وإبصار لمنهج القراءة باسم الله الخالق: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» (العلق: 1)، قراءة القرآن والأكوان وإبصار لمنهج تسخير السنن الكونية وعمارة الأرض بما ينفع الناس ويقيم القسط في الأرض، قال تعالى: «لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» (الحديد: 24).

القاعدة الثانية:

قاعدة: "أخذ القرآن بمنهج التلقي" انظر كتاب مجالس القرآن للدكتور فريد الأنصاري ص 36-37، والتلقي هنا تلق خاص، المراد به استقبال قلبي للوحي على أنه الذكر، «إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً» (المزمل: 17).

فالمتدارسون للقرآن في مجالس المدارس ينبغي أن يتلقوه وكأنه يتنزل عليهم في تلك اللحظات غضا طريا، إنه تلق بالقلب والعقل لكلام الحق سبحانه وتعالى وشعور جارف بأنه يخاطبهم، ثم يتدبرونه بتقليب النظر وإجالة الفكر فيه، سعياً للإبصار ثم التبصر وما الآيات إلا منارات هدى في ليل الحياة البهيم.

(ولعلك تتفأل هذا العمل إلى جانب ما ترى في الساحة الإسلامية من كثرة المناهج والبرامج والخطط، والهياكل والأشكال والألقاب، مع غفلة شبه تامة عن موارد القرآن! فتتساءل: أيمكن أن يكون كل هذا العجيج والضجيج على غير صواب في المنهج؟ ولكننا نقول لك كلمة واحدة: إن القرآن وبياناته النبوية في هذا الدين هي كل شيء! نعم هي كل شيء!).



تقديم كتاب : " مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية "

للدكتور فريد الأنصاري - رحمه الله -



إعداد: د مصطفى هاشمي

الكتاب عبارة عن "دراسة في مفهوم العلم وصفة العالمية وظيفته وبرنامجه، من خلال وصية أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474 هـ) - رحمه الله- تتميز مؤلفات العلامة فريد الأنصاري - رحمه الله - بالدقة في ملامسة قضايا الأمة وبحسن اختيار المواضيع ذات الأولوية، كما تتسم بالتأصيل الشرعي والمنهجية العلمية في تناول والمعالجة والمناقشة والاستدلال والاستنتاج، وكذا بالأسلوب الجزل الرصين مع السهولة في العبارة وحسن البيان.

وكتاب " مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية " لا يخرج عن هذه القاعدة، فهو على صغر حجمه عظيم الفائدة في بابه، ويعد من أهم الكتب التي تؤصل للمنهجية العلمية في طلب العالمية، وتحدد برنامجا علميا متكاملًا لطلاب العلم الشرعي، وهو موجه بالخصوص إلى المجازين في الدراسات الإسلامية، وإلى خريجي مدارس التعليم العتيق ومن في حكمهم ممن يرغب في استكمال تكوينه الشرعي.

الكتاب مؤلف من 148 صفحة، وهو فاتحة السلسلة الدعوية (من القرآن إلى العمران) التي تصدرها منشورات رسالة القرآن، طبع من قبل "الكلمة للطبع والإشهار"، الطبعة الأولى 1427هـ - 2006 م - مكناس - المغرب.

وأود التأكيد بداية على أن قراءة هذا التقديم لا تغني البتة عن قراءة الكتاب ككل، إذ التقديم أو التلخيص ما هو إلا محاولة لتقريب المضمون للقارئ الكريم، ولغت انتباهه إلى أهمية الكتاب المقدم وقيمتها الكبرى مادة ومنهجًا، علما بأن الاستفادة التامة منه تستلزم ضرورة قراءة الأفكار الواردة بهذا التقديم ضمن سياقها العام بالكتاب. كما أشير أنني حرصت في هذا التقديم للكتاب أن أحافظ مرارا على أسلوب المؤلف - رحمه الله - فذلك ولا شك أبلغ في الدلالة على مقصوده.

وقد قصد العلامة فريد الأنصاري - رحمه الله تعالى - من خلال مؤلفه هذا إلى بيان المعنى الصحيح والمقصود الشرعي لمفهوم العالمية، ومدى تحقق الإنسان بهذه الصفة حتى يصدق عليه وصف "عالم"، وذلك لما اكتنف هذا المفهوم في الأزمنة الأخيرة من غموض شديد، حتى انتسب إلى العلماء من ليس منهم، والحال أن وظيفة العالم عظمة القدر، جليلة الوتر، خطيرة الأثر؛ فكان حال الأدعياء معها كمن تطبب وهو جاهل⁽¹⁾.

كما ذكر - رحمه الله - في مقدمة الكتاب بعض الأسباب الداعية إلى تأليفه أجملا في النقاط التالية:

- أن وظيفة تجديد الدين للأمة

منوطة بالعلماء بعد النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم أصحاب الوراثة النبوية، فالعلم - بالمعنى الصحيح للكلمة - هو بدء كل شيء في الدين، وهو أساس كل حركة في الدعوة إليه، تربية وتزكية.

- "موت عدد كبير من علماء الجيل الماضي، في المشرق والمغرب، والحال أن خلفهم - ممن انتسب إلى العلم - دونهم علما وخلقاً"⁽²⁾.

- إنقطاع تدريس العلم الشرعي على وجهه الحقيقي في أغلب أقطار العالم الإسلامي، بما أدى إلى انقطاع تخريج العلماء بالمفهوم الاصيل للكلمة، فوجب تنبيه طلبة العلم إلى ما ينبغي انتباهه للتحقق بمفهوم العالمية، ولو على طريق العصامية.

- ترامي عـدد من أهل الأهواء والنوازع السياسية على وظيفة العالمية، والتلبس بمفهومها بغير حق، إذ صارت

نصائح وتوجيهات لصياغة برنامج عملي لطالب العلم الشرعي.

- الفصل الثاني حدد فيه مفهوم العالم والعالمية؛ وبين أن "العالم هو الفقيه المجتهد الرباني الحكيم الذي يربي بصغار العلم قبل كبارها"، و"العالمية صفة كسبية في معرفة أحكام الشريعة أصولها وفروعها، يكون المتحقق بها "إماما" في الدين تعليما وتزكية"⁴، ثم أشار - رحمه الله - إلى أن من أهم خصائص العالمية إتصاف العالم بثلاث صفات مهمة هي: الملكة الفقهية، الريانية الإيمانية والقيادة التربوية الاجتماعية.

- الفصل الثالث : تحدث فيه بإجمال عن الأصول الأربعة للعلوم الشرعية، التي تمثل أركان منهج طلب العالمية؛ وهي على التوالي:

● الأصل الأول: نصوص الوحي

تتميز مؤلفات العلامة فريد الأنصاري - رحمه الله - بالدقة في ملامسة قضايا الأمة وبحسن اختيار المواضيع ذات الأولوية، كما تتسم بالتأصيل الشرعي والمنهجية العلمية في تناول والمعالجة والمناقشة والاستدلال والاستنتاج، وكذا بالأسلوب الجزل الرصين مع السهولة في العبارة وحسن البيان.

● الأصل الثاني: العلوم الشرعية وفيه أصناف ثلاثة :

- الصنف الأول: علوم القرآن والسنة

- الصنف الثاني: علم الفقه وأصوله

- الصنف الثالث: علم التوحيد والتزكية

● الأصل الثالث: فقه اللسان العربي

● الأصل الرابع: فقه الواقع

- الفصل الرابع: وضع فيه برنامجا تكوينيا للعالمية على أساس تحديد كتاب أو كتب التخرج، وكتب استكمال التكوين في كل مادة من مواد برنامج العالمية.

وقد جاء هذا الفصل مبينا لما أجمل في الفصل الذي قبله، حيث ذكر فيه مختلف المواد المدرجة تحت كل أصل من أصول العلوم الشرعية، فبلغ العدد الإجمالي للمواد عشرين مادة:

1- فالأصل الأول: "نصوص الوحي" يتضمن المواد التالية: القرآن الكريم، آيات الأحكام، السنة النبوية، أحاديث الأحكام.

2- الأصل الثاني: "العلوم الشرعية" ويتضمن المواد التالية: الفقه المالكي، الخلاف العالي، فقه النوازل والفتوى، علم أصول الفقه، القواعد الأصولية والفقهية، علوم القرآن، التفسير، علم التوحيد وعلم التزكية وعلوم الحديث.

3- الأصل الثالث: "فقه اللسان العربي" ويتضمن المواد التالية: النحو



العربي، فقه اللغة، الأدب، الخطابة.

4 - الأصل الرابع: "فقه الواقع" ويتضمن مادتي فقه السيرة والفقه السياسي.

وقد ختم - رحمه الله تعالى - هذه الفصول بملاحظات منهجية أشار فيها إلى "أن الأثافي العلمية الثلاثة لهذا البرنامج - من حيث هو تخصص شرعي وصناعة علمية - إنما هي: آيات الأحكام وأحاديثها أولا، والفقه باصوله ثانيا، ثم اللسان العربي ثالثا، فهذه تمثل جوهر التكوين في هذا الاختصاص"⁵.

ثم أنهى كتابه بخاتمة حسنى تشدذ الهمة وتحفز طلبة العلم للجد والاجتهاد لبلوغ درجة العالمية، ثم ذيل كتابه بملحق أورد فيه وصية أبي الوليد الباجي بنصها الكامل، حتى تقرأ بنان في غير سياق الدرس والشرح؛ عسى أن تكون عبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين.

رحم الله فقيدا الجليل ونفع بعلمه، آمين.

- 1 - مقدمة كتاب مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية، ص: 3
- 2 - "مفهوم العالمية" ص 6
- 3 - المرجع نفسه ص 9
- 4 - المرجع نفسه ص 35 و 36، ذكر صاحب الكتاب أن هذه التعريفات مستفادة من عبارات الإمام الشاطبي - رحمه الله -
- 5 - المرجع نفسه ص: 115

شكر وتقدير

يسر جريدة المحجة أن تتوجه بالشكر الجزيل للكتاب الأفاضل الذين أسهموا في توفير المادة العلمية الرصينة لهذا العدد خاصة السادة العلماء الفضلاء، والأساتذة الباحثين، ومحبي أختينا فريد الأنصاري رحمه.

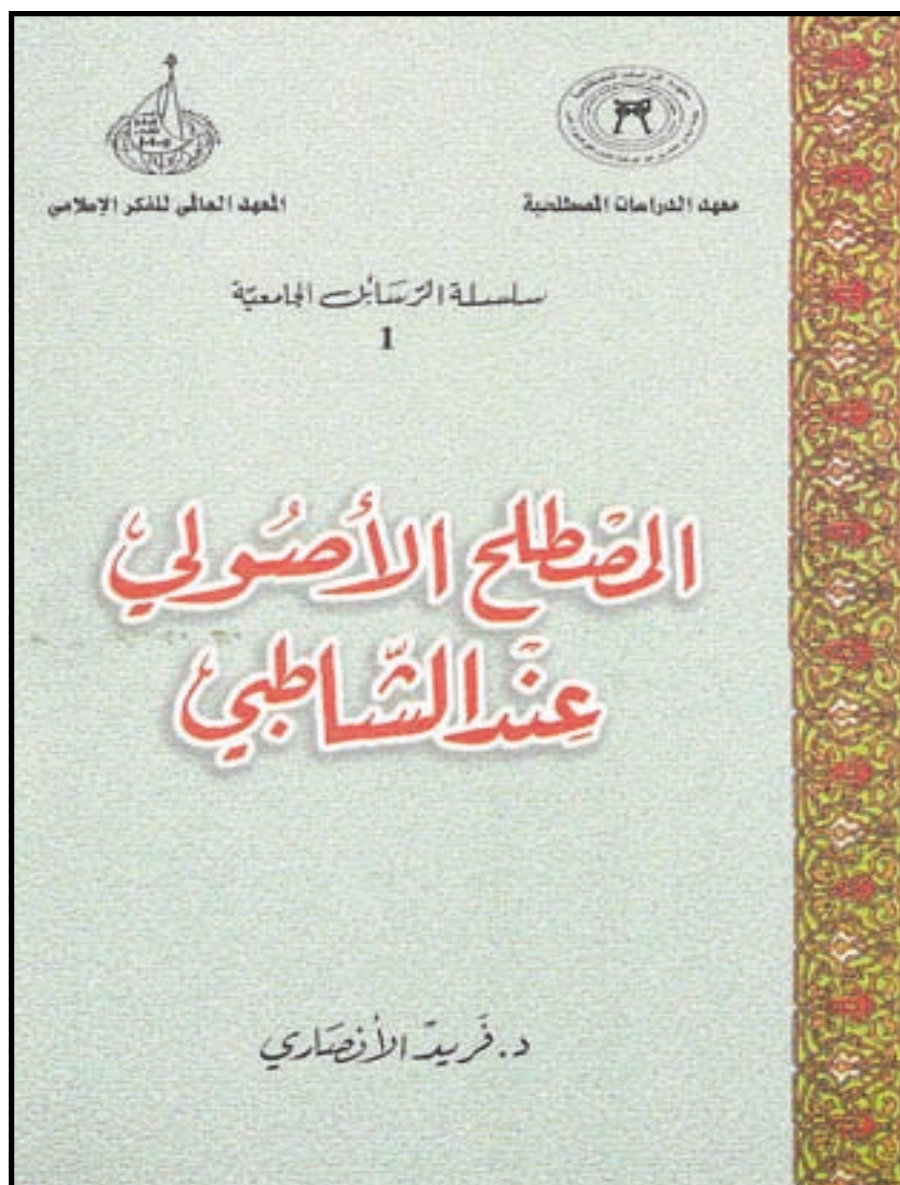
كما يؤسف الجريدة أن تعتذر للكتاب الذين لم نتمكن من إدراج مواضيعهم ضمن هذا العدد نظرا لكثرة المواضيع وضخامة العدد.

فאלله نسال أن يأجر الجميع، ويبارك في جهودكم، ويرزقنا وإياكم الإخلاص والساد.



محور : باحثا مصطلحيا وفقيها أصوليا

- فارس من فرسان المصطلح دة. فريدة زمرّد
- إسهامات الشيخ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله في الدراسات المصطلحية د. حسن قايدة
- أهمية المصطلح في الفهم الدقيق للنص واستيعابه : نموذج كتاب "مفتاح النور" د. عبد الرحيم الرحموني
- مسارب بحث في الفقه وأصوله د. عبد الحميد الوافي





فارسان من فرسان المصطلح

د. فريدة زمرد

"المصطلح هو العلم" بهذه العبارة الجامعة افتتح الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله مقدمة أطروحته للدكتوراه: (المصطلح الأصولي عند الشاطبي)، وقد يخالها الناظر مبالغة منه؛ لكن العارف بحال المصطلح يعرف أنها ليست مبالغة، ولقد قالها قبل ذلك أستاذه وشيخه في المصطلح (1)، حين نفى أن تكون المصطلحات "مفاتيح العلوم" فحسب، وجعلها - أكثر من ذلك - خلاصة البحث في هذه العلوم (ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم). ولن يبالغ من أراد أن يضيف إلى كل هذا أن المصطلح هو روح العلم ولحمته وسداه!

تلك العبارة ليست مبالغة إذن، بل هي خلاصة بحث ومعالجة بحث طويل في المصطلح في مجال من أدق مجالات العلوم الإسلامية وأكثرها عمقا، ولقد عاش الأنصاري - رحمه الله - في كنف هذا العلم سنين، وقطع معه أشواط الدراسة والتحصيل الأكاديمي والعلمي بكل مراحله، متدرجا في مرقاته دون كلل أو ملل، وأنى يمل من ذاق حلاوة البحث في

وزان غيرها (2).

ومن أجمل ما كتبه رحمه الله في وصف مقاصد هذا النوع من الدرس - منبها من حجبته قشور المنهج عن النظر في لبه وجوهره - قوله (3) : (إن دراسة مصطلحية ... مشكلتها أن لها ظاهرا وباطنا، من شغله الأول عن الثاني لم يكن في العلم إلا كالناظر إلى متاع غيره، إذ يبقى حبيس حدود معجمية أو حبيس أشكال تفسيرية لهؤلاء أو أولئك، دون الغوص إلى مقاصدها، وربطها بما أخذها، لمعرفة أنساقها الكلية في فصول العلم، وتعيين مواقعها من تاريخ العلم. فلا يكاد الباحث يخرج من جبة صاحبه. ولا ظل - بعد ذلك - يظهر في الظل).

لقد كانت هذه الكلمات، وغيرها، مما يمكن اعتباره بداية النحت في "فقه الدراسة المصطلحية" الذي يمد الباحثين المصطلحيين بقواعد ومقاصد تمددها بماء الحياة، فتجدد وتورق أغصانها مع ربيع كل بحث، وما أحوج هؤلاء إلى ذلك الفقه أو قل تلك الفلسفة الكامنة وراء الدراسة المصطلحية، حتى لا تزيغ أنظارهم عنها باحثه عن صور جامدة للتقسيمات والتعريفات والتصنيفات... ولا شك أن من

ليست غاية الدراسة المصطلحية عنده الكشف عن مفهوم المصطلح،

من حيث هو لفظ معجمي، بل هي تصبو إلى تبين الرؤية الكامنة فيه، والفلسفة التي تؤويه،

وإلى معرفة ما يشكله - ضمن بنية العقل المسلم - من "مفتاحية" لفهم الذات وتقويمها، ثم

تجديدها على وزانها لا على وزان غيرها

قصر همته على هذا الحد لم يكن ليشرف بصفة الباحث المصطلحي.

لقد وصف الأنصاري رحمه الله - من وحي تجربته الخاصة الرائدة في دراسة المصطلح الأصولي - حال السالك في دروب هذا النوع من البحث؛ التي ما يقطع صاحبها شوطا حتى تستحته أشواط، بما يدل على معرفته بهذه المنزل من منازل الدرس المصطلحي، قال: (...وأما من عبر الأبواب إلى وسط القباب، فإنه تكون له من دراسة المصطلح مكاسب ومواهب، حتى إذا علم ما علم، تراءت له آفاق أخرى، ثم أخرى، إلى آفاق الآفاق، فلم يكن علمه بعد إلا دليلا على أنه قد جهل من المصطلح أكثر مما علم، فيجد الشوق، ويهب الأنس في رحلته الغربية مع المصطلح، وكفى بهذا نجاحا في البحث العلمي!).

فعبجا لأمر هذا المصطلح كلما درس منه الدارس شيئا، وظن أنه قد أتى فيه بالنهايات، ووصل إلى مدارك الغايات؛ تبين له أنه لم يبرح حدود الرسوم والأشباح، إلى درك الحقائق والأرواح (4).

ما أصدق عباراتك يا أنصاري وانت تصف حال الدارس المصطلحي مع المصطلح، لكن ليس أي دارس... إنه الدارس الذي تمأى مع الدرس حتى صار كأنه هو، الدارس الذي تفرد في حبه للمصطلح، حتى صار من فرسانه....

..... وإني لأرجو الله أن لا تكون آخر الفرسان....

1 - الدكتور الشهيد البوشيخي في مقدمة بحثه عن المصطلحات النقدية والبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ.
2 - من مداخلة له في دورة تدريبية داخلية بمعهد الدراسات المصطلحية بفاطس.
3 - نفس المصدر. // 4 - نفسه/

إسهامات الشيخ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله في الدراسات المصطلحية



د. حسن قايدة

(:قيمتها المصطلحية)، فيصف حضور المصطلح الأصولي في الكتاب قلة أو كثرة، وطريقة المؤلف في التعامل معه من حيث التعريف أو عدم ذلك، وإذا كان التعريف فكيف هو على العموم والإجمال. قال رحمه الله مستخلصا العبرة من هذه المرحلة : " فكان من فضل ذلك علي أن تنبعت إلى شيء هام جدا بالنسبة إلي ساعتها وهو وجود شيء اسمه (المصطلح)؛ وإنه أمر - رغم بدايته - لعزيم! فكم من نكتة لا ينتبه المرء إليها في وقتها وإبانها -ربما لبدايتها- وهي مفتاح خير وأي خير «وكأي من آية في السماوات والأرض يملكون عليها وهم عنها معرضون» (يوسف : 105).

المرحلة الثانية : بداية معايشة

الشاطبي في موافقاته :

بعد تلك البداية الموفقة، التي حركت فيه رحمه الله الإحساس بأهمية الدراسة المصطلحية وخطورتها، اقتحم بحر موافقات ليعارك أمواجه ولججه، وذلك من خلال بحث أولي للسنة الثانية من تكوين المكونين (1986م - 1987م) تحت عنوان : (مصطلحات أصولية في كتاب موافقات للشاطبي : مادة قصد نموذج) وهذا ما أتاح له رحمه الله الاقتراب والاندماج في الدراسة المصطلحية عمليا من خلال التطبيقات التي أثمرت لديه حظا من التصور حول قضايا المصطلح، وورثت لديه المزيد من الانفتاح على عالم المصطلحية.

المرحلة الثالثة : مرحلة تطبيق المنهج

الوصفي :

خاض رحمه الله تجربة ثالثة في الموضوع ذاته، ولكن بشيء من التوسع، وهي خطوة أكثر جرأة ورسوخا، حيث عمد إلى تطبيق المنهج الوصفي كما وضعه أستاذه المشرف، فبناه -البحث- بالأحجار واللبات التي هندسها المشرف وطبقها في بحثه الرائد (مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ) ولذلك جاء بحث الفقييد الأنصاري على وزان (مصطلحات نقدية وبلاغية)، وليس له من الإضافة إلا ما ضمنه في مقدمة البحث من خلاصات حول منهج التطبيق وقد نوه بها الأستاذ المشرف أيما تنويه واعتبرها إضافة نوعية.

وعموما فإن مؤلف (مصطلحات أصولية في كتاب موافقات للشاطبي)، أمده رحمه الله بتجربة غنية في مجال الاحتكاك بالمصطلحات، وإحصائها بكل صيغها الصرفية وضمائمها الوصفية والإضافية وما إلى ذلك من أصداد ومرادفات... ثم توفرت لديه ثروة مهمة من التعريفات التي استخلصها بناء على الدراسة الوصفية المتسمة بالشمولية والتكاملية. وهذا ما أغنى رصيده المصطلحي، وجعله رحمه الله يتحرك فوق أرضية صلبة تمكنه من حل كل الإشكالات

إن الحديث عن إسهامات هذا الرجل العظيم الفريد لمن الصعوبات بمكان، ذلك أولا لكثرتها وتشعبها وتنوعها، فمؤلفاته رحمه الله أشبه ما تكون بحديقة غناء مفعمة بالأزهار والرياحين والفواكه المتشابهة وغير المتشابهة. وثانيا أن الكثير منها لم يجمع إلى حد الآن وينشر كما هو حال العديد من إسهاماته في الندوات العلمية، والمناقشات الجامعية وما إلى ذلك .

لقد ألف رحمه الله في صلب العلم وفي ملحه و حذر من أغاليله، جمع بين العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، وعلوم التربية، وفقه الدعوة، وفنون الخطابة والوعظ والإرشاد....

أما بخصوص الدراسات المصطلحية، فإنه طرق بابها منذ أن تفتقت قريحته على البحث والدراسة الجامعية، فهو عندما ولى وجهته للعلوم الشرعية دخلها من باب المصطلح، واختار من تلك العلوم علم أصول الفقه، فبدأ هم هذه الدراسة يكبر معه رويدا رويدا، شيئا فشيئا، حتى وصل إلى مرتبة النضج والرسوخ، بل صار فحلا من فحول علم أصول الفقه، ومنظرا متفردا في الدراسات المصطلحية، فتحققت فيه عبارة شيخه الدكتور الشهيد البوشيخي حفظه الله، الذي طالما أسمع طلبته مقولة : "من عاشر الفحول تفحل" ولا غرابة في ذلك في كون المرحوم عاشر اثنين من فحول العلم عشرة طويلة : الأول : من الأموات وهو : الشاطبي رحمه الله، والثاني : من الأَشهاد وهو: الشهيد البوشيخي حفظه الله ورعاه.

ولكي نقف بشيء من التفصيل على مصطلحية فقيدنا رحمه الله، فلنبدا قصة رحلته في مشواره العلمي بخصوص الدراسات المصطلحية.

المرحلة الأولى : صلاته الأولى

بالمصطلحية :

البحث في المصطلح عموما والمصطلح الأصولي خصوصا، قديم عنده فهو يرجع إلى مرحلة الدراسات الجامعية العليا في سلك تكوين المكونين السنة الأولى 1985م - 1986م، حيث دشّن مشروعه العلمي العمري ببحث أنجزه تحت إشراف شيخه ومربيه -كما يصرح رحمه الله دائما- الدكتور الشهيد البوشيخي، وللاشارة فإن الإشراف نفسه عمر معه مدة حياته إلى أن أتاه اليقين.

أما موضوع ذلك البحث فكان : "الأصول والأصوليون المغاربة : بحث ببلوغرافي" ومنذ ذلك الحين انطبعت في ذهنه الحاسة المصطلحية وزرعت فيه مخايلها حيث كان يعلق رحمه الله على كل مؤلف بالعبارة الواصفة له وهي



إسهامات الشيخ... (لتهمة)

التي ستعترضه في عمله المقبل، وتتيح له تجاوز العقبات التي ظهرت له أو ستظهر فيما بعد.

ومما عمق لديه الخبرة بقضايا المصطلح وظواهره أنه لم يكتف بالدراسة، بل انخرط في عالم التدريس والإشراف في هذا المجال، بحيث إنه أشرف على عشرات البحوث في مستوى شهادة الإجازة واستكمال الدروس والدراسات المعمقة، وما إلى ذلك، همت الاشتغال بالمصطلحات الشرعية في كتب الفقه والأصول والحديث : إحصاء وتصنيفا، وتقديرا لمنزلتها - المصطلحات- واستخراجا للتعريفات وتركيبا لأطرافها المتناثرة في أبواب العلم، وبيانا لأنواعها وخصائصها، ثم العمل بعد ذلك على نقد الحد المنطقي. فكان رحمه الله يبحث بهذا العمل على بلورة نظرية خاصة بالدراسات المصطلحية في العلوم الشرعية.

ولقد يسر الله أن رزقه لما كان مدرسا بكلية الآداب بالمحمدية، ووجدت أنه حظي بحب منقطع النظير من لدن طلابه، وأنه عمق في عقولهم ووعىهم الحس المصطلحي إلى حد بعيد، وذلك واضح في البحوث التي أشرف عليها وهي بالعشرات إلى حد أنها لم تترك مؤلفا مشهورا في الفقه والأصول إلا تم إحصاء مصطلحاته وتصنيفها، وبيان المعرف منها، تم التعليق على ذلك مجملا ببيان القيمة المصطلحية وطبيعة المصطلح ونوعية التعريف الخ ...

ولما انتقل إلى مكناش الزيتون صار له شأن آخر في حياته العلمية إذ توسعت دائرة الإشراف وكثرت إسهاماته بالمشاركة في الندوات العلمية، والمناقشات للأطروحات الجامعية وما إلى ذلك، فكان في هذا وغيره ينطق بعلم عزيز تأصيليا للدراسة المصطلحية وأجرأة لما ورد منها عاما أو مجملا، ونقدا لما ظهر له نقده من خلال ما كتبه هو أصالة أو كتبه غيره في هذا المجال.

وأذكر أنه رحمه الله لما أعطي الكلمة عند مناقشة الأطروحة التي تقدمت بها سنة 2004 تحت عنوان (المصطلح الأصولي في كتاب المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي) تعرض لنقد العمل نقدا بناء وقال فيما قاله لي : لقد بنيت بأحجار بنيت بها، ولو قدر لي أن أكتب مرة أخرى في الموضوع لراجعت الكثير منه، وتخلت عن الكثير. هكذا كان الرجل رحمه الله دائما في التجديد، ودائما في المراجعات وخاصة في قضايا المنهج.

المرحلة الرابعة : من القلق المنهجي إلى

الانفراج والرشد.

معلوم أن الدراسات المصطلحية قلق كلها، ومعاناة كلها، وعقبات كلها، ولكنها عذبة المذاق موصلة إلى القصد مبلغة إلى الهدى والرشد، ولكن لمن استجمع شروطها وأخذ بأسبابها، وابتعد عن موانعها .

لقد كان رحمه الله لا يبرح مكانا حتى يحدث فيه عن معضلة المنهج في فهم وتقويم التراث، ولم يترك فرصة مناسبة إلا أثار الإشكال مع طلابه وزملائه، وكان رحمه الله يهتدي إلى الحلول من خلال النظر في المنهج.

ترجع البداية الحقيقية لهذه المرحلة إلى تسجيل بحثه لنيل شهادة الدكتوراه تحت عنوان : (المصطلح الأصولي عند الشاطبي)، وذلك في أوائل 1991م تحت نظر وعين أستاذه المشرف مرة أخرى،

وبذلك تحتم عليه رحمه الله إخضاع مجمل التراث الأصولي عند الشاطبي للبحث المصطلحي كما يقتضيه العنوان، فتم بذلك إحصاء المصطلحات الأصولية الواردة بكل من كتاب الاعتصام ومجموع فتاواه التي جمعها الدكتور محمد أبو الأجفان، ثم كتاب الإفادات والإنشادات. أما كتاب الموافقات فقد كانت مادته محصاة من قبل.

لقد عبر رحمه الله عن أهم المشكلات المنهجية التي اعترضته أثناء البحث الجديد، وبين أسباب ذلك وعمله، وأشار إلى طريقة تجاوزه، ولنصغي إليه يحكي هذه التجربة : "وقد اقتضى حل هذه المشكلات المنهجية وأشباهها نظرا طويلا في قضية المنهج عموما، ومنهج الدراسة المصطلحية خصوصا ! وأذكر أنني قضيت في ذلك ما يقرب من سنتين منذ تسجيل هذا البحث، أقرأ في كتب (المناهج العلمية) ما شاء الله، عربيا وفرنسيا، مما تيسر الوصول إليه. وقد قادني ذلك إلى قراءة كتب - ما كنت أفكر في قراءتها من قبل - في علوم حديثة، لها صلة ما بمناهج الدراسة المصطلحية، كالدراسات اللسانية والمعجمية والسيميائية ونحوها.

ثم كان - قبل ذلك وبعده - لظهور أطروحة الدكتور الشاهد البوشيخي (النقد

بما في العبارة من معنى" (3).

أما حظ هذا الكتاب من الدراسات المصطلحية فإن المؤلف رحمه الله خصص المبحث الثاني من الفصل الرابع لهذا الغرض، فافرج فيه عصارة تجربته حينئذ مبرزاً أهمية الدراسة المصطلحية، وكيف تتم دراسة مصطلحات التراث في أفق إيجاد مشروع المعجم التاريخي وهو الحلم الذي كان لا يفارقه، فبين شروط القوة والأمانة اللازم توفرها في الأجيال الحاملة لهم المشروع، والمواصفات التي ينبغي توفرها في المؤلفات المدروسة، وذلك وفقا لسلم الأولويات، ثم عرج رحمه الله على المنهج العلمي للدراسة المصطلحية المبني على خطوتي الإحصاء والدراسة.

ومما يجلي شغف الرجل بالمصطلحية، فإنه على عادته لم يغفل أن يذيل كتابه بملحق مصطلحي، عبارة عن معجم شارح لأهم المصطلحات المنهجية الواردة في الكتاب. أما مجموع ما شرحه ف 127 مصطلحا صنفها بناء على ترتيب موادها اللغوية، ثم رتبها بناء على الألفبائية داخل كل مادة.

وخلاصة الأمر، فإنه يمكن أن نقول بأن رحلته في البحث عن المنهج أفضت به إلى الاهتمام للتي هي أقوم في الدراسة المصطلحية، وعلى أساس ذلك أنجز عمله

معلوم أن الدراسات المصطلحية قلق كلها، ومعاناة كلها، وعقبات كلها.

ولكنها عذبة المذاق موصلة إلى القصد مبلغة إلى الهدى والرشد، ولكن لمن استجمع

شروطها وأخذ بأسبابها، وابتعد عن موانعها . لقد كان رحمه الله لا يبرح مكانا حتى يحدث فيه عن

معضلة المنهج في فهم وتقويم التراث، ولم يترك فرصة مناسبة إلا أثار الإشكال مع طلابه وزملائه، وكان رحمه الله يهتدي إلى الحلول من خلال النظر في المنهج. إن مما استفدته منه رحمه الله

قوله : إن أول خطوة في درب التجديد قتل الماضي بحثا

الكبير (المصطلح الأصولي عند الشاطبي)، والذي أظهر فيه الجدة والتجديد والإبداع والابتكار، مما لم يسبق إليه على الإطلاق.

المرحلة الخامسة : مرحلة التجديد

والإبداع في المنهج :

إن مما استفدته منه رحمه الله قوله : إن أول خطوة في درب التجديد قتل الماضي بحثا، وهذه القولة قد تجلت في تجربته المصطلحية المتفردة، إنه فعلا قتل الموجود بحثا وتدقيقا، فتسنى له أن يجدد، ليس في هذا الميدان فحسب، بل في كل اهتماماته ومشاريعة، إنه جدد حقا وأبدع صدقا، فنعم المجدد هو ونعم المبدع هو.

وفي مجال المصطلحية فإن رحلته الشاقة والطويلة أثمرت وجوها من التجديد في المنهج الوصفي -الذي وضعه رائده الأستاذ الشاهد البوشيخي حفظه الله ورعا- وهي تهتم ما يكسبه هذا المنهج من خصوصيات وتكييفات عندما ينزل على بيئة المصطلح الشرعي، حيث يلبس لبوسها ويتزيا بزيتها ويتحلّى بمضامينها ومقاصدها. ويمكن إجمال ما أدرجه في هذا المنهج -الوصفي- في خاصيتين وذلك بحسب ما صرح به رحمه الله في مقدمة أطروحته.

الأولى : قيام الوصف فيه على التحليل والتعليل، بدل العرض والتقرير.

الثانية : اعتماد الدراسة الشمولية وذلك من خلال اعتماد وحدة (الأسرة الاصطلاحية) بدل (التمثيلية) الانتقائية... فكان كل ذلك مركزا في دراسة المصطلح من خلال (شجرة مفهومية) مبنية على نموذج (الأسرة الاصطلاحية) للمصطلح المدروس، يكون هو فيها أصلا لعدة مصطلحات .

ولقد خصص رحمه الله للحديث عن نظره واجتهاده في الدراسة المصطلحية : التمهيد الذي هو عبارة عن تأصيل منهجي للبحث كله بث فيه حصيلة تجربته في مجال الدراسة المصطلحية، محددا موقعها في الدراسات اللغوية الحديثة، ثم بين مناهجها المطبقة على التراث لحد الآن، ثم فصل خصوصيات المنهج الوصفي عندما ينزل على المصطلح الشرعي، وما يحصل جراء ذلك من خصائص وأحوال، وهذا عمل لم يطرق قبل، كما صرح بذلك في المقدمة، فقال رحمه الله "وأحسب أن هذا ابتداء متواضع لما يعرف في (علم المصطلح) ب (النظرية الخاصة) في هذا المجال، أعني خصوص أصول الفقه . فلحد الساعة مازال الكلام عن المصطلح التراثي والدراسات المصطلحية عاما من حيث النظر. ولما تدرس مناهجها في علاقتها بخصوص مجالات علمية محددة بعينها(4).

أما بخصوص العرض المنهجي لأطروحته التي نوقشت سنة 1998م- 1999م فإنه جاء على الشكل الآتي :

بعد المقدمة والتمهيد التي تضمنتا مادة اصطلاحية في غاية النفاسة والأهمية، فإنه جعل البحث في قسمين كبيرين :

القسم الأول : في طبيعة المصطلح الأصولي عند الشاطبي وهو قسم نظري صنفه في ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : في إصلاحية التجديد المصطلحي عند الشاطبي .

- الفصل الثاني : في مركزية المصطلح في الفكر الأصولي عند الشاطبي .

- الفصل الثالث : في نظرية التعريف الأصولي ونقد الحد المنطقي عند الشاطبي.

أما القسم الثاني : فهو المعجم : وهو مجموع ما درسه من مصطلحات وفق المنهج المختار اعتمادا على نظام الأسرة الاصطلاحية، بحيث نسق رحمه الله المصطلح الأصولي الشاطبي في ثلاثة مصطلحات كبرى عبارة عن كليات جعلها في ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : في مصطلح الأصول.

- الفصل الثاني : في مصطلح الاجتهاد.

- الفصل الثالث : في مصطلح المال.

هذا وقد كان مجمل ما درسه من مصطلحات بالإضافة إلى الأهميات الكليات : اثني عشرة ومائة مصطلح (112) يدخل في ذلك ما ورد فرعا أو ضميمه أو مشتقا أو نحو ذلك مما جاء مشجرا ضمن المصطلحات الأهميات.

والذي تجدر الإشارة إليه ونحن نذكر إسهامات هذا الرجل العظيم في الدراسات المصطلحية، أنه أشرف على عشرات الأطروحات الجامعية في هذا المجال وغيره، وشارك في عشرات المناقشات العلمية، فكان رحمه الله يثير قضايا في المصطلحية والمنهج بشكل مستفيض، وأنا على علم أنه لو تم تجميعها وتدوينها وتصنيفها لأثمرت كتابا مهما في هذا الباب.

والله أسأل أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة وأن يجعل له نورا في قبره وأن يبده دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وأن يجعله في جنة الخلد وأن ينفعنا بعلمه ولا يحرمننا أجره ولا يفتنا بعده، ويغفر لنا وله أمين والحمد لله رب العالمين.

- أنظر المصطلح الأصولي عند الشاطبي،

الدكتور فريد الأنصاري ص 15

- المصطلح الأصولي عند الشاطبي، الدكتور

فريد الأنصاري ص 20

- أبجديات البحث في العلوم الشرعية محاولة

في التأصيل المنهجي ص 09

- المرجع نفسه ص 18

- المصطلح الأصولي عند الشاطبي، الدكتور

فريد الأنصاري ص 23



أهمية المصطلح في الفهم الدقيق للنص واستيعابه

نموذج كتاب "مفاتيح النور" للدكتور فريد الأنصاري



د. عبد الرحيم الرحموني

مدير معهد الدراسات المصطلحية بفاس ورئيس
شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بفاس

تقديم:

لقد قيل منذ القديم إن المصطلحات مفاتيح العلوم، ولعمري إنها مفاتيح كل شيء، حيث أنها يمكن أن تكون مفاتيح الخير، كما يمكن أن تكون مفاتيح الشر، ويمكن أن تكون مفاتيح البناء، كما يمكن أن تكون مفاتيح الهدم، ومنذ القديم قال فرعون لقومه واصفا نفسه بأنه الهادي إلى السبيل القويم وإلى طريق الرشاد : ﴿ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ (غافر : 26)، كما جعل من نفسه مصلاحا كبيرا في مقابل النبي موسى ﷺ الذي جعله مفسدا في الأرض، فقال مظهراً غيرته على مصلحة قومه : ﴿إني أخاف أن يبديل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد﴾ (غافر : 26) ولقد أتت دعوته أكلها في قومه وخاصة في الملأ المقرب منه، فقالوا له مستحثين على المضي قدما في تطهير الأرض من الفساد ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أئذ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويدرك والهلك﴾ (الأعراف : 126) فما كان منه إلا أن طمانهم بأنه قادر على تجفيف منابع هذا الفساد الذي بدأ يستشري في الأرض، ﴿قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ (الأعراف : 126).

ولقد استمرت هذه الرؤية الفرعونية على مدار التاريخ حيث لم يكن الكافرون والمنافقون في زمن بعثة الرسول محمد ﷺ ببعيدين عن المنطق، فقال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ ذاكراً منطق الكافرين في قلب المفاهيم والمصطلحات : ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة : 10-11).

إنه منطق قلب المفاهيم بقلب مصطلحاتها حتى يتم تعويم الحقيقة عن الباحثين وتضبيب الطريق على السالكين، وتضيق الخناق على المومنين، ولذلك فإن تمييز المفاهيم بعضها عن بعض بتمييز مصطلحاتها الدالة على أساس مهم من أسس الفهم السليم للنص، أي نص، في أي علم أو مجال كان، حتى يتم استيعاب المفهوم على حقيقته، دون ضبابية أو غبش في التصور أو الرؤية.

وإذا كان الأمر كذلك فإن أولى ما ينبغي التثبت من مقاصده ودلالاته ومفاهيمه، كتاب الله تعالى وحديث رسوله ﷺ، حتى لا يضل فكر عن مقصده، أو تزل قدم بعد ثبوتها. ومن ثم تستشيري الفوضى في التصورات، والمفاهيم والرؤى.

إن الإحساس بهذه الأهمية للمصطلح وتمثلها حق التمثيل وإدراكها بشكل متكامل، هو ما نضج عند الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله وطُبع على نار هادئة حيث إنه رحمه الله بدأ مسيرته العلمية في مجال البحث الجامعي

الأكاديمي باعتماد الدراسة المصطلحية منهجا في دراسته، وسار على دربها بكل ثقة إلى آخر مرحلة من مراحل البحث الجامعي، حتى استوى عودها بشكل كامل وأثمر يانعا في أبحاث ومؤلفات ودراسات ومحاضرات ومقالات ومواعظ، مما عُرف به رحمه الله.

ويأتي كتاب "مفاتيح النور" إحدى هذه الثمرات المتميزة التي عرف بها الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله.

كتاب "مفاتيح النور" والدراسة

المصطلحية

كتاب "مفاتيح النور" دراسة للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور، لبديع الزمان سعيد النورسي، وحيث هو دراسة لهذه المصطلحات المفتاحية فقط، وليس لكل المصطلحات، فإن الكتاب تناول

بـالـدروس المصطلحات التالية :

التوحيد - الإنسان - الكون - القرآن - الانتساب الإيماني - الأخلاق - سـتة مصطلحات خصص لها ستة فصول من الكتاب بالإضافة إلى المقدمة والتمهيد.

ولعل مما يلفت الانتباه في المقدمة، حديث المرحوم عن منهج الدراسة المصطلحية الذي

هو قوام هذا الكتاب وعموده، فلقد بين رحمه الله بأسلوبه الأدبي ومنهجه الحجاجي أهمية هذه الدراسة وقيمتها في الكشف عن حقائق الأمور، مما يستوجب منا وقفة إيضاحية تبيانا للعنوان أعلاه، وكشفاً لما يتطلبه مقام هذا العرض المتواضع.

يقول رحمه الله : «والدراسة المصطلحية علم منهجي قائم بذاته، ينهض بدراسة المصطلح العلمي باعتباره جوهر العلم وأساس وجوده، إذ هو كما وصفه - بأدق ما يكون الوصف - فضيلة الدكتور الشاهد البوشخي، إذ قال : «والمصطلح - كائن ما كان - إما واصف لعلم كان، أو ناقل لعلم كائن، أو مؤسس لعلم سيكون» وإذا كان كذلك فلا علم إلا وهو منبه -في مقولاته المفهومية- على مصطلحاته، وهذا أمر ظاهر ومن هنا كان قولنا : «إن المصطلح هو العلم» على سبيل الاستغراق الكلي للفظ (العلم). وثبات المعنى الحاصل في الجملة الاسمية بإطلاق. مع العلم أن ذلك ليس دالاً بالضرورة على انطباق الحكم نفسه على (الدراسة المصطلحية) من حيث هو منهج للدراسة..!

إن المصطلح -من حيث هو مفهوم واقع في الوجود ابتداء- يمثل الحقيقة الوجودية الأولى للعلم، أي علم! فهو إذن الجوهر من سائر المعارف الكونية. وما القضايا العلمية الحاصلة بعد -البناء عليه- إلا أعراض قائمة به، تماماً كقيام الألوان بالأجسام، لولا هذا ما حصل إدراك

تلك» (1).

ولقد دفع الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله، انطلاقاً من هذا القول نحو بيان شامل للمسألة المصطلحية مقعداً ومؤسساً ومعللاً، فبين أولاً أن المصطلح «إنما هو تسمية علمية على مسماها من المفاهيم العلمية، فهو إذن اسم علم على بنات العلم» (2) واستدل على ذلك بقول الله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، الذي ورد «بصيغة العموم غير المخصص، بل المؤكد استغراقه لكل اسم». هكذا (كلها) لأن الأسماء من أساس الموجودات فلم يبق بعد ذلك من حقائق الوجود إلا العلاقات القائمة على الربط بين الأسماء بالوظيفتين الحرفية والفعلية، ولهذا فالفعل يؤول بالمعنى الوجودي -لا النحوي- إلى الحرف، أي من حيث هو مفتقر في وجوده إلى غيره» (3).

ومما اعتمد على ذلك في بيان هذا الفهم، أن (الكلام) كما عرفه النحاة اسم وفعل وحرف، ولا شيء يستقل بذاته منها إلا الاسم، لأن الحرف مفتقر إلى غيره، كما قالوا، وأما الفعل فلا وجود له إلا بحركة الفاعل الحسية أو المعنوية، أي أنه هو أيضاً مفتقر إلى الفاعل بالمعنى الوجودي.

كما أنه رحمه الله استند في ذلك إلى إشارات لطيفة دقيقة في هذا

المعنى، وردت عند سعيد النورسي رحمة الله عليه في تقسيم الموجودات باعتبار الفناء والبقاء إلى (معنى اسمي) و(معنى حرفي) ممثلاً في ذلك بمن ينظر إلى المرأة من حيث إنها زجاجة، فإنه يرى مادتها الزجاجية، وتكون الصورة المتمثلة فيها شيئاً ثانوياً، بينما إن كان القصد من النظر إلى المرأة رؤية الصورة المتمثلة فيها، فالصورة تتوضح أمامك حتى تدفعك إلى القول : ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ بينما تبقى الزجاجة أمراً ثانوياً.

فالنظرة الأولى تمثل (المعنى الاسمي) أي أن زجاجة المرأة معنى مقصود، وصورة الشخص المتمثلة فيها (معنى حرفي) غير مقصود.

وأما النظرة الثانية فصورة الشخص هي المقصودة، فهي إذن (معنى اسمي) أما الزجاج (فمعنى حرفي)» (4).

ويستخلص الأستاذ فريد من هذا القول ما يفيد بقيمة المصطلح بالنسبة للعلم الذي ينتمي إليه فيقول : «فكذلك وضع المصطلح من سائر العلوم والمعارف : هو (المعنى الاسمي) وما سواه مما ترتب عليه وقام به هو (المعنى الحرفي)» (5).

وانطلاقاً من هذه القيمة أو الأهمية يبين الأستاذ فريد رحمه الله أن أركان العلم، أي علم، تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي : المصطلح والقاعدة والمنهج. «فاول ما ينشأ من العلوم مصطلحاتها، إذ تنشأ المفاهيم أولاً، فيحتاج العلماء للتعبير عنها، وبذلك تتولد المصطلحات، فهذه إنما

هي تسمية لمواليد العلم من سائر المفاهيم والمقولات التي هي أساس تكوين العلم ونشأته» (6).

وإذا كانت المناهج -كما يقول الأستاذ فريد رحمه الله- ليست سوى تركيب قاعدي في نسق معين من شأنه إنتاج البحث في العلم. وإذا كانت القاعدة ليست سوى مجموع نسقي من المصطلحات فمعنى ذلك «أن فهم العلم إنما يبدأ من المصطلح، وأن مال العلم في التكوين والتحديد إلى المصطلح، ولذلك كانت عبارة الخوارزمي في تسمية كتابه (مفاتيح العلوم) أدق عبارة في تسمية وظائف الاصطلاح» (7).

نماذج تطبيقية

لقد فوجئ الأستاذ فريد رحمه الله وهو يروم دراسة المصطلحات في الكليات «بثروة مصطلحية نادرة، وكثر مفهومي ثمين، يشعر الدارس أن وراءه عبقرية ذات حس مصطلحي دقيق» (8). ولعل ما سبقت الإشارة إليه من حديث النورسي رحمه الله عن المعنى الاسمي والمعنى الحرفي دليل واضح في هذا الباب، هذا الكنز المصطلحي وهذا الحس الدقيق به، جعل الأستاذ فريد رحمه الله يقول إن المصطلح عند النورسي «يصعب تصنيفه على الطريقة التقليدية وإن المرء ليحار فعلاً كيف يصنف مصطلحاته؟ وإلى أي علم ينسبها؟ إلى القرآن وعلومه؟ أم إلى الكلام وعلم العقائد؟ أم إلى التصوف وعلوم الأخلاق؟ أم إلى الفلسفة بمعناها التقليدية؟ أم إلى غير هذا وذلك» (9).

لكن الأستاذ فريد رحمه الله بذكائه الوقاد وخبرته العلمية في دراسة المصطلح استطاع أن يرصد مفاتيح الكليات من خلال المصطلحات الستة السالفة الذكر، وأن يجمع الشجرة المفهومية لدقائق الكليات من خلالها. ولعل نظرة بسيطة أولية في ترتيب هذه المصطلحات الستة في الدراسة يبنى عن فكر ثاقب للأستاذ فريد وتصور مشبع بروح الإيمان، ومن ثم بدأ بمصطلح (التوحيد) باعتباره الركيزة الأولى لعقيدة الإسلام وعليه مدار الدار وفناء بمصطلح «الإنسان» المعنى بهذا التوحيد والمطالب بتمثله وإدراكه حق الإدراك. وثلاثهما بمصطلح (الكون) الذي تتجلى فيه أحدية الله سبحانه وتعالى لما تتضمنه من كائنات هي آيات وجودية ناطقة بتوحيد الله ودالة عليه تعالى، ثم لأنه هو المجال الذي استخلف فيه الإنسان المطالب بتدبره لإدراك عظمة الخالق والتيقن بوحديته ثم أتبع هذه المصطلحات بمصطلح (القرآن) باعتباره وحياً منزلاً يبين صفات الواحد الأحد عز وجل وينظم للإنسان دينه ودينه في علاقته بخالقه والكون الذي يعيش فيه، وبذلك تنسجم آيات الوحي مع آيات الكون انسجاماً تاماً في رؤية الإنسان وتعبد، وبعد ذلك انتقل إلى مصطلح (الانتساب الإيماني) على أساس أن هذا الانتساب هو الذي يعلي من قيمة الإنسان الروحية، ويبعده عن أدان المادية، ليختتم هذه المصطلحات بمصطلح (الأخلاق) التي هي قوام إنسانية الإنسان.

وإذا كانت الكليات تتضمن ثروة مصطلحية نادرة، والإحاطة بها في مؤلف كامل عسيرة، فإن الكشف بتفصيل تطبيقي عما تضمنه عنوان هذا العرض لابد أن



أهمية المصطلح... (تكملة)

يكون أكثر عسراً لذلك سنكتفي ببعض الإشارات مما تضمنه مصطلح التوحيد من كنوز مفهومية اعتماداً على ما كشفتها الدراسة المصطلحية من أسرار نص الكليات.

يفيد مصطلح التوحيد -من خلال ما كشفه (مفاتيح النور)- عدة مفاهيم، أهمها المفهوم الكلي والرئيسي المعتمد لدى النورسي وهو: «مشاهدة اليقين لأنفراد ربوبيته تعالى، ووحدانية ألوهيته، في خاتمه المضروب على كل شيء» (10).

لقد استخلص الأستاذ فريد هذا التعريف من خلال تتبعه لعدة نصوص الكليات التي لها علاقة بالمفهوم، وانتهى إلى أن مصطلح (التوحيد) من أهم المفاتيح الاصطلاحية لفكر بديع الزمان النورسي، منها قوله: «إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة» وكذلك قوله مبيناً قيمة التوحيد وتميزه عن العناصر الأخرى: «ليس هناك أهم ولا أعظم مسألة في الوجود من التوحيد والآخرة» وقوله: «التوحيد هو أعظم حقيقة في عالم الوجود» (11).

والواقع أنه ليست النصوص المتكررة في هذا الباب عند النورسي هي التي أبرزت مفهوم التوحيد عن باقي المفاهيم الأخرى فقط، ولكن أيضاً للتشكك المصطلحية ورد بها هذا المفهوم اشتقاقاً وترادفاً وضماً. ولهذا أكد الأستاذ فريد رحمه الله أهمية هذا المفهوم بقوله: «إن مفهوم (التوحيد) إذن يرجع عنده إلى حقيقة وجودية كبرى وسر كوني عظيم، ولذلك كان أضخم مفهوم عنده، وأثقل مصطلح في منظومته الفكرية، حتى إن عمله العلمي ومجهوده التفسيري كان يدور في مجمله على محور (التوحيد) بمراتبه المختلفة» (12).

غير أن من أهم ما كشفتها الدراسة المصطلحية لكليات النور وخاصة لدراسة مصطلح (التوحيد) ما يتعلق ببعض المشتقات والضمايم، فبالنسبة للمشتقات هناك مصطلحان: الواحدية والأحدية: «فالواحدية هي تفرد الله سبحانه في ذاته بكونه ربا وإلهاً لكل شيء، أي تفردته تعالى بالربوبية والألوهية.

والأحدية هي تجلي أسماء الله الحسنى في كل شيء من حيث هو سبحانه خالق كل شيء وقيوم كل شيء.

وبيان الفرق بينهما أن الواحدية هي صفة لله تعالى في وحدانيته، وتفرد في ذاته، بغض النظر عن شهادة خلقه له، وهذا المعنى راجع إلى التصور الذهني للتوحيد.

أما الأحدية فهي مشاهدة ذلك في خلقه، أي دلالة الخلق عليه سبحانه» (13).

وبالنسبة للضمايم نقف عند ما يلي:

«التوحيد الخالص: هو التوحيد الحقيقي، سمي خالصاً لخلوصه لله وحده، ولرد كل شيء إليه وحده سبحانه وتعالى وصفاته من الشبهات والشطحات، قال «إن أساس الإسلام هو التوحيد الخالص» (14).

إن هذه الوقفات تنبئ بجلاء عن قيمة الدراسة المصطلحية في فهم النص فهما سليماً، ذلك أن القراءة السطحية يمكن ألا تفرق بين الأحدية والواحدية، ويمكن ألا تربط بجلاء بين التوحيد والإخلاص.

لكن التتبع الدقيق لاستعمال المصطلح عند النورسي كشف الفارق بين دلالة المصطلحين ذلك أن الواحدية مرتبطة بالتصور الذهني للتوحيد، فالله سبحانه وتعالى واحد في صفاته منفرد في ذاته، لا شريك له في أي شيء من ذلك، بينما الأحدية فهي ما يستخلص من دلالة الخلق عليه سبحانه، فبديع صنع الكون ونظامه وأسواره يدل دلالة كاملة على أحدية الله بصورة مطلقة.

وأما فيما يتعلق بضميمة الإخلاص فلا بد من وقفة بسيطة لكنها جوهرية فيما أحسب، لا تتبدى إلا عن طريق الدراسة المصطلحية، وهي أن مصطلح التوحيد كما يذهب إلى ذلك رائد الدراسة المصطلحية الأستاذ الدكتور الشاهد البوشخي، لم يرد إطلاقاً في القرآن الكريم بهذه الصيغة. ذلك أن مفهوم التوحيد وخاصة بالمعنى الذي ورد عند النورسي المشار إليه آنفاً، قد ورد في القرآن بمصطلح آخر وهو مصطلح (الإخلاص) كما في قوله تعالى: «قل الله أعبد مخلصاً له ديني» وقوله عز وجل: «قل إنما أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين» وقوله تبارك وتعالى: «فأدعوه مخلصين له الدين» وقوله: «إلا لله الدين الخالص» وقوله: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين».

إن هذه الآيات جامعة لمفهوم التوحيد بشكل كامل حيث إن الإخلاص في الدين هو أسمى مقامات التوحيد، ولذلك فإن التعريف الذي استخلصه الأستاذ فريد رحمه الله من التوحيد الخالص، حينما بين بأنه يفيد عند النورسي: «التوحيد الحقيقي وأنه سمي خالصاً لخلوصه لله وحده» هو التعريف الذي يمكن أن يقدم للإخلاص في العبادة. ولعل الوقفة المتأنية عند مصطلح الإخلاص في القرآن الكريم تقود إلى استخلاص عدة مفاهيم حام حولها المشتغلون بالتوحيد لكنهم لم يبرزوها بشكل جلي، لتمييز مصطلح «الإخلاص في الدين» عن مصطلح «التوحيد» على اختلاف اشتقاقاته وضمايمه.

1- مفاتيح النور، ص 12-13.

2- المرجع السابق، ص 14 // 3- المرجع السابق، ص 15.

4- المرجع السابق، ص 15 // 5- المرجع السابق، ص 15.

6- المرجع السابق، ص 15 // 7- المرجع السابق، ص 17.

8- المرجع السابق، ص 18 // 9- المرجع السابق، ص 19.

10- المرجع السابق، ص 48 // 11- المرجع السابق، ص 62.

12- المرجع السابق، ص 63 // 13- المرجع السابق، ص 76.

14- المرجع السابق، ص 78.

دور العلماء في الأمة..

... للعلماء مكانة في الأمة لا تضاهيها مكانة، ومنزلة لا تسمو فوقها منزلة؛ فهم خلفاء الله في الأرض بعد الرسل وهم ورثة الأنبياء. قال تعالى: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» (آل عمران: 18)، ولعلو مكانتهم فقد أبى الله إلا أن يرفعهم درجاتاً علماً... «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير» (المجادلة: 11).

ولأجل ذلك كانوا هم أشد الناس خشية لله عز وجل «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر: 28).

وأما الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في فضل العلماء فأكثر من أن تُحصى ومنها قوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» فيصير بذلك سراجاً منيراً يضيء الطريق للحيارى والشاردين ويوجه الأمة إلى ما ينفعها في دنياها وآخرتها.

ومن أجل ترغيب المؤمنين وحملهم على طلب العلم والعناية به، قال الصادق المصدوق ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة». وقريباً من هذا المعنى يضيف ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت يصلون على معلم الناس الخير».

لهذا كله فقد هيا الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة رحمة بها في كل زمان عبر تاريخها الطويل كوكبة من العلماء العاملين والدعاة المهتمين يسلكون بها طريق الهداية والرشاد يرفعون الهمم ويشحذون العزائم كلما اشتدت على الأمة المحن وكلما اختلطت عليهم الأمور وضاعت بهم الأرض بما رحبت. فلم يخل زمن من أزمنة المسلمين الطويلة من علماء أجلاء ودعاة صالحين ومجاهدين ربانيين يقودون سفينة الأمة إلى بر الأمان في أحلك فتراتنا وقد مروا بكنبات وأزمات كانوا فيها على شفا حفرة من الفتن والكنبات كادوا أن يصبحوا بعدها أثراً بعد عين. وكلما قل هؤلاء العلماء الربانيون في الأمة قل دور الأمة وأقل نجمها بين الأمم...

ولهذا فلما هُمّش دور العلماء وقل وجودهم في القرون الأخيرة وصلت الأمة إلى ما هي عليه اليوم، مكبلة في سلسلة ذرعها السماوات والأرض من التخلف والضعف والمستغبة وما شئت من أفاظ التردّي والبؤس فلا عزة بقيت لهم ولا رأي ولا مشورة فحال المسلمين اليوم لا يسر عدواً ولا صديقاً: أيتام على مائدة لنّام لا يراؤون فيهم إلا ولا ذمة..

فلا عزة للأمة بعد هذا إلا بعودة العلماء الصالحين الربانيين إلى مواقعهم ومقامهم بما تمليه عليهم مكانتهم للنهوض بالأمة من كبوتها وليس ذلك عليهم بعزّيز متى صدقت النوايا وشُحّدت الهمم..

ويستتبع ذلك ضرورة الاعتناء بطلاب العلم وإعطائهم المكانة اللائقة بهم في المجتمع وتحفيزهم مادياً ومعنوياً تشجيعاً لهم ولآباء حتى يحرصوا على توجيه أبنائهم لتحصيل العلم والاعتناء به... وينبغي أيضاً لأصحاب الأموال والمحسنين في الأمة الاستثمار في هذا المجال والدفع فيه إلى أقصى حد عن طريق إنشاء معاهد ومؤسسات بمواصفات حديثة لاستيعاب طلبة العلم وفتح الأفاق أمامهم من أجل استكمال دراساتهم العليا وتيسير جميع السبل لهم من أجل ذلك وهذا باب من أبواب الجهاد العلمي الذي حث الله عليه ورسوله الكريم ﷺ.

فما انصرف الناس عن طلب العلم الشرعي وتوجيه أبنائهم إليه إلا نتيجة لتردي المكانة التي تعطى لعلماء الشرع وطلابه داخل مجتمعاتنا الإسلامية. ويأتي الإعلام والأمثلة الشعبية والنكت المملوغة مع الكثير من الهمز واللمز لتزيد طينة العلماء بلة فترسخ مكانتهم البئسة في المجتمعات. ولكن يكفيهم فخراً أن الله امتدحهم من فوق السماوات السبع وخصهم بمكانة ما خص بها أحداً بعد الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. ولما كان «على قدر أهل العزم تأتي العزائم» فذلك مكانة العلماء وطلاب العلم تسمو وترتفع بقدر قيامهم بواجبهم بكل إخلاص وتفان وتجرد تام لخدمة هذا الدين.

فكلما كانوا هم أنفسهم في مستوى هذه المكانة التي بوأهم الله إياها كلما أظهرهم الله على جميع الحاقدين والمنافقين والمستهزئين.. ولقد أصبحنا نلمس ذلك في الآونة الأخيرة بحمد الله من خلال كوكبة من العلماء الفضلاء كلما أظلم الزمان أضأوا هم كالشموع تحترق لكي تضيء لآخرين.

فإذا علمنا هذه المكانة الرفيعة التي خص الله بها العلماء، أدركنا مدى فداحة فقدانهم وغيابهم عن قضايا الأمة، فالعلماء هم للأمة كالمالح للطعام فمتى غابوا فسد الطعام ولم يعد صالحاً أو قلت صلاحيته في أحسن الأحوال. وفقدان العلماء هو نقصان في العلم الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهلاء ففسلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». وهو مانلاحظه في كثير من الأحيان مع الأسف الشديد.

وقد ودعت الأمة في الآونة الأخيرة زمرة من خيرة العلماء الأجلاء نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

آخر هذه الكواكب المضيئة ودعت بلادنا في الأيام الأخيرة عالماً ربانيا ورعاً تقياً، وهب كل عمره القصير لخدمة العلم والنصح للمسلمين تحصيلاً ودعوة وإرشاداً وتالياً وسلوكاً قويمًا وسمتاً ربانياً رفيعاً ظل ملازماً له حتى آخر لحظة في حياته فكان رحمه الله إذا رؤي ذكر الله، ذلك أخونا الحبيب الدكتور فريد الأنصاري تغمدته الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. وإنا لله وإنا إليه راجعون.



ذ. عبد القادر لوكيلي

من وحي بعثة التجديد الاسلامي للدكتور فريد الأنصاري

لعله ضاع منه التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، أو فقد هوية ناصحك الأخوية للحركة الإسلامية..

فريد الأنصاري ياسادتي بفطريته، كشف المحجوب، وفتح القلوب.. في بلاغ حكيم.. وبيان رحيم. بالحقائق والمعاني أسس من جديد لدعوة الإسلام..

وعبر مسلك القرآن، بلا جدال أو خصام.. وإنما بالتلقي والتركية كابد عناء تصحيح تصورات الإنسان، فأخرجه من رهب النيران إلى أشواق الجنان..

فلتخضر ألسنتنا بأحرفه المجيدة، ولنشمر على ساعد الجد، ونعزم على الانخراط في كوكبة العلماء الربانيين... والدعوة إلى الخير... من محبي المرحوم الأستاذ فريد الأنصاري

• عبد الهادي باباخويا

لا زالت نظراتك الثاقبة، المفعمة بجداول الروح الرقراقه نتذكرها...

وها هو ميثاق عهدك يا سيدي يصبحنا نحو جمالية الدين، ويعرج بقلوبنا للتعرف على الله تعالى ويفتح لنا النور لتجديد حياتنا، في أدب راق ومنهج سليم، بإحساس مرهف وذهن متقد قويم.

وها هي مدرسة القرآن تشرق من مجالسها أنوار خضراء، بتأصيلاتها المنهجية، ونماذجها التطبيقية، وقضاياها العمرانية..

لتحرير أهل السيماء نفساً وصورة، وفك أغلال حُمائل الرسالة تعبدًا وبلاغاً..

فيا ويح من قال إنك ذهبت..؟ إنك انتهيت إلى مَثَواك الأخير..؟

فذلك من تفلتت من بين يديه أبجديات المنهج، ولم يشاهد منازل الجمال عبر قناديل صلاتك.. ذلك من لم تمتد يده نحو مقاصد عالميتك، ولم يخفق قلبه ببلاغات رسالتك..



مسار باحث في الفقه وأصوله

د. عبد الحميد الوافي

من شيم الباحثين الراسخين في العلم اتصافهم بوصفين: أحدهما، التلقي عن أهل الرسوخ في العلم، المشهود لهم بالإمامة في الفن. وثانيهما بلوغ منزلة الاعتكاف في مقامات العلم. تلك هي خلاصة تجربة شيعي الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى في تحصيل العلم بمستوياته المعرفي والمنهجي، وبهما كان رحمه الله تعالى من ورثة هذا العلم ورواده.

أما شيوخه في المعرفة الأصولية - الإمام أبو إسحاق الشاطبي - فقد تركها كلمة باقية في عقبه من السالكين طريق تحصيل العلوم، يوم أن قال في (المقدمة الثانية عشرة): من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقيق به أخذ عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام (الموافقات 1/ 91). ولا يماري أحد في إمامة الموافقات، وتحقق صاحبها بهذا المقام في التوجيه. وأما شيوخه في منهجية البحث العلمي المعاصرة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشخي حفظه الله تعالى، فقد قال معللاً يوم أن وصف علمه في الدكتوراه (بأنه إضافة علمية حقيقية في الموضوع والمنهج)، قال (ومن أسباب ذلك الواضحة : قدم الصحبة للموضوع ولصاحب الموضوع). وانتهى في سياق التعليق إلى (أنه من العبث العلمي أن ينتقل الباحث متجولاً من موضوع إلى موضوع، فذلك له آثار سيئة على البحث العلمي) المصطلح الأصولي ص 7 و8، وتلك نقيصة وفق الله تعالى الدكتور فريد رحمه الله تعالى إلى إدراك آفاتها فتركها.

وسنعمل في هذا التقرير على رصد مظاهر هذا الرسوخ في العلم، من خلال ثلاثة عناوين: نعتبرها جامعة لما تحصل من معرفة بالأستاذ رحمه الله تعالى، وبمساره العلمي تجاوزت العقدين من الزمن.

أولاً : طموح علمي لتفعيل أصول الفقه:

كان رحمه الله تعالى يبدي رغبة قوية في نقل قواعد علم أصول الفقه من المستوى الأكاديمي إلى مستوى التداول اليومي ؛ لتصبح الثقافة الأصولية ثقافة عامة، تؤطر تفكير الأمة. وهو ما تلمسه في مختلف كتاباته؛ حيث كان يركز رحمه الله تعالى على تاصيل الأقوال والأحكام والمواقف من خلال الرجوع إلى المصدرين الأصليين في التشريع، الكتاب والسنة. كما يمكن أن ندرك هذا التوجه المنهجي بتوظيفه لقاعدة تحقيق المناط باعتبارها عنصراً خطيراً في عملية تنزيل الحكم على الواقع. ولذلك كثيراً ما كان يردد أن سبب كثير من الانحرافات في فقه الدين، إنما تحصل حين يتم تغيب ذلك المسلك الأصولي العتيق؛ الذي يعصم من الخلل في الفهم والاستدلال عند ربط الحكم بمحاله، وهي في هذا المقام أفعال المكلفين، أفراداً ومؤسسات.

وإن استيعابه لهذا المسلك الاجتهادي أكسبه رحمه الله تعالى قدرة كبيرة في الفقه والاستنباط. وهو الملحظ الذي يدركه كل من يقرأ كتاباته الفكرية والدعوية؛

سواء تعلق الأمر بمرحلة النقد والمراجعة، أو في مرحلة البناء لأفكاره و الصياغة لاقتراحاته.

وإن صلته بعلم أصول الفقه تعود إلى سنوات دراسته الجامعية لتحصيل الإجازة في الدراسات الإسلامية؛ حيث أنجز يومها بحث التخرج في موضوع حضاري لارتباطه بالواقع التاريخي للأمة من جهة، ومن جهة أخرى لتعلقه بالمنهجية التشريعية عند عدم النص الشرعي، إنه موضوع "المصالح المرسلة ومواقف الأئمة منها".

وفي مرحلة ما بعد الإجازة، اتجه أول الأمر إلى كتابة بحث ببليوغرافي، كشف فيه واقع علم أصول الفقه بالمغرب. وأحسب أنه عمل تفرد به؛ لأنه عمل فيه على إحصاء مصنفاة المغاربة الأصولية سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة، في عمل وصفي تستفيد منه الخزنة العلمية في المغرب خصوصاً والعالم الإسلامي عموماً.

وفي هذه المرحلة وجد ضالته في كتاب

ويكشف عن ذلك الجهد العلمي الذي بذله في تدريس مادة الفقه الإسلامي في السنوات الجامعية 2000/99 و 2001/2002 و 2003/2004. حيث كان حريصاً رحمه الله تعالى على المراجعة النقدية للمادة المعرفية التي تدرس للطلبة؛ سواء تعلق الأمر باختيار المقرر المناسب لحاجات الأمة، أو تعلق الأمر بترجيح ما كان دليلاً أقوى في كثير من فروع الفقه. كما تلمس ذلك الجهد أيضاً عندما أبدى رغبة قوية في تدريس مادة نظرية العقود في الفقه الإسلامي؛ حيث عمل على أن تشمل كل أنواع العقود، مع زيادة اهتمام بالعقود الربوية، وربطها بصور واقعية من حياة الناس.

ويمكن الوقوف على صور من تجديد الفقه في كتاباته الفرعية في مجالات فكرية عامة، أو في بناء رؤيته لمناهج البحث العلمي، ومستويات الاستنباط من كنوز القرآن الكريم، والاستمداد من معارفه وعلومه.

وقد ظل رحمه الله تعالى يرقب حركة

كان دائم العناية بتعميق النظر في مناهج بناء الدليل في

الشرعيات؛ لأن استيعاب الطالب لاختلاف مستويات الحوار العلمي في الموضوع؛

لمن شأنه أن يقوي عنده الملكة النقدية التي تمكنه من تجاوز مرحلة التقليد، بما يؤهله

للقيام بواجبه الشرعي في الدعوة إلى الله تعالى، وخدمة المسلمين، وبما يكون

جامعاً لأشتاتهم، ومانعاً من تفرق كلمتهم ؛ ليلا تذهب ريحهم.

الأمة في عملية التلقي والبلاغ من خلال تدريسه لقضايا التشريع الإسلامي سنوات 98/97 و 2000/99 و 2003/2004 ؛ حيث كنت أأس منه - ونحن نتداول في مقررات المادة العلمية على مستوى التنسيق بين الأساتذة المدرسين- أنه كان دائم العناية بتعميق النظر في مناهج بناء الدليل في الشرعيات؛ لأن استيعاب الطالب لمختلف مستويات الحوار العلمي في الموضوع لمن شأنه أن يقوي عنده الملكة النقدية التي تمكنه من تجاوز مرحلة التقليد، بما يؤهله للقيام بواجبه الشرعي في الدعوة إلى الله تعالى، وخدمة المسلمين، وبما يكون جامعاً لأشتاتهم، ومانعاً من تفرق كلمتهم ؛ ليلا تذهب ريحهم.

ثالثاً : فكر مقاصدي بالقصد الأول:

يعتبر مؤرخو الفكر الأصولي أن مقاصد الشريعة ثمرة الفقه في علم الأصول، وأن الإحاطة بها مفهوماً ومصطلحاً، وأن التعمق في استيعاب مقاصد المقاصد رؤية ومنهجاً نادرة النادر. ولقد كان رحمه الله تعالى واحداً من نوابر هذا الفن. إذ أمضى سنوات زهرة عمره في اكتساب قضايا الفكر المقاصدي درساً ودراسة.

● أما درساً، فحين كان يعمل في صمت على صياغة الجانب المنهجي لنظرية المقاصد، كما أودعها الإمام الشاطبي كتاب الموافقات. وقد أحاط رحمه الله تعالى بالعمق المعرفي لذلك من خلال دراسته لمفهوم المباح، ثم استكمل البناء المنهجي

الجامع لأشتات المنهجية المقاصدية في الفقه بمستوياته النظرية والعملية عند دراسته لمصطلحي الأصل والاجتهاد عند الإمام الشاطبي. فأظهر رحمه الله تعالى شمول النظر المقاصدي، وضرورته في كل مراحل عملية التفقه في الدين.

● وأما دراسة، فقد امتدت معاناته في صياغة المادة المعرفية، وتقريبها من الناس مدة تدريسه مادة المقاصد، منذ أن تم تعيينه أول مرة بكلية الآداب بالمحمدية، ومن بعد التحاقه بهيئة التدريس بكلية الآداب بمكناس في 16/09/1994، وذلك ابتداء من السنة الجامعية 1995/1996 إلى غاية 01/02/2006. وهي السنة التي وضع رحمه الله تعالى رهن الإشارة رئيساً للمجلس العلمي المحلي لمكناس.

ولقد ظهر أثر ذلك في صياغة شخصيته العلمية والدعوية، وذلك حين فتح مسالك الحوار مع المخالف قبل الموافق. وحسب ما أخبرني به، فقد عقد لقاء علمياً مع بعض أساتذة كلية الآداب في حوار صريح حول كثير من القضايا التي كانت محط خلاف معهم بسبب اختلاف مشاربهم السياسية و تعدد اتجاهاتهم الفكرية والثقافية.

ويمكن القول إن الفكر المقاصدي شكل العمق الاستراتيجي لمساره العلمي بعد ذلك، خصوصاً حين اتجه إلى تجديد الإيمان في قلوب الناس؛ حيث كان يدينه بناء الإنسان ببلوغ مرتبة الامتثال، بحسب ما بين الإمام الشاطبي من أن (العلم الذي هو العلم المعتبر شرعاً، أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق، هو العلم الباعث على العمل، الذي لا يخلي صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان؛ بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً) بالاتفاق بين الظاهر والباطن، تنقية لقصد المكلف من الحفظ. وقد توج تلك الرحلة العلمية، من بعد استشارة مع فريق بيداغوجي من أساتذة شعبة الدراسات الإسلامية، بفتح وحدة للتكوين والبحث، تحت عنوان "الفتوى والمجتمع ومقاصد الشريعة" في السنة الجامعية 2001/2002

وهي الوحدة التي كانت تتووجها لمساره التدريسي مادة المقاصد؛ حيث استقبل فيها طلبة من مختلف الجنسيات من العالم الإسلامي. واستمر العطاء العلمي إذ تم اعتماد وحدة جديدة للتأطير في الدكتوراه بعنوان "الاجتهاد المقاصدي التاريخ والمنهج"

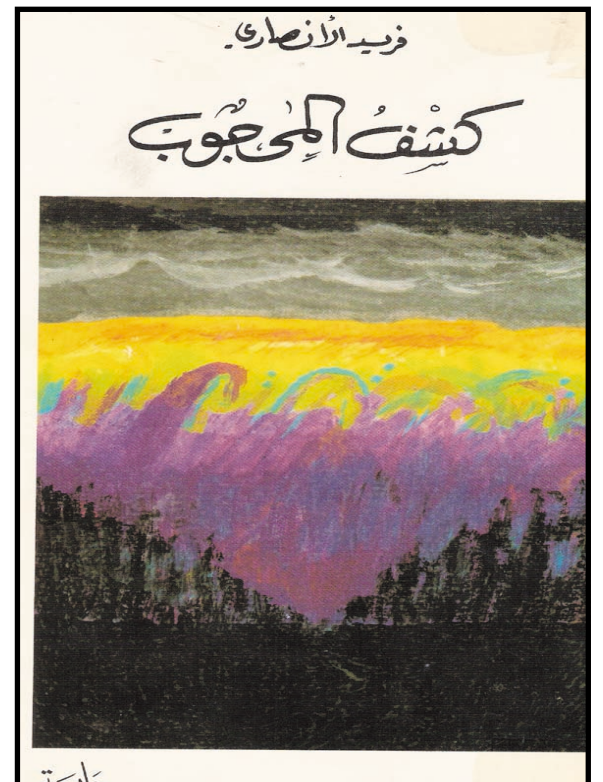
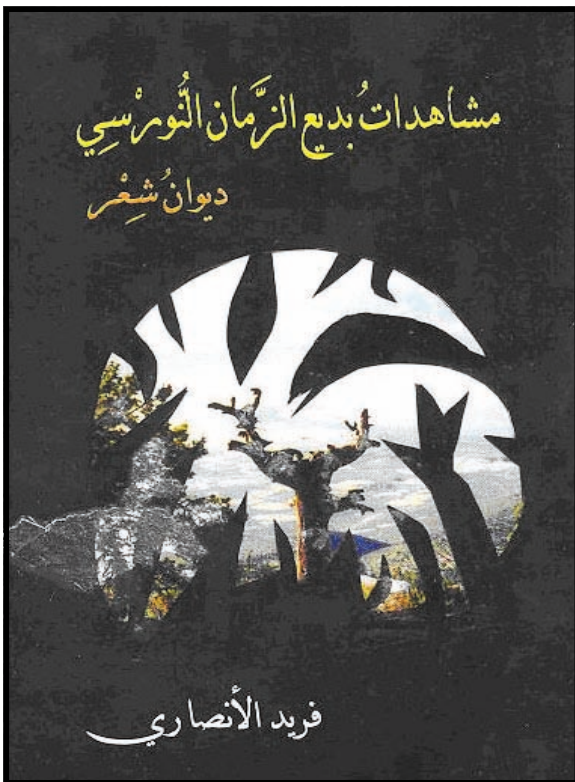
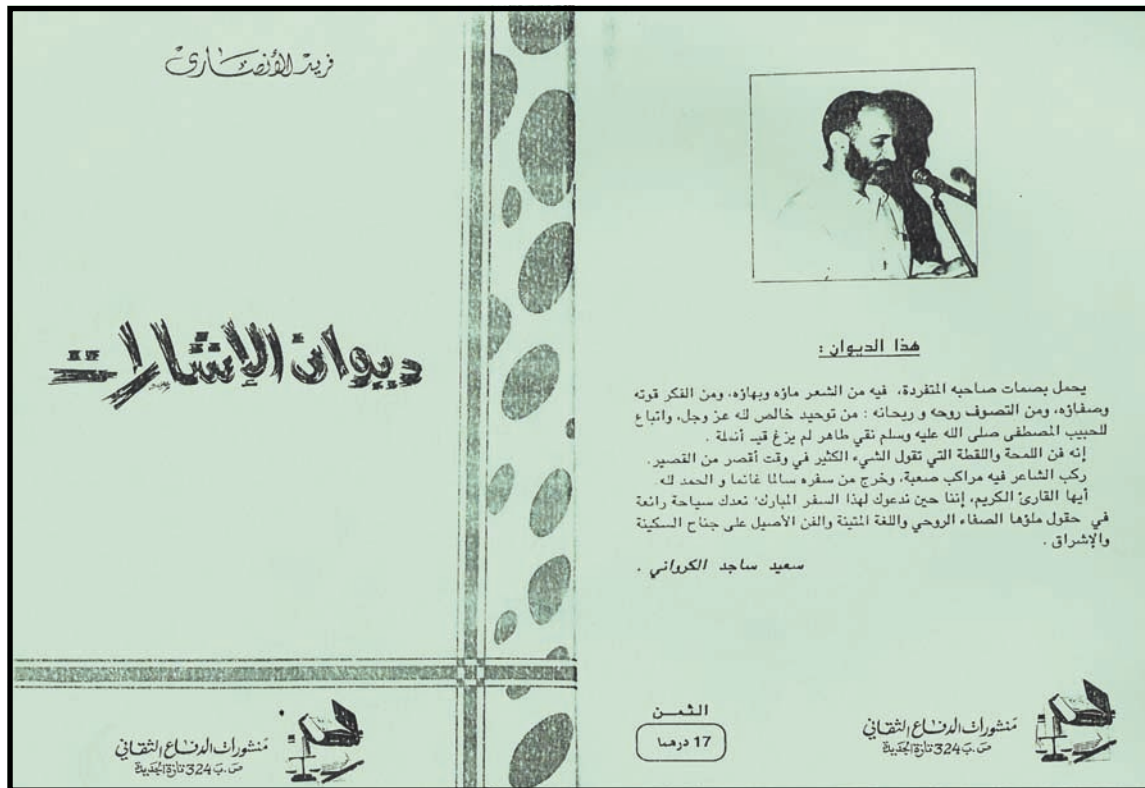
ولقد اعتبر السيد نائب العميد في الشؤون الأكاديمية هذا التوجه، من الأستاذ رحمه الله تعالى، والفريق البيداغوجي المشارك في هذه العملية المعرفية، نقلة نوعية في تاريخ كلية الآداب بمكناس؛ حيث اعتبره إشعاعاً علمياً عرفه بالكلية في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، وجعل الطلبة الراغبين في الالتحاق بالكلية ينتقل من الدراسات الجامعية العليا إلى طلب التسجيل في مراحل الإجازة.

وفي ختام هذه الورقات نقرر أن مسار الفقيه الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى في تخصصه العلمي كان مساراً حافلاً بالعطاء، والاجتهاد، والاحتساب، رحمه الله تعالى، وغفر لنا وله.



محور : أديبا إسلاميا و أستاذاً

- فضيلة الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى : أديبا وناقدا
- وقفة اعتبار مع ديوان الإشارات للمرحوم الشاعر فريد الأنصاري
- أزمة القيم في رواية "كشف المحجوب" للروائي فريد الأنصاري رحمه الله
- جمالية المعمار الفني في ديوان "عاشقة" مقدمة للمرحوم الدكتور فريد الأنصاري
- أبو أيوب الأنصاري... الداعية الأديب (عابر سبيل)
- من هوس الكتابة إلى هوس الإصلاح في فكر فريد الأنصاري
- فريد الأنصاري رحمه الله : الأستاذ المربي



فضيلة الدكتور فريد الأنصاري (رحمه الله تعالى) : أديبا وناقدا



د. عبد الحفيظ الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم وأصلي وأسلم على الحبيب المصطفى الأمين وعلى آله أجمعين
هل يملك القلم أن يدون عبارات الأسى والحرز الذي يعتصر النفس جراء هذه المصيبة التي ألمت بالامة الإسلامية جمعا بفقد أحد أعلامها المتميزين ورجالها الصادقين؟ أم هل يملك اللسان أن يفصح عن مشاعر قلب مكلوم، وأحاسيس فؤاد مصدوم لرحيل رجل أمة تجمع فيه ما تفرق في غيره؟

إن أخي وحبيبي وأستاذي فريد الأنصاري رحمه الله تعالى وتقبله عنده في الصالحين، كان عصيا على التصنيف فلم يكن الأصولي والفقيه والمفسر فقط، وإنما كان أيضا المصطلحي المحقق والناقد المدقق والروائي البليغ والشاعر الخنديد، كان الداعية المجاهد والمربي الناجح، والأستاذ الباحث النحرير والخطيب المفوه والواعظ الحكيم.. وفوق هذا وذاك كان الورع التقى النقي.. كان كل ذلك بتواضع منقطع النظير وخلق جم رفيع.. إن فقدانه اليوم والامة تجتاز مرحلة عصبية في تاريخها ليعد خرما كبيرا وخسارة جسيمة..

ولوأردت أن أعد عطاءاته العلمية ومناقبه الخلقية ما استطعت إلى ذلك سبيلا. وإنما سأقصر حديثي على مجال قلما تحدث فيه عن الرجل، ولا يقل فيه شأننا عن بقية المجالات، إنه مجال الأدب والنقد :

1- في مجال الشعر :

استطاع رحمه الله تعالى أن يسجل حضوره، وينقش اسمه في سجل الشعراء المتميزين، والمبدعين الملهمين، حيث ألهم ملكة خصبة تجود بلألى القول ودرر التعبير : تهر العقول وتملك العقول. فترك لنا خمسة أعمال شعرية موزعة بين شعر عمودي شمله ديوانه الأول الموسوم بـ"ديوان القصائد" الجزء الأول الصادر عام 1992م ويتضمن مجموعة من القصائد تجمع بين شجون الذات ونقد الواقع ونصرة القضايا الإسلامية، بأسلوب جزل قوي يزاوج أحيانا بين الجد والسخرية، كما في القصيدة الأولى "بطاقة ناخب"، ويعمد أيضا في بعض القصائد إلى تنويع القافية كما في قصيدة "رحلة المحراب" وتمتج تصويراته من الطبيعة في صفائها وانسيابها ومن النفس في إقبالها وإدبارها، كل ذلك في قالب لغوي رشيق بديع يتغذى من معجم غني يدل على سعة في الاطلاع وتنوع في الثقافة..

وتنضم إلى هذا الديوان قصيدته البكائية المطولة "الوعد" في رثاء الأستاذ عبد الرزاق المروزي رحمه الله تعالى التي نظمها في أربعة ومائة بيت أواخر سنة 1996م بنفس واحد ومشاعر متدفقة، حيث قال عنها طيب الله تراه : "فقد ارتفعت أمامي صورة عامة لهذه القصيدة بطولها،

فكأنني أشاهدها موجة موجة، رغم أنني لست صاحب مطولات، وإنني إذ أتوضأ أدفعها مرجئا وتدافعني ملحمة، وفي الطريق إلى المسجد تفجرت الأبيات الأولى.." (الوعد ص:6)

وشعر قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر الذي يضمه ديوان مشترك بينه وبين الأستاذ الشاعر عبد الناصر لقاح، والموسوم بـ"جداول الروح" الصادر عام 1997م حيث سمح لشاعريته أن تخلق في سماء هذه الإيقاعات الحديثة، وأثبت قدرته على مسايرة ذلك، والتفوق فيه بسجية مطبوعة..

وشعر "الهايكو" المشهور بالمجتمع الياباني، والمعروف بقصر مقاطعه، حيث ضمنه "ديوان الإشارات" الصادر عام 1999م، وفيه يجرب هذا النوع من الشعر الذي يقوم على توظيف عناصر الطبيعة على غرار الشعر الرومنسي لكن في صورة جمالية أقرب إلى الرسم الانطباعي الذي ينبض بالحياة المتدفقة، وأما مضمونه فهو غالباً ما يميل إلى رسم فكرة دينية.. والأستاذ فريد رحمه الله تعالى جرب هذا النوع الشعري أيضا دون غيره

لم يكن الأصولي والفقيه والمفسر فقط، وإنما كان أيضا المصطلحي المحقق

والناقد المدقق والروائي البليغ والشاعر الخنديد، كان الداعية المجاهد والمربي الناجح،

والأستاذ الباحث النحرير والخطيب المفوه والواعظ الحكيم.. وفوق هذا وذاك كان الورع النقي

النقي.. كان كل ذلك بتواضع منقطع النظير وخلق جم رفيع.. إن فقدانه اليوم والامة تجتاز

مرحلة عصبية في تاريخها ليعد خرما كبيرا وخسارة جسيمة..

الأديب من أدوات القص والتعبير عن رؤيته وأحاسيسه تجاه مجتمعه وما يموج فيه من صراعات فكرية واجتماعية وسياسية فهي رواية "تكشف حقيقة الصراع بين الحداثة، الزاحفة من الغرب نحو البلاد الإسلامية باسم التقدم والتطور والتجديد والعلم والتقنية، وبين القيم الراسخة والفطرة السليمة التي تتطلع إلى الحياة السعيدة، والتطور الصحيح مع المحافظة على هذه القيم" (المشكاة العددان 37/36 ص:64)

وإليك نموذج من هذا السرد البليغ والتعبير الرشيق الذي يأسر بانسيابيته ويسحر بحمالة يقول رحمه الله تعالى: "وأبحث لعيني أن تتملى حياء الماء.. كان الأصيل يعزف للأطيار الغربية ألحان السكون، ولا شيء غير السكون.. فمن ذا قدبر على الكلام الساعة، في هذه البحيرة العذراء؟ وحدها دجاجة الماء الأبدية كانت ترحل على طول النهر رفقة صغارها.. فخطر لي أن أسألها عنها فمن يدري؟ ربما تكون سارية بين أدغال الشط الغربي تعزف وحيدة على ناي من قصب الماء ثم تصغي لصداها، ربما كانت تبث النسيم السافر سر احتجاجها" (كشف المحجوب ص:9)

ودونك شهادة أحد كبار النقاد الإسلاميين محمد حسن بريغش رحمة الله عليه الذي يثني على الرواية وعلى الأديب بقوله : "الرواية هذه تجربة ثرية حقاً، حشد فيها المؤلف كل ما لديه من إحساس مبدع

وشعور متيقظ وكل ما عنده من ثقافة واسعة استخدمها كلها على لسان بطله ليكشف الحجاب، ويصل إلى الحقيقة، استخدم ثقافته التاريخية والدينية والفلسفية ومعرفته بأحواله الصوفية ومصطلحاتها، وثقافته عن البيئة ومسميات الأشياء والعادات فيها، وكانت كثير من فقراته صوراً جميلة وأخاذة لجلاء موقف ما أو مشهد ما أو فكرة ما... والكاتب جيد استخدام المعارف والأسماء التاريخية وغيرها وأسماء الأبطال والمشهورين، واستخدام أسماء الحوادث المهمة كرموز موحية ترسم مشهداً كاملاً وتختصر في كلمة أو مصطلح أو فكرة صورة بعيدة الدلالات والأثر وبدون أن تستعصي على القارئ، وتعاير دقة وموحية، الرمز مليء عنده بالعطاء لا يصعب على القارئ فهم دلالاته بل يزيده وضوحاً وشوقاً لمعرفة المزيد... والكاتب بعد هذا يخرج عن إطار الرقابة، ويستخدم أساليب متعددة في تناول الرواية بين التصوير الواقعي والحكاية المسروبة وبين التصوير الإيحائي والرجوع إلى الأحلام، والغوص في اللاشعور والعودة في النقيض والتمازج بين الأشياء واستخدام الرمز". (المشكاة العددان 37/36 ص:66-67)

أما روايته الثانية "آخر الفرسان" فهي متن سردي متميز، ينتمي لجنس السيرة، وخصوصاً حكاية سيرة، وفيها تناول حياة رجل النور الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، ببناء أدبي يجمع بين التصميم الواقعي في ترتيب الأحداث، والمعمار السريالي المجنح بالخيال. وقد رأى رحمه الله ذلك في نظره هو الأنسب لتقديم صورة عن حياة رجل كالنورسي الذي عاش حياة درامية أشبه ما تكون بالخيال. وقد استخلص الكاتب معلومات هذه الرواية من الخلاصة البديعة التي ألفها مترجم رسائل النور الأستاذ إحسان قاسم الصالحي عن حياة بديع الزمان بعنوان "الرجل والإعصار"، كما أنه استوحى بعض التفاصيل من الكتاب الأصل "كليات رسائل النور" خاصة المجلد التاسع الذي يتضمن السيرة الذاتية للنورسي وحقق بعض التواريخ المتعلقة بالدولة العثمانية في مرحلة السقوط من كتاب "رجل القدر" للأستاذ أورخان محمد علي.

وقد كتبت هذه الرواية بأسلوب نوراني مشرق يجمع بين الخيال والتوثيق الدقيق، وتزاوج بين تعبیر المتكلم /الكاتب وحوار البطل /الفارس. وهي مقسمة إلى سبعة فصول كل فصل يتضمن حكاية أو حكايات ومقامات، كل ذلك ببيان رائع أخذ ونفس مسترسل وشعور متدفق..

3- وأما في مجال النقد الأدبي :

فالرجل رحمه الله لم يكن أقل موهبة عنه في الإبداع.. فهو حين تناول ديوان "الأحجار الفوارة" للشاعر المتميز الأستاذ الدكتور محمد علي الرباوي، جعل قصائده عبارة عن جذبات صوفية، تحمل تجربة خاصة، وشبه فيها الشاعر بالمتصوف حينما يشرع في أوراده حيث لا يدري أبدا متى ينفث أمامه باب المقام الجديد وإنما هو في رياضة ذاكرة أو ساجدا. وقد جعل



وقفه اعتبار مع ديوان الإشارات للمرحوم الشاعر : فريد الأنصاري



إعداد : د. محمد شرقي

تمهيد : مثل المرحوم الشاعر العالم الداعية إلى الله عز وجل الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري في أفول نجم عمره الفاني السريع كممثل شجيرة حديثة عهد بالحياة ما كاد سوقها يستقيم قليلا، وتونع وتورق وتزهو حتى أثمرت كثيرا بفضل ربها، ولكنها سرعان ما ذوت مخلفة وراءها ثمرا وفيرا، فكان ذلك سبب حيرة الحائرين إذ كيف يكون الجني الوفير مع العمر القصير، وماذا لو قدر الله سبحانه أن تصير الشجيرة دوحه؟ هذا ولم يكن المرحوم صاحب هذر وهراء لهذا فكل كلامه يستوجب الوقوف الطويل من أجل العبرة وإدراك كنه ما أودع الله عز وجل في نفسه من حكمة لأنه من ذوي الحظ العظيم «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا».

الشاعر، ويصفو له السفر الروحي.

(4) وقفه مع ما بين مقدمة الإشارات وخاتمتها :

تبدأ مقدمة الإشارات مع ليل يرحل نحو الفجر، زمن الجني، وتنتهي خاتمة الإشارات بربيع يبشر بالجني. والشاعر عبر رحلته الروحية من ليل إلى فجر وربيع يبحث عن أنس روحي لا تسأله عنه وظن خيرا. وما بين المقدمة والخاتمة إشارات تحيل على هذه الرحلة الروحية المصاحبة لرحلة أرضية عبر القطار مع وقفات خلال الرحلة العجيبة.

(5) طبيعة الإشارات :

تقارب إشارات هذا الديوان المائة إشارة إلا ثلاثا أغلبها أسطر تفعيلية وقليل منها أبيات تقليدية. وإذا حاولنا تصنيف الإشارات إلى حقول دلالية باعتبار عناوينها فقط يكون الناتج ما يلي :

● (أ) حقل الأحوال ويتضمن العناوين الآتية :

(سكينة / بشارة / اللقاء / توبة / ميلاد / المصير / السفر / وصفة / حزين / السجين / الصلاة / الجهاد / العمى / التوحيد / المنفى / الاستشفاء / حيرة مرآة / توهم / موت / زيادة نقصان / المحب / الصادق / جناح مجهد / عراجين الصبر / تواطئ على الموت / القيام / الشهادة / العطش / الحيرة / ركون / دعاء / حسرة / سلام / رجاء / حقيقة / فتنة / استسقاء / ترقب / ضياع / افتقار / سالك / نبضة / ضلال / أنين / أذان فجر / سبحة / احتراق / تساقط / مسافر / استغاثة / وحملها الإنسان / وداع).

● (ب) حقل الطبيعة ويتضمن العناوين الآتية :

(شروق / المساء / السحر / العاصفة / الندى / مأساة الزيتون / أول الخريف / الأريج / بارقة الليل / موت الليل / هديل الواحة / قمصان النخل / أزهار الشيح / فتن الأضواء / سراب / قطرة / زهرة اللوز / الجنار / زهرة المشمش / مر الزهور / زهرة الحناء / رياح فوارة / الغدير / الطيف الضائع / زهرة الخشخاش / زهرة الخرشوف البري)

● (ج) حقل الأمكنة ويتضمن العناوين الآتية :

(فاس / تافيلالت / القصر الكبير / المدينة الفاضلة)

● (د) حقل الأشياء ويتضمن العناوين الآتية :

(شهد مر / مسروقات / قصة قصيرة / رسالة / القرن / المهر)

● (هـ) حقل المفاهيم ويتضمن العناوين الآتية :

(المستحيل / السبب / أجل / مغتسل / السلام / إشارة / فاتحة)

● (و) حقل الأزمنة ويتضمن العناوين الآتية :

(الزمن / الوقت / فترة)

فإذا ما تأملنا هذه الحقول نجد الهيمنة لحقل الأحوال مما يضفي على ديوان

تتمة : ص 44

أه يا غصن ألما أوحش هذا السير المدلج فردا

فغيوم الحزن القاتل ما زالت تحجب أقماره

يا غصن ابسط أشواقك أجنحة حتى تومض بارقة الأمطار

واحفظ عني : تلك لدالية الأنس إشارة

يبدأ النص باستعارة غصن الليل الساجي الذي يوقظ أسحاره الولهي بالأنداء. فالليل وقت التأمل والتعب، والسحر منه ساعة استغفار، وسفر الليل محطته

الفجر، والفجر مشهود، وهو ساعة جني الثمار، إلا أن الجاني في هذا النص هو

الفجر المقتبس من أنوار قنديل الوارد. وينطق البياض بالمسكوت عنه في نظري

بقول صوفي مشهور:

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

ويتأوه الشاعر حرقة مخاطبا غصن الليل للتعبير عن وحشة السير المدلج

ويستعير له غيوم حزن قاتل حاجبة لأقماره، طالبا منه بسط أجنحته حتى تومض بارقة

الأمطار وتأتي ساعة جني الثمار الفجرية. ويختتم النص بالكشف عن هوية الإشارة،

إنها إشارة الأنس استعيرت لها دلالية ذات قنوط تعصر منها عصارة الأنس بذكر الله

ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

(3) وقفه مع نهاية الإشارات :

يحمل النص الأخير من الإشارات عنوان "فاتحة" نكرة غير مقصودة أيضا، والغريب في هذا العنوان أنه جاء خاتمة مع أنه فاتحة. ولا يستغرب ذلك في عقيدة تعتبر نهاية الدنيا بداية الآخرة. يتكون النص من اثني عشر سطرا شعريا تفعيليا يقول فيه الشاعر :

غصون الربيع - كعادتها - أورقت.. فمادت عرائسها في الزرى،

وهذي القناديل ترفد خضرتها سحرا... ولكن غصني حزنها لم يزل عاريا

وهذا الكرى يكمم كل البراعم في جسدي

فارفعي يا غصون ذراعيك وارفعيني

إنني قد حدوت الرجاء لفصل القرى

فجد من نسيم المواجد يا سيدي بالذي لا يرى

عسى يزهر الليل في كبدي ويصفو السرى

يبدأ نص خاتمة الإشارات بغصون كما بدأ نص البداية بغصن، ولكنه غصون

الربيع المورقة لا غصن الليل، غصون مادت عرائسها في الزرى وجاءت القناديل في

إشارة النهاية كما جاءت في إشارة البداية، وبنفس الخضرة المعهودة إلا أن غصني حزن

الشاعر - وللحزن أغصان - لم يورقا لأن الكرى كمم البراعم في جسده. وينادي

الشاعر أغصان الربيع في النهاية كما نادى غصن الليل في البداية كي ترفع أذرعها

وترتعش لأن الرجاء يحده إلى فصل قراها. ويستجدي الشاعر من هذا الربيع نسايم

المواجد إلى ما لا يرى - وظن خيرا ولا تسال عن الخبر- رجاء أن يزهر الليل في مشاعر

اللتين تقعان إما قبل أو بعد باقي الإشارات.

ولما كان شاعرنا مولعا بالسفر من منطلق إيمانه بالسفر عبر الدنيا إلى الآخرة

فقد ذكر أنه من موافقات إشارات أنه كتبت في حالة السفر، والسفر عنده مناسبة

لانطلاق الجسد والروح إلى فضاء الجمال. ونبه رحمه الله إلى أن هذه الإشارات عرفت

تطورا في شكلها ومضمونها عبر تسلسلها التاريخي.

(1) وقفه عند عنوان الديوان :

من التقاليد النقدية اعتبار عناوين الأعمال الإبداعية الشعرية أولى عتبات ولوج

عالمها. وعنوان "ديوان الإشارات" يتكون من لفظتين أضيفتا إلى بعضهما، وهو عبارة عن

جملة اسمية صدرها كلمة ديوان وهي مبتدأ مضاف إلى اسم الإشارات وخبر المبتدأ

غائب يقدر بحسب الأحوال، والتقدير فرصة من فرص الاستشراف والتوقع. فالتوقع من

هذا الديوان هو ما تحمله لفظة "إشارات" من دلالات. فمادة اللغوية لهذه اللفظة :

شار، وأشار، واستشار، وشور - بتضعيف الواو -، وشاور تحيل على العديد من

الدلالات التي بينها كبير قرابة ومناسبة. ومن دلالات هذه المادة اللغوية : الترويض

من أجل الاختبار، والهيئة واللباس الحسن الجميل، وجمال الطلعة وحسنها،

والسمعة، والرخاء، وجني العسل المصفى، والإملاء، والتعريف، والنصح، والتبني، والاستنارة، ورفع النار. بكل هذه الدلالات

تنطق معاجم لغتنا العربية بخصوص هذه المادة اللغوية. إذا كانت الدلالة المرشحة

الأولى والمتداخلة عرفا وعادة هي الإملاء، فباقي الدلالات لا تعدد في هذا الديوان

الشعري، فهو ترويض للنفس الضالة، وهو تجمل بلباس التقوى إذ يبدو الشاعر

● شيرا، وهو شهد عسل مشور، وهو إلى جانب هذا وذاك شوار أي رخاء -إذا جاز

أن يوصف وصف الريح - وهو معرفة ونصح إلى رشد وصواب.

والإشارات تستعمل عادة للتلميح لا للتصريح، وهي في بعض الأحيان مدعاة

للدهشة والاستغراب كما هو الحال في إشارة القرآن الكريم المشهورة: «فأشارت

إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبا» فمن المدهش حقا أن يشار إلى صبي يتكلم

في المهدي فسبحان من كلمه. والمتصفح لإشارات الأنصاري رحمه الله

تعالى لا بد أن يقع في أفاق توقعاته شيء من الاندهاش والاستغراب إزاء تلميحاته لا

يزولان إلا بانجلاء حقائق التصريح.

(2) وقفه مع فاتحة الإشارات :

يحمل النص الأول من الإشارات عنوان "إشارة" نكرة غير مقصودة، وهذا النص

عبارة عن عشرة أسطر من شعر التفعيلة خامسها عبارة عن بياض طباعي مقصود.

يقول الشاعر في هذا النص :

غصن الليل الساجي يوقظ بالأنداء الولهي أسحاره

ويسافر عبر الريح إلى الفجر الأخضر ميادا...

فلعل براعمه تكسب من قنديل الوارد أنواره

ولما طلب مني أن أعطي جانبا من إبداعه بمناسبة احتفال جريدة المحجة الغراء بآثاره اعترافا بسعيه المشكور في مجال الدعوة لم أتردد وأنا الذي تشوقت كثيرا للإدلاء بدلوي في شرف الحديث عن رجل رباني تعشقه القلوب المؤمنة عسى أن أحظى بحب الله تعالى ورضاه الذي كتبهما لمن يحب أوليائه، وهو عندي من أولياء الله عز وجل ولا أزكيه عليه سبحانه، إلا أنني احترت في نوع المشاركة، وفي نوع العمل الإبداعي الذي أستطيع تغطيته بوقفه اعتبار قبل كل شيء، فحدثت أخي الفاضل الأستاذ عبد المجيد بن مسعود في الموضوع فوجدته سبقتني إلى عمل سردي من أعمال المرحوم بدرسه، فيممت صوب أخي الفاضل الشاعر محمد علي الرباوي فنالوني ديوان الإشارات للمرحوم وكان في صندوق سيارته مع مجموعة من أعماله، كان ينظر فيها وقد هزته منية الفقد خصوصا وأنه لم يكتشف مقدار حبه له كما أخبرني بحسرة الغبون إلا بعد رحيله وقراءة عبارات الإهداء التي كان يخطها بيمينه على صدر أعمال أهداها له في شتى المناسبات. وما كدت أتصفح هذا الديوان حتى عشقته عشق هيام بسبب إهدائه الشاعر ونصه : "إلى قوافل المستضعفين... الذين عرفوا فاغترفوا... ثم لبسوا الأكفان بأيدي اليقين... عسى أن يولدوا من جديد" وما هؤلاء إلا عباد الله الصالحين؟ والحقيقة أن هذا الإهداء هو أول إشارات هذا الديوان إن لم أقل أحسنها على الإطلاق وهو إهداء تناص مع قول رب العزة جل جلاله : «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين». لقد ذكر الأنصاري قوافل المستضعفين وما أكثرها في هذا الزمان، وبشرهم بالوعد الحق إمامة ووراثه، ونعمت الإشارة.

وما كدت أتجاوز هذا الإهداء الروحي والفني في نفس الوقت حتى شدني إلى ديوان الإشارات تقديم أكره عليه الشاعر وهو لا يحب التقديم للشعر بكلام وخالصته أنه وهو طالب بجامعة فاس المحروسة قرأ مقالا للمرحوم عبد الوهاب المسيري في مجلة الدوحة القطرية يتحدث فيه صاحبه عن نوع من الشعر الياباني يسمى "الهايكو" وهو من أقصر أنواع الشعر إذ لا تزيد أبياته أو أشطاره عن الثلاثة يتسامر به اليابانيون ويتعشقونه حتى أنهم يكتبون قطعاً منه على جذوع الشجر وأوراقها، وهو شعر روحي ينقل التجربة الدينية البوذية. واكتشف المرحوم أن الثقافة العربية الإسلامية لا تخلو من شعر يشبه شعر اليابانيين هذا، ويتعلق الأمر بشعر الإشارات الصوفية، لهذا قرر أن يخوض التجربة مستانسا بالهايكو الياباني والإشارات الصوفية العربية الإسلامية ولكن بذوقه وذوق عصره وهمومه.

والإشارات المرحوم عبارة عن مقطوعات قصيرة تتراوح ما بين الأبيات أو الأسطر الثلاثة من شعر التفعيلة أو شعر الوزن التقليدي إلى ما فوق العشرة بقليل. وقد أشار إلى أن إشارات قد رتبت ترتيبا تاريخيا باستثناء الإشارة الأولى والأخيرة



وقفة اعتبار... (تقمة)

الإشارات أو الهايكو الأنصاري الصبغة الصوفية.

(6) وقفة مع الإشارات من خلال عتبات

العناوين :

كما مر بنا من قبل، العناوين عتبات اقتحام النصوص، وإذا ما تأملنا هذه العتبات نلاحظ ما يلي :

● (أ) عتبات الأحوال :

من خلال تأملها نجد ثلاثاً أنواع :

– عتبة الضلال : وتحتوي على ما يلي : (ضلال / ضياع / فتنة / ركون / زيادة النقصان / توهم / العمى / موات)

– عتبة التوبة : وتحتوي على ما يلي : (حيرة / العطش / استسقاء / افتقار / استشفاء / وصفة / حيرة / رجاء / أنين / نبضة / حيرة مرآة / حزين / المحب الصادق / عراجين الصبر / المنفى / الجهاد / السجين / توبة / جناح مجهد)

– عتبة الأمل : وتحتوي على ما يلي : (سالك / سفر / التوحيد / الصلاة / ميلاد / لقاء / الشهادة / بشارة / سكينه / مصير / سلام / حقيقة)

وكل عتبات الأحوال تعكس الحقيقة الوجودية للإنسان المسافر من الضلال عبر التوبة إلى الحقيقة.

● (ب) عتبات الطبيعة :

إذا تأملناها نلاحظ أن الرحلة الوجودية عبر الطبيعة تمر بالمسار الآتي : (المساء / بارقة ليل / موت ليل / سحر / أول الخريف / رياح فوارة / عاصفة / سراب / الطيف الضائع / قطرة / الغدير / أريج / قمصان النخل / هديل النخل / زهرة اللوز / الجلنار / زهرة المشمش / زهرة الحناء / زهرة الخشخاش / مر الزهر / زهرة الخرشوف البري)

وهي عتبات تعكس دورة الحياة في

الطبيعة، وهي الموات ثم الحياة والبعث من جديد.

● (ج) عتبات الأمكنة :

إذا تأملنا فضاءات سفر الشاعر بالمقاييس الأرضية نلاحظ أن الرحلة مرت بما يلي : (مدينة فاس :عاصمة الدين والعلم والسياسة لعدة قرون، وهي مدينة النسب النبوي الشريف / واحة تافيلالت :أرض التخوم الصحراوية مسقط رأس الشاعر تحولت من منطقة نخاسة وتجارة إلى زاوية عبادة وعلم مع حلول النسب النبوي الشريف فيها / مدينة القصر الكبير: مدينة صامدة استعصت على المحتل البرتغالي، وهي مركز الجهاد ومقر القائد غيلان، ومدينة العلم بمدرستها البوعنانية. / المدينة الفاضلة : وهي مدينة تحيل عليها الفضاءات الأرضية، وهي مدينة الفلاسفة والحكماء والشعراء والعباد وهي فضاء معنوي)

هذه الفضاءات سواء الفضاءات الأرضية الثلاثة أم الفضاء المعنوي كلها عوالم يخلق فيها الشاعر لرمزيتها النبوية والعلمية والجهادية، وهي محطات سفرته الروحية الوجودية.

● (د) عتبات الأزمنة :

عندما نتأملها نلاحظ أن زمن الإشارات مبهم يمتد في ما يلي : (الزمن / الوقت / الفترة) وقد أبهمه الشاعر عمدا لصرف الأنظار إلى الأحوال بعيدا عن الأزمنة.

● (هـ) عتبات المفاهيم :

من خلال تأملها نلاحظ مساوقتها لمحطات رحلة الشاعر الروحية بآزمنتها المبهمة، وأمكنتها الأرضية المحددة، وأمكنتها المطلقة وهي كما يلي : (إشارة / المستحيل / مغتسل سلام / أجل / فاتحة) وبين ثنائيا هذه المفاهيم تتم الرحلة العجيبة من إشارة إلى فاتحة ومن المستحيل إلى مغتسل سلام.

● (و) عتبات الأشياء :

من خلال تأملها نلاحظ أنها عبارة عن

أشياء تقتضيها الرحلة فهي : (مشهد مر/ مسروقات / قصة قصيرة / رسالة / فرن / مهر) وهي من مشاهد الحياة التي تتم عبرها الرحلة نحو المطلق والكمال والجمال.

(7) نماذج من الإشارات :

● (أ) نموذج من نماذج إشارات الحال :

عنوانها : "توبة" ص 14

يقول فيها الشاعر :

في بطن الحوت أنادي واندمي

رباه أبشرك نور في ظلمي

شجر اليقطين دواؤك يا سقمي

بشرى خضراء تفتح في حلمي

هذه إشارة حال التوبة تتناص مع القرآن الكريم الذي يقص علينا قصة نبي الله ذي النون يونس عليه السلام إذ يتوب الشاعر على طريقة ذي النون في ظلمة الحياة المحاكية لظلمة بطن الحوت بقوله : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ ليكون الشفاء هو مغفرة وشفاء اليقطين و ليبرق الأمل مع بشارة الخضرة في جنة النعيم.

● (ب) نموذج من نماذج إشارات المكان :

يقول فيها الشاعر في إشارة "فاس" ص 40 :

ولقد رشفت من الأذان فلم أذق

أشهى صدى من توتة البطحاء

ولقد رحلت إلى الحروف فلم أجد

أبهى سنى من أحرف البطحاء

هذه إشارة مكان الرشف عند الشاعر، وهو رشف روحي وعلمي ذلك أنه لم يذق أشهى من عبادة بطحاء فاس، ولا أبهى من علمها.

● (ج) نموذج من نماذج إشارات الطبيعة :

يقول فيها الشاعر في إشارة "زهرة الخرشوف البري" ص : 75/74 :

عرانس الأشواك يا ظبا بنفسجة الجفون

مصباحك المنير في الصباح

قد أخبر الأقاح

بشقيه النظري والتطبيقي، وأبان عن تذوق سليم مشفوع باندوات علمية تقف وراءهما تجربة شعرية فذة، تمزج بين رقة الشاعر ونباهة الفقيه.

هذا غيض من فيض هذه الشخصية الموهوبة في جانب من جوانب اهتماماتها العلمية، وهومجال الأدب والنقد. ولا شك أن القارئ سيظن أن الفقيه رجل أدب بامتياز، علما بأن هامته في العلوم الإسلامية بانحة.

وأختم هذه العبارات بالقول في حق فقيدنا رحمه الله تعالى ما قاله فضيلة العلامة الدكتور يوسف الفرضاوي حفظه الله وسلمه في حق العلامة الإمام شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: "ملك قلم الأديب البليغ المتدقق، وروح الداعية المربي المحلق، ووجدان الرباني العارف المتذوق، ونظر الأصولي المتعمق، وتجريد الموحد الصادق المحقق، وهوحين يطلق لقلمه العنان يتدفق تدفق السيل الهادر، ويموج موج البحر الزاخر، ويورد الأوجه، ويوضح الأسباب ويبين الأحكام ويشرح الحقائق". (التوبة إلى الله، ص: 10)

رحم الله أخانا فريدا الأنصاري فقد كان فريد عصره ونسيج وحده، وجزاه خير الجزاء كفاء ما أسدى للأمة الإسلامية من جهاد علمي ودعوي، وجعل ذلك في ميزان حسناته، وأسكنه فسيح جناته مع الذين أنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان.. آمين، ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

بانك المليك في البطاح
ستذبل العيون
لكنما عيناك يا سيدة البطحاء
لا تفتان تنبضان
بزرقة فجرية ورقاء
فاصرف هواك صاحبي عن زهرة مسيجة
تقع في البستان
فسيد الألوان
قد حلفت غصونه على امتداد سهله
طلبة الجناح
تاج الهوى لديه شائك
لكنما وجدانه حرية تباح
لعاشق الرياح

هذه إشارة طبيعة من خلالها ينظر الشاعر إلى زهرة الخرشوف البري البنفسجية، وهي عرائس الأشواك لا تذبل أجفانها، و لا تقوم مقامها أزهار البستان المسيجة، وهي رمز الحرية التي تتوق إليها نفس الشاعر، وهي لذة مع عنت وجنة محفوفة بالمكاره.

● (د) نموذج من نماذج إشارات الأشياء :

يقول الشاعر في إشارة : "الفرن" ص : 38

مدينتي مشتعلة

قبابها مداخل رفيعة العماد

وسوقها كثيرة الرمد

هذه إشارة أشياء يقدم من خلالها الشاعر الفرن رمز الاشتعال والحريق والانصهار، وهو فرن عبارة عن مدينة ذات قباب ومداخل وأسواق كثيرة الرمد، إنها مدينة حضارة بباب تحرق الإنسان بالرغم من كثرة رماها ورقعة عمادها بلغة الشاعرة الخنساء.

● (هـ) نموذج من نماذج إشارات الزمن :

يقول الشاعر في إشارة : "الوقت"

ص : 65

من أخبر الغريد أن الفجر - حادي

الصبا - قد حان؟

فبسط الجناح لحظة

وأرسل الألحان

هذه إشارة زمن انطلاق الحياة مع الفجر، وفيها يستحضر الشاعر قدرة الخالق سبحانه على تلقين الطائر الغريد كيف يرسل ألسانه ويبسط جناحه مع حلول الفجر. ويعجب الشاعر من طائر يسبح بحمد ربه مع حلول الفجر ولا يسبح الإنسان.

● (و) نموذج من نماذج إشارات المفهوم :

يقول الشاعر في إشارة : "مغتسل

السلام" ص : 65

أه أيا سيدي سئمت من أدوية الرغام

فأجر لي بإذنك الكريم واردة

من بحرك الفرات

البارد السلام

أسقي به من كل غصن في خيمليتي

موطن السقام

هذه إشارة مفهوم من خلالها يعبر الشاعر عن سأمته من أدوية الرغام ويسأل مولاه وردا من بحره الفرات البارد السلام يشفي سقامه وهو الفرار من الرغام إلى النورانية.

وبعد، فهذه خواطر حضرتني خلال وقفة اعتبار، وأنا أتصفح ديوان الإشارات للمشمول بعفو الله الكريم الشاعر فريد الأنصاري، وما خواطري إلا ضلال لا تغني عن دوح الإشارات لمن أراد أن يجني ثمارها ويستغني عن وصف الضلال من ناهل لعله خطأ الورد بين إشارات شاعر أوتي الحكمة والخير الكثير تغمده الله بواسع رحمته، وجميل عفوه، وأسكنه الفردوس، وسقاه من الحوض باليد الشريفة، ولم يحرمننا أجره، ولم يفتنا بعده.

وببقى أخيرا أن أشير على أهل الإيمان السفر مع الشاعر على متن إشاراته في رحلة إيمانية ممتعة، والله من وراء القصد.

... أديبا وناقداً (تقمة)

الناقد فريد الأنصاري ذلك كله مقدمة لتعليل سبب صدور قصائد الرباوي مدورة في أغلب الأحوال. ويدلي برأيه الخاص رحمه الله في مسألة التدوير هاته مرجعا إليها لطبيعة القصيدة "الذاتية" عند الشاعر وهي تعود أساسا إلى كون القصيدة المدورة هي نتيجة احتراق حاد. فالشاعر الذي يبلغ درجة من التوتر أكثر التهابا، وأشد اشتعالا لن يمكنه إلا أن يستجيب للتدوير.

وبين كذلك في هذا المقال أن الشعر بعد خمود الاشتعال هو أقرب إلى النثر لا سواء مهما بلغ من التصنيع والتبديع، واعتبر كذلك مسألة الذاتية والموضوعية لغوا غير مُجد مادام الشاعر قد حسمها منذ اتخاذ المذهبية الإسلامية أساس تصوره للكون والحياة، إذ بذلك تنتفي حواجز (الأنثى) (الخن) و(الأنثى) على مستوى قضايا الإنسان كل الإنسان من حيث الأخوة الإنسانية الكبرى التي ترجع بالناس إلى أصل واحد، وعلى مستوى قضايا الأمة وهموم المواطنة الإسلامية من حيث الأخوة الإسلامية، ولا تقاطع عنده بين هذه وتلك، إلا إذا أسئ الفهم، وأخرقت حدود إحداهما.

ثم التفت إلى الصورة الشعرية وشرع في تشخيصها بنظرة الناقد الحصيف الذي يجمع الجزئيات بغية الإمساك بالكلية، استمع إليه يعلق على إحدى صور الشاعر في ذلك الديوان قائلا: " فالصورة الشعرية للعاصفة النفسية التي

وظف الشاعر كل الأدوات الكونية الثائرة لإبرازها بالإضافة إلى الأدوات الفنية من تضمين وغيره تتوغل بنا في أغوار نفس صاحبنا حتى إذا ظلنا أننا وصلنا إلى قرارها وجدنا الباب يفتح بكل قوة عن هموم الوطن، فإذا بنا نخرج إلى الموضوع الخارجي من حيث ظلنا أننا نبتعد عنه، بيد أن هذا تقسيم فاسد، ذلك أن أول قطرة في كأس الذات كانت محملة بعناء الهم الخارجي " ("المشكاة" العدد: 40 ص: 81/80)

وبعد ذلك انطلق نحو قاموس الألفاظ والصور الفنية التي وظفها الشاعر ليتذوقها ويحكم عليها، فأعلن في تصدير كلامه عنها أن جمالية اللفظ عنصر مهم لجمالية الصورة، وبين أن الشاعر الرباوي ينتقي ألفاظه وصوره انتقاء تلقائيا لا تكلف فيه ولا تصنع، وأنه يتمتع من الطبيعة ويستترفد من ثروتها الجمالية. وعلل سبب وقوع قصائد الشاعر تحت جاذبية بحر الخب، والمتقارب، وعزا ذلك إلى كون الخب هو البحر الأقدر على استيعاب الأمواج والفيوضات الشعرية الهائلة. كما أنه بثقافته الواسعة ورصيده المعرفي المتميز استطاع أن يحدد التضمينات الحضارية والثقافية في نصوص الشعر الذي يدرسه، ويردها إلى مصادرها. ويوضح الدلالات ذات الأبعاد التراثية والقرآنية التي يأخذها الشاعر مادة لبناء عمارة إسلامية جديدة ذات إشراقات جديدة مرتبطة به وبمجتمعه.

إن الأستاذ فريد الأنصاري الناقد رحمة الله عليه عبر عن احترافية كبيرة للنقد



أزمة القيم في رواية "كشف المحجوب"، للروائي فريد الأنصاري رحمه الله



د. عبد المجيد بنمسعود

توطئة:

إن من يقرأ "كشف المحجوب" للدكتور فريد الأنصاري، يتبين له من خلال سطورها وفصولها، شخصية كاتبه، فذ تجمع بين أنامله طرفا المعادلة الصعبة: الرسالية والأدبية، وهي معادلة لا تسلس قيادها إلا لنخبة ممتازة، ممن تكاملت لديهم مقومات التكوين الجبلي والكسبي، وانصهر إبداعهم في معترك الصراع المرير بين الحق والباطل، فكان بمثابة الشعلة المنيرة المتوهجة التي تسعى إلى مطاردة ما أمكن من قطع الظلام المطبق على مساحات كثيرة فوق هذه الأرض.

إن قصدي من هذه الدراسة المتواضعة لرواية كشف المحجوب، يتمثل في رصد أزمة القيم التي عمل الكاتب، ببراعة ونفاذ بصيرة، موظفا ما تيسر لديه من تنوع في الأدوات الفنية، وثرأ في الرصيد الثقافي، على عرض نماذجها وأشكالها، وتشخيص عواملها وأسبابها، وتجليه وخيم أثارها وعواقبها، ثم الكشف عن وصفة العلاج، وسبيل الخروج من إسارها والانعتاق من عقابيلها وويلاتها.

أولا : تحديد المفاهيم:

● 1- مفهوم القيمة : يكتسي مفهوم القيمة من حيث العموم، الحكم على شيء معين، موجبا كان ذلك الحكم أم سالباً، وسواء كان ذلك الشيء ماديا أم معنويا، غير أن مفهوم القيمة فيما نحن بصدده في سياق هذا الموضوع، يكاد ينحصر في جانبه المعنوي الموسوم بالأخلاق التي تشكل هيئة راسخة في النفوس، وتخضع في تشربها واكتسابها لمسار معقد من التشكيل والبناء، ويتذرع في ذلك التشكيل والبناء، بتقنيات وأساليب وآليات، وتستثمر فيهما شروط اجتماعية واقتصادية وثقافية، وأجواء نفسية، تعمل كلها متضافرة على توجيه سلوك الناس وحركتهم في اتجاه مرغوب.

● 2- مفهوم أزمة القيم: أقصد بأزمة القيم هنا، ما يصيب القيم من اختلال في التصور والمفهوم، أو ما تتعرض له جملة من القيم التي وجدت ترسيخها وتوحيدها على يد رسالة الإسلام، من محاصرة وإبعاد، على مستوى الممارسة والتطبيق، وقبل ذلك على مستوى اعتبارها مرجعية عليا، يضبط في ضوئها الفكر والسلوك، ويرجع إليها في كل صغير وكبير. ومن تحصيل الحاصل القول بأن الحديث عن أزمة القيم، يستتبع الحديث عن أزمة المجتمع، بما يعنيه ذلك من توترات واضطرابات، ومن تمزقات على صعيد شبكة العلاقات الاجتماعية، وما يعنيه من قابلية للتفكك والانحيار، والتلاشي والاندثار، تتناسب من حيث درجة حدتها مع درجة تراجع قوة الممانعة والمدافعة التي تمتلكها الطائفة المنحازة إلى منظومة الفضائل والقيم التي تدعو إليها الفطرة وبيارتها الدين القيم.

ثانيا: قراءة في العنوان:

لعنوان الرواية مسحة فنية وحمولة دلالية لا تخطئهما العين، واكتفي هنا بتجلية ما عن لي على مستوى الدلالة، فالعنوان يمكن أن يقرأ بدلالات:

تتمثل أولاهما في حشد من الحقائق والأشياء التي استطاع بطل الرواية أن يكشف عنها النقاب، ويعرضها عارية مجردة من أي زينة موهومة أو نثار مزعوم، وهي في حقيقة

أمرها كذلك، إلا لمن وقعوا فرائس سهلة لعمليات التخيل والاستلاب، فالرواية عبارة عن تشريح دقيق وتحليل عميق، لنسيج مجتمعي تعرض لعمليات التمزيق والاختراق، وظاله مكر الليل والنهار بنية الإجهاد عليه، أو سلخه من جلده.

ومن الأكيد تماما أن البطل ماكان له أن يقوم بذلك الكشف عن خبايا واقع هو واحد ممن تجرعوا ويلات، ولم تخطئهم بعض لفحات ريحه السموم، لولا ما حياه الله به من سلامة فطرة وحدة وعي اجتاز بهما شتى الأعاصير، واستطاع بفضل الله ومنه وكرمه، أن يخرج من بين نيران الغواية سالما معافى على العموم.

أما الدلالة الثانية التي يمكن أن تعن عند قراءة العنوان، فيمكن أن تتوسم من زاوية الجزء الثاني من المركب الإضافي، أي "المحجوب". بمعنى ما حجب عن بطل الرواية وفارسها المقدام، أي عن المحجوب، من ألوان المكر والسوء التي يطفح بها الواقع الذي عاش أحداثه وانغمز في صراعه حتى النخاع، وما ذلك إلا من تجليات العناية الإلهية واللفظ الرباني الذي يشمل به من سبقت لهم رحمته سبحانه وتعالى، علما أن الاعتقاد في لطف

الله واليقين في مدده وعونه، لا يعفي أصحابه من است فراغ الجهد في الأخذ بالأسباب، لأن في ذلك تنفيذا لأمر الله عز وجل وخضوعا لسلطانه وجلاله.

إن الفن الروائي كغيره من الأجناس الأدبية الأخرى، لا ينفك عن رؤية للعالم، تحكم أسلوب تعاطيه مع الموضوعات والقضايا، كما تحكم اختياره لها، وكذا تحديده

للقيم التي يستهدف تمجيدها والإعلاء من شأنها لتكون هي المثل الأعلى في الفكر والسلوك.

والرواية التي بين أيدينا لم تخرج عن هذا القانون النفسي المطرد، فهي قد جندت نفسها بكل ما أوتيت من قوة الفن وروعة البيان وقبل ذلك من قوة اليقين في صدق الرسالة وجدارتها، لإبراز قيم الحق والخير والجمال، وتسفيه حملة الشر والباطل وأولي الفساد والإجرام. فهي إذن تمتلك كل مقومات الغلبة والظهور في سوق الأدب وساحة النزال بين حملة الألقام ورواد الكلام.

وإني وإن كنت لا أزعم أنني سوف أحيط وصفا ودراسة وتحليلا بسائر ما طرحته الرواية من إشكاليات، وعالجته من قضايا وعقد، ودلت عليه من مكر كُبار، فإنني ساعرض لقضايا هي في غاية الخطورة والحيوية، نظرا لارتهاان مصير المجتمع الإسلامي في أهم أركانه ومركزاته به، فالرواية عميقة الغور شديدة التثقيف، ويحتاج حل رموزها وفك شفراتها إلى مقاربات عديدة تتضافر خلاصاتها للاقترب من عالمها في تكامله وامتداده. ولا تعدو دراستي هذه أن تلامس بعضا من زوايا عالمها الرحب:

● 1- الفطرة أم القيم ومنبعها الحيوي :

إن الكاتب يعبر عن إدراكه العميق للفطرة، كخزان للخير ومنبع للإحسان، ويعبر عن غضب عارم لتجرؤ الناس على حمى الفطرة والعدوان على أركانها ومقوماتها، والانسلاخ

من مقتضياتها، فهو من فرط غيظه وحيرته إزاء هذا الواقع المزري والأليم، يخاطب الخارجين عن الفطرة بأسلوب عجيب غريب قوامه الإعراض والاستغراب، يقول مخاطبا البهائم والوحوش: "اسمحوا لي يا سادتي الاتقياء، يا عباد الله الصالحين، يا أمراء الزئير، والنعيق، والعواء، والنباح، والفحيح، أقسم عليكم بالله أن تصدقوني... هل منكم من يرضى الخروج عن وحشيته فيتدجن؟ من منكم يحب أن يهجر جحره الوعر، أو مغارته المحصنة بين شماريخ الجبال، فيسكن مع بني آدم في ترف الزرائب والإصطبلات؟.. لكن بشرط واحد، هو أن لا يفح ولا يزار ولا يعوي أو ينبج، أجيبيوني يا سادتي أعز الله وحشيتكم" (ص: 94).

إنه أسلوب مبتكر يعكس غاية السخرية والامتناع، واستهجان بليغ، أن يرضى الإنسان بكل بساطة أن يخرج عن فطرته وجوهر إنسانيته، وأن ينبطح صاغرا أمام من يتولون ترويضه وإخراص صوته وتجميد حواسه، إنه بذلك ينزل إلى أحط من مستوى الحيوان، وكأنني بالكاتب يستحضر هنا قوله تعالى: ﴿ألم لهم قلوب لا يفقهون بها، ألم لهم أعين لا يبصرون بها، ألم لهم أذان لا يسمعون بها، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾.

إن انطماس الفطرة بنجم عنه انكساف للقيم النابعة منها، المعبرة عن روائها وصفائها، فتقلب الموازين، وتفسد الحياة، ونعم البلوى، إلى درجة يتشكل معها نزوع عند بعض الناس الذين يضيق بهم العيش وسط بيئة يكثر فيها هؤلاء الصنف من أشباه البشر، إلى اعتزال المجتمع، ولو إلى

مجتمع الوحوش والبهائم، عسى أن يجدوا في زمرتهم وبين أحضانهم من الدفاء والحنان، ما فاتهم من بني جلدتهم ممن قست قلوبهم وتبدل إحساسهم، فصاروا كالحجارة الصماء أو أشد قسوة.

إن أزمة القيم إذا ضربت المجتمع أنهكت عراه، وولدت غربة قاتلة لدى أهله، ممن لا زالت بهم بقية من حياة، وارتباط بقيم الفطرة، إلى الحد الذي يصل بهم إلى الوضعية السالفة الذكر. لقد عبر المحجوب عن الوصول إلى هذه الوضعية واستشعار هذه الحاجة الغريبة والمبررة في أن، يقول بنبرة تشي بالكابة والأسى، وذلك في سياق موقف درامي يتمثل في فشل بحقه اللائث عن تلك التي قضى عمره ينشد العثور عليها بين أروقة الحياة وشعابها: "يا ضباع هلمي إلي ثانية.. ويا سباع أقبلي، هاأنذا أدخل مقام التيه والشرود، كي أنفض أوراقى اليابسة، وأخرج كما خرج بشر الحافي في ليلته حافيا.. فهل لي يا أعبة بينكم من رفيق؟" (ص: 101).

غير أن تعبیر الرواي- البطل عن هذا النزوع إلى اعتزال بني البشر، والانحياز إلى زمرة الوحوش والحيوانات، لم يكن ليعني هروبه من معترك الواقع المسكون بالدفاع والصراع، والبقاء مكتوف اليدين إزاء ما تحيكه قوى الشر من دسائس ومؤامرات، وما تمارسه من تخريب وفساد على كل صعيد، بل إنه ليقف وقفة الشجاع الجريء الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، أمام كل ألوان المكر والأذى، سلاحه البتار في كل ذلك، لسانه الحاذق

ومنطقه السيد الصادق، وهو سلاح أسعفه في كل المعارك الضارية التي خاضها مع المبتطلين، لأن يقل أسلحتهم المنخورة، ويكسر شوكتهم، ويتركهم في ميادين النزال صرعى مضرجين بدمائهم. فالبطل لا يترك أية فرصة تفوته من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، إنه يلاحق الأفاكين المبتطلين في نواديهم وتجمعاتهم، فيبطل مهاراتهم، ويكيل لهم الضربات تلو الضربات، لا يكل في ذلك ولا يمل، بل إنه على العكس من ذلك، يشعر بنشوة غامرة، لأنه قام بواجبه وأدى أمانته في الذود عن حياض الحق، وحراسة القيم السامية الجميلة.

وأسوق إليكم بعضا من تلکم المشاهد المشحونة بروح المجاهدة والمجادلة، والتي كللت بطبيعة الحال بانتصارات باهرة، علا فيها صوت الحق مجلجا في أفاق الكون، وعاد منها الأفاكون بخزي مشين وذل ذليل. ويتعلق الأمر هنا بمنازلة لأحد الطواغيت الذي اعتلى عرش إحدى النقابات، فبعد مرافعة لهذا الأخير تناولت "الحقوق والتعويضات والترقيات والكرامة التي هي فوق كل اعتبار" (ص: 64) يقول الراوي- البطل: "وقبل أن يسبقني أحد، طلبت الكلمة في افتتاح الدور الخطابي الثاني، نظر إلي ببسمة الرضا عن نفسه وكأنه يقول لي: لا تتعب نفسك يا ولدي، فليس في الإمكان أبدع مما كان، سألني وهو يقطب حاجبيه مبالغة في إنكار اسمي:

ال...الاسم؟

أجبت وأنا أضغط على الحروف تغليظا لصوتي:

المحجوب.. مصلحة الضبط.

ثوان فقط، وأبرق الإن.. وقفت للكلام، فطوقت القاعة بمدرعاتي، وانهمر الرشاش قويا في اتجاه واحد ووحيد: هو فخامة المسؤول النقابي.. كان هدفي واحدا والمرمى واضحا، فكان خطابي المفاجأة الجديدة، جمعت كل عباراتي القاسية، بل كل تهوري القديم، ونزواتي النضالية.. وأشعلت اللهب فوق الرؤوس، منطلقا بأقوى سرعة تفجرت في شراييني، كي أحطم الرقم القياسي بفارق مهول مثل الجنون. (...) فتكلمت.. أغرقت السوق بكل المصطلحات المحظورة، والتصريحات المسكوكة (...) فضحت المخبوء تحت الكنايات والمجازات، وأشرت ببدي كاملة إلى المجرم الحقيقي.. قاهر المستضعفين، وأكل حقوق المستخدمين، ومغتصب أرزاق العاملين والعاطلين.. وفضحت المتواطئين مع الحكومة، والساكنتين على الجريمة من المناضلين والزعماء والنقابيين، المتاجرين بقضايا الفقراء والمستضعفين" (ص: 66). وبعد جولات وجولات برزت فيها قوة المحجوب وهزال صاحب النقابة الذي تبين أنه مجرد هيك فارغ، يقول واصفا من شهدوا المعركة من مريدي الزعيم الموهوم: "كانت عيونهم تسبق إلي بالبليغة والتسليم، حتى إذا أيقنت أنني فريت أوداج ذبيحتي، وأنهرت دمه، فمدت أرجلها خادمة بلا حركة، واستياس الناس منها أن تقوم ثانية، أعدت سلاحه إلى غمده بهدوء..." (ص: 67).

ثم يعبر المحجوب في أعقاب جولة أخرى في نفس سياق مبارزة المسؤول النقابي المنهك المهزوم: "دخلت في حوار داخلي لأقنع ضميري: ليس من المكاسب النضالية أن تذلل طاغية؟ إنها البداية لرفع الظلم، ورد الحقوق إلى أهلها. وإنما كان الظلم بسبب وجود الطغيان، والطغيان لا يقوى إلا في شعب ذليل يحصر على العيش وليس على الحياة، إذن فعملي هذا يسير في الاتجاه الصحيح" (ص: 73).

■ ب- قيم كبرى تعرضت للعدوان:

قد لأجانب الصواب إذا قلت بأن الرواية قد استهدفت بشكل أساسي الكشف عما تعرضت له قيم كبرى من تشويه وإبتذال، أو تجاوز ونكران، فعملت على الدفاع المستميت عنها وإعادة الاعتبار لها في المجتمع، لكونها حصنه



أزمة القيم..... (تتمة)

الحصين وقلعته الشامخة التي تدفع عنه غوائل الغزاة المعتدين، ذلك بان التجرد منها يجعله عاري الظهر مستباح الجانب. وهذه بعض القيم التي نالها ما نالها من تازم واذى، مما كشفت عنه رواية كشف المحجوب:

● 1- قيمة الحياء :

تكاد قيمة الحياء تشكل أبرز القيم المستهدفة من قبل دعاة الشر وخصوم الفضيلة، ممن يتحركون تحت لافتات شتى، من قبيل الحداثة والعصرية والتقدم والتطور وما شابه ذلك من أسماء، لأن هؤلاء الأذعياء، يبركون أن الحياء هو الصخرة الصماء التي تتكسر على جنباتها جميع محاولات المسخ والتدجين، فإذا نجحوا في تفتيتها انفتحت للشر بوابة كبرى، بسبب تحطم جهاز المناعة الممتاز في الفرد والمجتمع، وهذا هو مدلول قول الرسول ﷺ : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، ورواية كشف المحجوب، انطلاقاً من إدراكها العميق لهذه الحقيقة، تعرض لمظاهر أزمة قيمة الحياء في مساحات عدة، وعبر سياقات شتى، تتبدى من خلالها الأعراض وهي تنتهك وتمرغ في أجواء موبوءة منتنة، تخبر الغثيان، وتغلي منها دماء الغيرة. إن العفة مهددة بأن تصبح عملة غريبة نادرة في دنيا الناس، والعفة أخت الحياء أو سليلته.

يقول الراوي وهو يصف مشهداً من مشاهد الغواية و السوء: "هذه أغصان الأجساد المنتنة تفوح روائحها الآن، فيختنق المكان.. تتلوى في عنف الحمى، هائجة في جنون الشبق. يسيل العرق الأسود على الصلصال المختمر، فتفور رائحة العلق المسنون، وترفع الحمير رؤوسها بالنهيق، ثم تقضم- في شره مجنون- الفاكهة الحرام من هنا وهناك"(ص: 16).

ويقول في سياق آخر يصف مشهداً ساقته إليه الأقدار بحكم النشاط النقابي: "في قاعة ممتدة موادها وأصوارها الرقراقة بالوان شتى.. كل شيء فيها يميل إلى الإغراء الحالم: الألوان الفاترة الساحرة، الموسيقى الهامسة الأتمة، الستائر الشفافة المتدلية ضفائرها في دلال، اللوحات المظلة من خلف غوايتها تناديك من هنا وهناك.. جلست كالطير الغريب مبهوتا، أنظر إلى الفاكهة العارية في مجون، والشراب الضاحك في استهتار.. قالت لي بعدما أودعتني سجنها الساحر:- أرجو أن تنتظر لحظة.. بعد قليل سيلتحق أضياف السهرة..."(ص: 81). ويقول في سياق آخر عن سيدة النادي:

"...ثم أشعلت سيجارتها الأمريكية، ونفخت في كبرياء.. فوجدتها فرصة أخرى للهروب(أي من ملاحقتها له بالأسئلة الملحة عن موضوع الزواج)، فقلت بحنو متكلف:

- السيجارة يا أستاذة؟ ألا تعلمين؟

ردت في الحال بكلمات جاهزة، كأنها كانت تنتظر التعليق:

- أنا أدخن ، إذن أنا موجودة"(ص: 50)

وما إلى ذلك من المشاهد التي تفوح منها رائحة الصفاقة وسوء الأدب وقلة الحياء بل عدمه، الذي تتحول معه تجمعات القوم ونواديهم إلى ما يشبه حضائر الخنازير. والخطورة كل الخطورة أن تتوسع رقعة الانسلاخ من إحدى أعظم شعب الإيمان: الحياء، فتتحمم الصفاقة الأحياء والمداشر والبيوت، فتتطبع بها النفوس، فتتحل من كل المعايير والأعراف، وتتكرر لكل المقدسات والحرمات. وللأسف الشديد، إن الحرب الضروس على القيم تتذرع لتوسيع لهيبها، بأغنى الوسائل والتقنيات، وهذا يفترض- لعمرى- استخدام نفس الأسلحة، إضافة إلى الامتلاء بمنطق الحق واليقين فيه، وفي معية الله ونصره، لضمان العقابة والغلبة.

● 2- قيمة الوفاء:

واضح ما يشد قيمة الوفاء إلى قيمة الحياء من صلة الرحم والقربى، فإذا رحل الحياء، تبعه الوفاء، وسائر الفضائل

والأخلاق. يتحدث المحجوب عن قيمة الوفاء وما نالها من إجحاف واستهتار، عندما هام على وجهه، يقطع المسافات الطوال، بحثاً عن سيدة البستان التي استأثرت بأول جملة في الرواية، شكلت أحد خيوطها الذهبية وأبرز مفاتيح عالمها العميق الغور الفسيح الأرجاء: "لم أهدئ إليها، عشر سنوات مرت، وأنا أبحت جاهدا.. عشر سنوات كاملات وأنا الهث ولكن دون جدوى.." (ص: 7) لقد أصيب بصعقة مهولة عندما وصل إلى ديار سيدة البستان، المجلة برداء البراءة والحياء، فأجيب عن سؤاله عن أهلها جواباً مخيباً للآمال:

- "لقد رحلوا..."

من جزع:

- ماذا تقول؟

- استغنت القبيلة عن إمامة والدها بعدما شاخ، ولم يعد يسمح بالقراءة جيداً، وشارطوا شباباً من القرية المجاورة، أتم حفظ القرآن والمتون.

واحسست بالموت تقتحمني حوافره بعنف. لا أذكر أنني شعرت برغبة حارة في البكاء مثل تلك اللحظة.. قلت جاهداً قبل أن يذرعني الاختناق:

- وهي؟

أجاب بصوت كأنه طارق من الجن، أو أنه هاتف من الآخرة:

- طبعاً معهم" (...).

- وأين حطوا؟

- لست أدري، و لا أحد من أهل القرية يدري.. قالوا: رحلوا بحثاً عن الرزق.. قيل: في جنوب الجنوب، وقيل: بل هناك في الغرب، وذكر الناس عجباً، قالوا: سكنوا في صحفة، ثم يتابع المحجوب عند هذه اللحظة، وقد بلغ به الغضب والعجب مداً:

"واستدرت إلى الحمار بقوة المسكون، وأخذت بأذنيه الطويلتين ثم صرخت به: أي قبيلة بلهأه هاته التي نصبتك شيخاً عليها يا حمار؟ كيف تقر صرف الفقيه عن الإمامة، وقد أمضى كل عمره ههنا سيداً ومعلماً؟ أي ظلم هذا الذي تمارسون وأي دمار؟ أهكذا في آخر عمره وهرمه تمضون إلقاءه إلى الضياع في المجهول، كما يمضي السكران ورقة الطلاق؟.. وهي؟.. هي يا حمار ماذا جنت حتى تجلوها إجلاء اليهود عن قريتها ومسقط رأسها؟.. ولكم، أي صلاة- بعد ذلك- بقيت لكم في الحسنات، وأي دين؟(ص: 101).

هكذا بأسلوب بديع وعبارات موحية غنية بالمعاني والدلالات، يعبر عن ضياع قيمة الوفاء، في جميع مستوياتها وأبعادها. ومن فرط هول الصدمة يتجه بذائه إلى وحوش البراري: "يا ضباع هلمي إلى ثانية.. هاأنذا أدخل مقام التيه والشرود..."(ص: 101).

غير أن الوفاء إذا كان من ضحايا العصر على مستوى القيم لم يكن لينضب له معين، ما دام في المجتمع نماذج على شاكلة المحجوب ترعى الجميل وتتحدى بحلية الوفاء، يقول المحجوب بعد أن ووجه بذلك الواقع القاسي الأليم:

إن كل خطو يضرب نحو منازل الأحبة خطبه قريب. (ص: 102-101). وذلك بعد رحلة شاقة بحثاً عنهم وتعبيراً عن الوفاء لهم...

وهذا مشهد آخر من مشاهد العرفان والوفاء، طالما استوحشت من فقدائه بقع شاسعة من مجتمعاتنا التي قلدها الله بوسام القيم، فلم ترع أمانته حق رعايته. يقول المحجوب، وقد احتضنته القرية التي كان بها الفقيه الإمام: "كان الغبار بباحة القرية يشكل ملحمة عنيفة في الفضاء، إذ شق المؤذن المساء بصوته الرفيع، من غير استعانة بمكبر.. صوت، وذكرني ذلك بالفقيه الإمام. لست أدري لم تذكرته الآن بشيء من الحنين؟ وقررت أن أراه في زيارة خاصة إكراماً له، فمهما يكن من أمر فهو الذي علمني الأحرف الأولى للقراءة التي كان منها كل شأني..."(ص: 54).

● 3- قيمة الرجولة:

الرجولة نفسها كقيمة عليا يمجدها

الإسلام ويعلي شأنها، باعتبارها من مقومات المجتمع السوي السليم، والحضارة الراشدة، تنعيتها الرواية وترثي لحالها، فالمواقف التي تعرض لها بخصوص هذا الجانب، تظهر الرجال في وضع كسيف يثير الإشفاق بله الاشتمزاز. إن المرأة تبسط قبضتها وتفرض سلطانها على الرجال بكل عنجهية وكبرياء، حتى في المؤسسات التي تكون فيها مرؤوسة على صعيد السلم الإداري. يقول المحجوب في سياق حوار مع صديقه علي تناول سكرتيرة المدير بنادي الموظفين: "كل التصرفات تؤكد لي أنها هي.. هي بلا نزاع: مرؤوسة شكلاً في الإدارة، رئيسة فعلاً في النادي،

- وكيف يركع لها الرئيس بهذا الذل أمام الجميع، ويوسع لها مكان الصدارة؟

- ألم أقل لك إنها سيدة النادي، فالجميع يعلم هذا.. ذلك شرط الرضا إن كنت من العالمين."(ص: 16).

والرواية تزخر بمواقف ومشاهد عديدة، تكشف عن هذه الظاهرة المرضية التي تتمثل في انقلاب الموازين، في العلاقة بين الرجال والنساء، ومن ثم في الوظائف والمهام المنوطة بأولئك وأولئك. يعبر المحجوب- وهو يصارع في التصدي للمبطلين لإبراز ما يعتقد حقا ونسف ما يتبجحون به من أباطيل، كل ذلك ضمن هالة من الاعتزاز، وبأساليب تلجأ أحيانا إلى التبكيت والسخرية اللاذعة التي تؤدي وظلفتها في الإقناع والإفهام.

في حوار مع أحد الزعماء النقابيين، ينتمي في نفس الوقت لـ"جمعية نسوية ذات عجيح وأزبن" ويرفع لواء الدفاع عن المرأة وحقوقها بالمفهوم الحدائي، قال المحجوب: "المرأة عندي لا تصلح لمهمة رجولية" (ص: 72).

(...) - "هاه لا تصلح لمهمة رجولية؟ وما هي المهام الرجولية في نظرك؟"

- "كل شيء فيه ريادة أو قيادة، أو نضال أو قتال وقس".

- "أنت تعترف بهذا كله إذن؟"

يضيف المحجوب قائلاً: "قلت وأنا أتابعه في نصب شركه الوهمي:

- "نعم وزيادة، هذا رأيي أقوله في كل مكان.

- "ولأي شيء تصلح المرأة إذن؟"

- (...) "نظرت إليه باحتقار وهو رازح أمامها مثل حارس الخمارة، فأرسلت صاعقتي:"

- "نعم يمكنها أن تصنع أشياء كثيرة، أنت تعرفها جيداً: مثلاً يمكن أن تكون راقصة، أو موديلاً جسدياً للتصوير الفتغرافي، أو مادة سينمائية مشهية، أو لقطة إشهارية حية لشيء ميت، أو بضاعة معروضة في علبة ليل، أو مصرفاً اقتصادياً لتسويق أدوات التقين، أو خطوات متكسرة لعرض آخر موضوعة الأزياء، أو فناً إغرائياً يتبارى لتحطيم أرقام قياسية، في مسابقات ملكات الجمال، أو مصرفاً للزائد الشهواني رهن إشارة المرتزقة، تسلية لهم عن المصير المتوقع، أو مخدراً سياسياً لمعالجة المشاكل المستعصية على المخابرات، أو غواية صارخة في الشارع لمحاربة التطرف الديني، أو ديكوراً لتزيين المكان، وترطيب أجواء العمل.. أعني: سكرتيرة.. أو.." (ص: 72-74 بتصرف).

● 4- قيمة المواطنة:

قيمة المواطنة من القيم التي طالما تغنى بها السياسيون والمثقفون، ورفعوا شعارها، وحرصوا أشد الحرص على إظهار استشعار القداسة والتبجيل إزاءها. ولم يفت الدكتور فريد الأنصاري أن يكشف سرها للعيان، ويدل على زيف من رفعو شعارها على سبيل المتاجرة والتفااق والتدجيل، بادلة ساطعة، لا تخفى على أحد. لقد أبرز المحجوب في كشفه الصارم، أن هؤلاء الذين تعرضهم وسائل الإعلام المتنفضة على أنهم حملة لواء الثقافة والفكر، وطليعة النضال من أجل الوطن، كلهم سقطوا في مستنقع الخيانة والولاء لإسرائيل. لنستمع إلى شهادة من سقطت صريجة في أحبولة المافيا الرهيبة التي يتولى كبرها

اليهودي الذي يتقن فن المكر والاحتتيال: "إنهم الآن كما ترى يتهافون ويتسابقون نحو(تل أبيب) يعبرون عن حسن نيتهم، ومسالمتهم وولائهم، كل بطريقة الخاصة: كاهن المسرح، ودجال الرواية، وسادن الشعر، ومخرج أفلام الدعارة، ثم مرتزقة الصحافة والتلفزيون، هاهم كما تعرفهم واحداً واحداً.. يسقطون كما تسقط الطينة اليابسة في بركة النجاسة فتذوب نراتها هنالك إلى الأبد"(ص: 119).

ثالثاً: معاول هدم القيم أو تأزيمها:

معاول هدم القيم وتآزيمها متعددة، وهي على تفاوتها في درجة الخطورة، تتساند فيما بينها، وأبرزها وأشدّها مكرًا ودهاء:

● 1- حركات اليهود التي تتسلل إلى كل المنافذ وتغشى كل محفل، وتزني بكل الأزياء الجذابة والأسماء الخلابة، بل إنها لتركب حتى متن العناوين ذات الحمولة الأصلية، كما هو الأمر بالنسبة لاتخاذ عنوان: البر والإحسان، اسماً لإحدى الجمعيات المشبوهة، بل الضالعة في الإفساد.

● 2- الحركات اليسارية:

لقد أبرز المحجوب في كشفه عبر مواقع عدة، دور اليسار الذي تلغى باقنعة، وتسربل بسرابيل وتلون بالوان، ولكنها كلها بطلت وتمزقت، فبانت عوراتها وعوارها، وتأكد أن جل فصائلها على الأقل قد دخلت جحر ضب الحركات الماسونية الصهيونية، وقد سبقت الإشارة إلى بعض الحقائق المتصلة بهذا مما أورده الرواية.

● 3- حركة الفرانكفونية:

أصبح من الواضح الجلي لكل ذي عينين، مدى ما الحقته الفرانكفونية من خسائر فادحة بالمجتمعات الإسلامية على مستوى الهوية وما يرتبط بها من قيم. فمن المعلوم، أن من أهم العناصر التي تتشكل فيها تلك القيم، المنظومة التعليمية، التي من أبرز مقوماتها اللغة.

تقول (1) سيدة النقابة، إحدى شخصيات الرواية الأساسية مخاطبة المحجوب في أحد سياقاتها: "أتم لا تنس، زوجي أستاذ للغة الفرنسية رفيع المستوى كما ذكرت لك - والفرنسية يا صديقي العزيز طريقة حياة، قبل أن تكون لغة، وهو كاتب ليس بالمغمور، ربما يسوق له الحظ غدا جائزة الجونكور، إذن فهو ينظر للقيم ويصنعها، وليس في حاجة إلى أن تعلمه بعض دروسها البالية"(ص: 97).

رابعاً: تبشير المحجوب بانتصار القيم

الرفيعة:

إن قارئ رواية كشف المحجوب بشعور رسالي وحاسة مرهفة، وتجاوب عميق، لا بد أن يعتصره الألم، ويلفه الحزن والأسى، على مجتمع تناوشته سهام الشياطين من السفلة أبناء الحرام، فهو ينزف باستمرار، ولكن الرواية التي ترفل في ثوب قشيب من التعبير الجميل والأدب الرفيع، توحى في مختلف سياقاتها وفصولها بجمجمة انتصار الخير على الشر، والفضيلة على الرذيلة، وتلقي في روع من يحملون هم الأديب الكبير فريد الأنصاري رحمه الله، أن ظلام الطغيان والفجور منقش لا محالة، وأن كتيبة القيم الرفيعة لا بد منتصرة وظاهرة.

يوحى بذلك ثبات المحجوب على المبدأ، الذي لا تزحزحه الجبال، وانغماره في المعمعة مؤقتاً بالنصر، مهما ادلهمت الخطوب، وكبر المكر، وتضافرت أيدي الشياطين والأفاكين والمنافقين.

واترك المقاطع الأخرى الدالة على يقين المحجوب في انبلاج الفجر للقارئ ليقلق عليها بنفسه ويلمس فيها كبرياء الحق، ولذة اليقين. رحم الله فقيد الدعوة والفكر والأدب، فقد كان مجاهداً على أكثر من جبهة، وكان شاهداً على عصره ومجتمعه، وأدخله الفردوس الأعلى آمين

1 - الفقرة التي تمتد من هذه الكلمة إلى نهاية الدراسة كتبت بعد وفاة الأديب فريد الأنصاري رحمه الله، وما قبلها كتب قبلها بسنوات.



جمالية المعمار الفني في ديوان "عاشقة"

مقدمة للمرحوم الدكتور فريد الأنصاري



ذ. أمينة المريني

يهمني أن أضع بين يدي قرائي الأعزاء مقدمة كتبها الأستاذ الجليل الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله وأسكنه فسيح جناته واعتبر المقدمة تنظيرا أدبيا لا يخفى ما فيه من ثقافة صاحبه العميقة ورؤاه الفكرية الغنية وتصويراته الشعرية الدقيقة في حجاج أدبي رصين بين المقاصد وفي الحجج. هذه المقدمة كتبها المرحوم سنة 1419هـ لديواني "عاشقة" الذي فزت عنه -حينها- بجائزة رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض. إلا أن الرابطة اعتذرت عن نشر المقدمة... ثم ناقشتني في العنوان... ثم انقطعت أخبار الديوان ثماني سنوات، إلى أن فوجئت بالرابطة السنة الماضية تطلب مني زيادة بعض النصوص، فاقترحت عليها إلغاء الإصدار.

وهكذا أقبر ديوان "عاشقة" بمقدمته الرائعة، فنقلتُ بعض نصوص مضافة إلى نصوص ديوان جديد تحت عنوان (... ومنها تتفجر الأنهار) كنت فزت عنه بجائزة وطنية وقد تولت وزارة الأوقاف الكويتية -مشكورة- إصداره خلال السنة الجارية. وتعميما للفائدة ارتأيت أن اتحف قرائي بنص مقدمة المرحوم الدكتور فريد الأنصاري حيث يبدو هذا الأديب العملاق مفكرا عظيما ومنظرا ثاقب النظر أثابه الله خير الثواب لما أسداه من آيات بيضاء إلى لغة القرآن.

التدفق اللغوي هو أول ظاهرة تلفت نظر الداخل إلى معمار الشاعرة أمينة المريني، سواء في ديوانها السابق (ورد من زناتة)، أو في هذا الديوان الجديد الذي تقدم له اليوم : (عاشقة). فضاءات هندسية تقوم على تشكيل فني راق، يخطف أنواقك وأنت تتجول بين مداراتها القزحية، الفياضة بالوان شتى!

أمينة المريني تجربة متميزة تثبت ما كنا نؤمن به ولم نزل، من أن اللغة هي أساس الإبداع! بل اللغة هي الإبداع! أي فن يمكن للفنان التشكيلي أن يبدعه خارج نطاق الألوان؟ أليست الصبغة هي التدفق الوحيد لشعوره وإبداعه؟ فمن ذا قدير على تصور الفن خارج صفتيها؟ اللغة يا سادتي هي عين الجمال المتدفقة بالسحر والدلال، بانسيابها ينساب الإبداع رائقا رقرقا، وبضمورها يضل ويموت!

أما الإبداع الشعري فهو في العمق ضرب من ضروب (الإشراق) الذي تفيض أنواره من الوجدان الكامن في قلب الشاعر، فإذا كان هذا يمتلك من اللغة جدولها، ومن الكلمات بلورها؛ كان الإشراق أبهى وأصفى، وإلا فإنه يضيع في متاهات الضباب!

الشعر يا سادتي اشتعال وجداني، واللغة هي مشكاته المقدسة، وكوكبه الدري الذي يفيض على العالم بالتجليات! أن تنتج القصيدة يعني أنك تسافر في فضاء الكلمات إلى عوالم الملكوت؛ لتنتظر إلى العالم والأشياء من خلال لغة خاصة، ومدار خاص!

فكم سنة ضوئية يجب أن يقطعها الشاعر في سفره ليشرّب من المنابع الأولى لفجر اللغة؟

إن من أسوأ الأزمات التي تعاني منها القصيدة المعاصرة اليوم أزمة اللغة؛ وهي نكسة يعاني منها الأدب العربي المعاصر في كثير من تجلياته، بسبب ما جرته الحداثة من ويلات وتدمير للمقاييس والأنواق، فكان أن نتج عنها فريقان من الناس : (حداثيون) واعون بمشروع الحداثة الأيديولوجي، عاملون بقوة على إرساء معالمها في الوطن العربي، من خلال تدمير اللغة عن وعي بها وامتلاك لناصيتها، لكن هؤلاء هم القليل! أما الكثير فهم الفريق الثاني، وهم (الحداثيون) - قياسا على أوزانهم! - هؤلاء دخلوا الحداثة من باب العجز اللغوي، والجهل بأبسط مقاييسها! فرصة نادرة للاحتساب مع المتأدين والشعراء... ولم لا؟

فكان أن نبت جيل يكتب بلغة مسمارية صدئة، يملؤها الغي ويحصرها العي، ترى أحدهم في المهرجانات والمنديبات ينتعت (باشيائه) وهو لا يكاد يبين، ضيق النفس، حرج الصدر، كأنما تخطفه الطير، أو تهوي به الريح في مكان سحيق!

والنتيجة إذن هي هذه الدواوين والروايات البائرة في قمامات الأسواق! ثم يهتمون بعد ذلك الذوق الشعبي، والقارئ العربي! ولست أدري متى يخرج جحا من الحمام ليدرك أن صوته ليس بأفضل من نعيق الغراب؟

ويلفتك من إبداع الشاعرة امتلاكها المتين لناصرية القصيد العمودي، امتلاكها يندر مثله في زمن الأهواء والغوغاء!

قال العجزة الكذبة : إن القصيدة العمودية قد استنفدت أغراضها! ها...! وركبت هذه اللعبة السخيفة بعض الملاحق الثقافية ببلادنا؛ فلا تنشر من الشعر إلا ما كان كافرا بمعمار الخليل... عجب! فمن منهم قالها في الشاعر الراحل محمد مهدي الجواهري؟ ألم يجمع الكذبة إجماعا على أنه متبني العصر... وأن بموته مات آخر الشعراء العرب... ومن منهم يقولها الآن في الشاعر اليمني القدير عبد الله البردوني...؟ وخذوها أيها السادة عني شهادة قبل أوانها، أتحمل كامل أمانتها: إنه سيموت، وإنهم سيقولونها : اليوم مات سيد الشعراء! اليوم خرس صناعة العرب!

ألم يعد العمود الشعري تقليدا (ماضويا)؟ إذن فما بال هؤلاء؟ أم أن المضمون الأيديولوجي هو الذي يحدد جودة الإبداع...؟ فما هذه الزنابير التي ملأت أسماعنا بنذب الأيديولوجيا، وما هي لم نزل في أحوالها المسنونة غارقة؟

اليوم ينشط في المغرب الزجل إنتاجا واهتماما -وإني من المحبين لرفيعه المغرمين بسماحه- وله في الملاحق الثقافية وغيرها مساحة محترمة. ولكن ما بال هؤلاء (الحداثيون) يبجلونه، ويجلونه؟ مع أنه شعر واضح العبارات، شعبي الكلمات، شفاف المعاني والأوزان! أم أن لعنة (التغميض)، و(الفوضى العابثة) قدر خاص بفضيح الشعر دون عاميه؟

يا سادتنا علمونا دلالات الكلمات فقد ضلت عنا... أم أن منطق الأشياء أصابه شيء؟ إن إنتاج القصيدة العمودية ليس (معرفة) بالعروض، أو إتقاننا لزخارفاته وعلله، ولا امتلاكنا (صناعيا) للثقافية وأوزانها، وإنما هو امتلاك وجداني لإيقاعها أولا وأخيرا! وإلا فما بال القرون الأولى من الشعراء الجاهليين والإسلاميين قبل الخليل؟

ولقد قرأت عن شاعر النهضة محمود سامي البارودي أنه كان جاهلا بتفاصيل علمي العروض والقافية، مع أنه كان من أعظم فرسان الشعر العمودي في زمانه، وأرسخهم قدما في ميدانه! والأمر في غاية البساطة وهو راجع إلى قدرة الأذن على التقاط الأنغام، واستيعاب أمواجها، وهو أمر مجرب عندنا ممارس في الشعر العمودي والتفعيلي سواء! وذلك جوهر من

جواهر الإبداع، وشرط صحة -كما يقول الفقهاء- في شاعرية الشاعر!

ومن ذا قدير على إنتاج قصيدة خارج نظرية الإيقاع قديمها، أو حديثها؟ بل إنني أزعم أن الشعر هو الإيقاع نفسه! فتأمل... ألا ترى أن الشاعر إنما يفيض وجدانه في (حال الجذب)، أو (مقام الحرية)، فلا هو يملك ذاته حينئذ إلا بعد أن يجدها قد استسلمت طوعا، أو كرها، لشعورها الراقص المتدفق بعاطفة ما؟ غضبا، أو عشقا، أو ولها، أو قلقا، أو حزنا، أو طربا... إلخ. هذا الجنون الراقص معنى (هيولي) لا يتخذ (صورته) إلا إذا صيغ في جسد راقص مجذوب! فإن تكسر على تخوم اللغة، اختنق الشعر في جوف الشاعر، ولم نظفر منه إلا بهذه الكلمات الصدئة المتكلسة التي تملأ كراسات (الحداثيين)!

هنا يندلق إشكال قصيدة النثر! فبغض النظر عن إديولوجية (الحداثيين) المبنية على تدمير كل ما هو أصيل في الأمة العربية، وانتهازية (الحداثيين) المبنية على الجهل بمقومات الإيقاع العربي، والعجز عن امتلاك أذن موسيقية شاعرة؛ فإني أقول إن قصيدة النثر هي من أرقى ما يمكن أن يصل إليه الشاعر العربي من مراتب الإبداع، وصور الجمال!

لست متناقضا! إن الأنماط الشعرية العمودية والتفعيلية -ولا أقول (القبائل)- ليست أنماطا توقيفية منزلة من السماء! ومن الجهل والتحجر المضادين لتدفق الحياة؛ اعتبارها هي نهاية التاريخ في مجال الإبداع الشعري! وإنما التحدي الذي يواجه اليوم قصيدة النثر -كما قلت في أكثر من مناسبة- هو الإيقاع!

إن خصوصية القصيدة المنثورة تتجلى في انبثائها على ما يمكن تسميته (بالإيقاع الذهني)، وليس هو بالضرورة ما يسمى (بالإيقاع الداخلي) أي ما يعرف من أشكال الجمالية الأسلوبية القديمة، كتكرار حروف بعينها، أو أصوات بعينها، في بنية التعبير الداخلية للإبداع، أو ما يعرف (بالقافية الداخلية)، أو المحسنات البلاغية العتيقة من جناس وطباق.. وهلم جرا! كلا، وإنما المقصود ههنا شيء آخر، هو أدق وأعلى من كل ذلك، إنه الموسيقى المنبجسة من الصور والدلالات، والأنغام المترددة عبر الإشارات والفضاءات! إنها (غنائية) نفسية، ليس بالمعنى الأدبي التصنيفي للكلمة، ولكن بالمعنى الإيقاعي الخاص! ذلك المعنى المشار إليه في قول النبي ﷺ -مما رواه ابن ماجه- : «وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا» وقد سمع مرة أبا موسى الأشعري يتغن به ليلا، فلما أصبح قال له : «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود» فقال أبو

موسى : «أما أني لو علمت مكانك لحبرت لك القرآن تحبيراً!» أي لجودت الأداء الغنائي تجويدا! ولو ينتبه الغافلون : أليس ذلك من أعظم التحديات القرآنية، ومن أبرز أوجهه الإعجازية الجمالية؟ ألم تتساءل مرة كيف يكون هذا النص القرآني، قابلا للتغني المتدفق الرهيب، حتى يكون بذلك قادرا على خطف الألباب، وسحر الأنواق إلى درجة السكر، (والمحو)، كما يعبر الصوفية الأوائل؟ أين يكمن هذا الشجاعة المتدفق عبر كلماته مرتلة وغير مرتلة، حتى يبكي غير الناطقين بلغة الضاد، ولا المحيطين بالفاظها ودلالاتها؟ وهو -مع ذلك- لم ينضبط إلى وزن معلوم، ولا قافية محددة، ولا إلى شكل عروضي، ولا إلى أي نمط نغمي معروف لحد الساعة... وكل المحاولات لإرجاعه إلى وزن عروضي إنما هو من قبيل العبث الذي لا يطرد ولا يستقيم! ولقد رأيت أحد الشعراء المعاصرين، وقد سحره الإيقاع المتدفق في (سورة مريم)، فثمل بانغامها حتى كاد يجن، وقد كان يفغر فاه منخطفًا -وهو ينصت- إلى جمال المدود و مواقعها الصوتية الرهيبة، وانفجار شلال الحركات المتواترة حينًا، والمتناثية أحيانا أخرى! فراح يبحث جاهدا عن أي خيط يمكن أن يقبض به على سر السحر الموسيقي في التعبير القرآني! ولكن دون جدوى.. لم يزل لحد الساعة يركض عبثا!

هنا يكمن سر التحدي الذي تواجهه قصيدة النثر!

إنني لا أطلب من أصحابها شيئا غير إقناعنا إيقاعيا، وإشباع أنواقنا الجمالية، بما تبذره من جديد على هذا المستوى! وإلا فكل شيء مما تزعمه لنفسها هذه القصيدة/الوهم -لحد الساعة- موجود عندنا في شعرنا العربي عموديه وتفعيليه! ثم إنه من السخف الأيديولوجي، والتقليد الأعمى القول بـ(نسخ) مرحلي بين أنماط الإبداع الشعري! فحتى لو استقامت البنية الإيقاعية لقصيدة النثر -ودونه خسر القتل- فإنه من الممكن؛ بل من الواجب تعايش الأنماط جميعها، ولو عملت الأمة العربية بمنطق القطيعة لما كان منا من يقرأ شعر امرئ القيس اليوم، ولا النابغة الذبياني أو الحارث بن ظالم! ولا الذين جاؤوا بعدهم من الإسلاميين والعباسيين! ولما كان أحد اليوم يفيد من تجاربهم، وذلك هو المبتغى الأيديولوجي للحداثة والحداثيين! بل كانت اللغة العربية اليوم لغات! وكفى بذلك هزيمة للأمة العربية وقوميتها اللغوية، وإني أحمد الله أني أجد لي امتدادا في الزمان والمكان أفقيا وعموديا، أقرأ شعر ديك الجن، وقطري بن الفجاءة، وعروة بن أذينة، ومن قبلهم ومن بعدهم حتى الأمير أحمد شوقي، ثم بدر شاكر السياب، وصالح عبد الصبور، ونزار قباني، ثم أحمد المجاطي وعبد الكريم الطبال، حتى أمينة المريني؛ فأجد النهر واحدا إلا أنه لا يمكن أن تسبح فيه مرتين!

فعن أي إبداع يتحدث هؤلاء الجهلة؟ وبفضل ذلك التواصل الأفقي والعمودي، أتنقل اليوم بين الفضائيات التلفزيونية العربية، واحدة واحدة، فلا أجد صعوبة في فهم خطاباتها العامية المختلفة، إذ لا خلاف بينهم جميعا إلا في الأداء الصوتي حينًا، والاستعمال الترادي حينًا آخر، فلا يحتاج المستمع المغربي لإدراك الأداء اليمني للغة العربية، أو السوداني، أو الخليجي إلا لساعات قلائل؛ وينخرط في الفهم، وإن لم ينخرط في الاستعمال! ثم يزعم بعد ذلك بعض اللسانين المحدثين أنها لغات وليست لغة



جمالية المعمار.... (تتمة)

واحدة! فبالله عليكم أي لغة هذه في العالم يكفي لفهمها والتواصل معها - أفرادا وتركيبا- ساعات معدودات، وفي بعض الأحيان لحظات؟ ولو اتبعنا مثل هذا المنطق المعرض المهزوز؛ لقلنا إن اللهجات العربية المغربية، من فاسية، وجبلية، وفيلاية، ورباطية، ودكالية هي لغات مختلفات! ألا أتعس بها من سخافة، تجترها النفسية المهزومة، أمام المد (العولمي) الغربي، على حساب الذات العربية، وقوميتها اللغوية!

(موضة) سخيصة أساسها السيرة الذاتية للفكر الغربي -واقرا فلسفتهم إن شئت!- فتلك أمة يلعن آخرها أولها إلى يوم القيامة!

أما أنا فهنا أصنف الدعوة الأيديولوجية لقصيدة النثر، وفي هذا السياق يصطف عندي (الحدائثيون) والحدائثيون على السواء!

وليس معنى ذلك كله أنني أكفر بها مطلقا، فقد سبق رأيي أنه ينبغي لها -بعد تجريبها من بعدها الأيديولوجي- أن تجيب على التحدي الإيقاعي الذي هو من أهم أركان الإبداع الشعري، الذي لا يقوم في الواقع بدونه! وتجريبها من بعدها الأيديولوجي معناه تجريبها من هدفها (الاستئصالي) الرامي إلى نسخ الأنماط الشعرية السابقة، وإحداث قطيعة شاملة مع الذات، ولو صدقت النيات لدى أصحابها لكان القول بالتساكن والتعايش والتواصل -لا كما هو لدى الجبناء المهولين إلى (سلام الشجعان)- هو الأليق بالفن عموما، والإبداع الشعري بشكل خاص!

إن ميزة الشعر العمودي بالنسبة لمن هم يحسنونه -وشاعرنا منهم- أنه من الناحية الإيقاعية يقوم على النغم الخارجي، وهذا يستدعي لدى الفحول كل أشكال الإيقاعات الأخرى داخلية وذهنية، وما كل ما يحبل به الأداء اللغوي من أنغام؛ ذلك أن التلقائية في الإبداع والرسوخ فيه يرتقي إلى مقام أعلى من مجرد (كلام موزون مقفى)؛ إنه يجذب إلى فضاء نفسي راقص تساعد في ذلك أدواته العروضية، لكن بصورة لا شعورية حتى يجد المبدع نفسه يغني صورا ذات إشارات إيقاعية ليست في الحقيقة وليدة العروض والقافية، وإن كانت قد توسلت بهما إليها؛ وهذا معنى قلبي : إن الإيقاع الخارجي يستدعي الإيقاع الذهني ويؤدي إليه، بمعنى أن الإيقاع يلد الإيقاع؛ وتمتاز القصيدة التفعيلية وهي سليله الأولى بإمكانيات أكثر لإنتاج الإيقاع الذهني؛ نظرا لتعدد إمكاناتها الصوتية من الناحية الخارجية، ولما لها من قدرة على التشكل والتموج حسب الدفقات الشعرية لدى المبدع والمتلقي على السواء، وذلك أقدر على استدعاء الإيقاع الذهني الكامن في النفس لديهما معا! فهل لقصيدة النثر أن تستجيب لمثل هذا؟ إن ذلك لهو عين التحدي! ولو حصل؛ إذن لكان فتحا في تاريخ الأدب العربي، ولا يكفر به حينئذ إلا جاهل أو متحجر!

التواصل هو الشعار الذي يرفعه اليوم الإبداع الأصيل. والتواصل : معناه التجديد. وهذه كلمة كافية للدلالة على أنه استمرار للقديم، لكن في ثوب آخر مناسب للزمان وفضاءاته المتطورة، ورحم الله أمين الخولي إذ قال : «أول التجديد قتل الماضي بحثا!» أما القطيعة، فليست بتجديد أبدا، وإنما هي انسلاخ عن الذات، وتكر للهوية الحضارية، وارتقاء حتمي في مستنقع التبعية المهزومة، وذلك هو حال الأدب المجاور!

التواصل الجمالي إذن هو وظيفة النص الإبداعي -نحن حضارة نص!- وتلك معركة تخوضها اليوم الأقلام المتحررة، والكلمات المتوضئة، والمواجيد المجنحة..

في هذا الركب الساري... من بين قوافل المحبين؛ يومض باللبل الساجي ديوان (عاشقة)... قنديل أخضر من قناديل المحبة... تجربة قوية متوثبة، أرى أنها الآن ترسم -إلى جانب مجموعة من الطاقات الإبداعية- معالم مستقبل شعري متميز لمرحلة جديدة، وريادة أخرى لجيل جديد من شعراء هذا الوطن.

ديوان (عاشقة)، بالإضافة إلى ما ذكرناه مما يزرع به من ميراث فنية، يتدفق تجاهنا شلاله الثجاج، وهو يحمل عبقا من جداول شتى، تأخذ من أعشاب البر الشاردة هنا وهناك، ما يدل على غنى الإبداع الجمالي، وعمقه الوجداني لدى صاحبتها؛ أصالة (كلاسيكية) تنقلك إلى العصر العباسي، والفضاء الأندلسي، أو بالأحرى تنقلهما إليك حتى لتكاد تلامس تلك الحياة، وتسمع ضوضاءها، وتعاين ركضها، من خلال النفس المتجدد في وجدان الشاعرة، الحامل لكثير من المقومات الفنية لشعر تلك العصور الأدبية المتميزة، كما هو الشأن في قصيدة (عاشقة) التي نالت علمية الديوان برمتها! وقصيدة (يافع)، و(حديث المؤودة)، وأضرابها من العموديات، التي تركب بحورا مختلفة، من بسيط، وكامل، ووافر، ورمل، ومتقارب، وخبيب... إلخ. وإن كان (البسيط) هو سفينها المفضل، وحصانها الأغر، ولعل تنوع إيقاعه، وإمكاناته الغنائية ذات الأنغام المتعددة -وهذا معلوم لدى المنشدين للشعر العمودي- هو الذي يغري الشاعرة بتفجير طاقتها الإبداعية من خلاله! تقول في قصيدة (دعاء) مثلا :

واستنسر الطير بعتنا وما انتفضت
للنسر قادمة من يغى مضطهد
أدمته من أسهم العدوان وابلة
موتورة بلهيب الحقد والحر
وأصبحت أرضه سوقا وأعبدة
نساقي فيها بشرع النار والرزد
إن الشاعرة مغرمة بالشعر العربي الكلاسيكي إلى درجة التوحد والذوبان، والدليل على هذا أن ذلك الشعر (رجولي) الوجدان، لما يحمله من فخر وفروسية وغزل؛ وإنك لتحس أن الشاعرة وجدت فيه عزاء نفسيا عن الواقع العربي المتردي اليوم، وتعويضا عن الرجولة العربية المفتقدة، ومن هنا سكنتها القصيدة الكلاسيكية بما تحمله من فروسية ورجولة، ولولا أن توقيع الديوان باسمها (أمينة) لما علمت أنه صادر عن أنثى!!

تقول في قصيدة (المارد) :

يا مارد الفانوس هب لي ثانية
أفضي إليك بقصتي وشجونيه
أنا شاعر صاغ الإله فؤاده

ومن التوقيعات الكلاسيكية الرائدة في هذا الديوان التوقيع الصوفي، بما يحمله من لغة إشارية، وصور وجودية، وخمريات رمزية.. إلى غير ذلك مما عرف في الشعر الصوفي لدى رابعة العدوية، وابن الفارض، وأضرابهما. وهذا النمط هو عمدة الديوان الذي تسمى بإحدى نماذجها، أي (عاشقة)، وفي ذلك تصنف قصائد أخرى نحو (عبودية)، و(كأس)، و(إبصار)، و(كمال)، و(حوراء)، و(يافع)، و(وقار)، و(سبحة شاعرة)... إلخ. كل ذلك بلغة إشراقية قياضة، تتهدج بين مقامات الفناء والبقاء. تقول مثلا في قصيدة (عاشقة) التي هي أم الديوان :

في حضرة العشق يسمو الروح منجذبا
بفيض نور تحدى القيد والطينا

يعلو ويفنى بذات الخير متحدا
كالعطر لابس ريحانا ونسرينا
إني أنا الشوق، أوصالي وإن فُتيت
أبقى بكاساته خمر المحبين
حتى إنه يمكن تصنيف الديوان على الإجمال بأنه من الشعر الصوفي الحديث، وإن كانت فيه منازع أخرى لا تبعد من حيث (الرؤية) عن هذا التصنيف، ولا تخزله؛ حتى إن (الإهداء) المصدر للديوان كان ابتداء كما يلي : «إلى ناشئة الليل التي هي (أشد وطءا وأقوم قبلا).. ثم ثني بعد ذلك بعبارة ذات بعد ذاتي وحضاري في الوقت نفسه : إلى الفارس الذي لم يزل يزرع الليل ضياء أملا في حصاد خالد، رفيق دربي..».

كما أن التراث الرومانسي في صورته (المهجرية) و(الشابوية) حاضر في الديوان، لكن من خلال أدواته الفنية المجردة دون رؤيته الكئيبة الهروبية. وذلك نحو قصيدة (اشتعال) التي اشتغلت فيها الشاعرة بالرموز الطبيعية الجميلة بفنية نغمية تحيلنا على جبران وإليسا أبي ماضي وأبي القاسم الشابي. تقول :

تقول الخميصة للساقية
إلام سيسهر هذا الفتى
ويروي حكاياه للنجمة الساجية؛
وكم ذا يورق عين الوجود
ويضني حماننا الباكية
ويسكب عشقه في سجعها
ويترع من دنه الدالية؛

وتمضي القصيدة بعد ذلك متفتحة عبر جداول من أنوار رومانسية هامسة وصاخبة!

بل إنك واجد في هذا الديوان نزعة (وجودية) لكن ليس بمعناها الفرنسي العبثي المتجلى عند (سارتر) و(كاميس)، ولكن بما يقارب معناها الإنجليزي المتجلى عند (راسل)، تلك النزعة التي عرفت عنده باسم (الوجودية المؤمنة)؛ وذلك يقارب ما يعرف في الفكر الصوفي الإسلامي (بمقام الحيرة)؛ ومن القصائد الممثلة لهذا الاتجاه عند شاعرنا (أنشودة الحياة والموت)، و(هذان نحن : أنا وأنت) : القصيدة التأملية في وفاة أبيها -رحمه الله- وهي ليست من الرثائيات التقليدية، وإنما هي في الحقيقة تأملات فلسفية في معنى الحياة والموت، مستغلة بشكل طريف جدا تشابه الملامح بينها وبين والدها المرحوم؛ ولذلك كانت عندي من أروع قصائد الديوان! تقول :

هذان نحن : أنا وأنت
نطوى.. نساقر في الغروب
بين الشمس والراحات
العائدات القانصات
بهاءها وشبابها من وجنتيك
ولن نعود مع الشروق ولا الغروب!
وأنا هنا، وهناك نحن : أنا وأنت!

وإنك بعد ذلك واجد في هذه التجربة الثرة شعرا سياسيا واقعيا يزيل عنك تخمة الشرود الفلسفي، وتعب السير بين منازل العشق الصوفي، ويندرج ضمنها : (القط المثنى في منصة الكونغريس) و(غزل على طريقة رعاة البقر) و(إصحاحات «نن» ياهو) -أعزكم الله!- و(اضطهاد) ثم قصيدة (شجب) الساخرة من الوضع العربي بعد ضرب أمريكا للسودان وأفغانستان يوم 11/09/2008م، وكذا أخريات غيرها. وأغلب ما كتب من هذا النمط هو شعر تفعيلي.

ولكن يبقى النفس الصوفي المتمثل في (الحب الإلهي) هو محور الديوان ومفتاح شخصيته، وكل الظواهر والأنماط الفنية والموضوعية تصدر منه وتعود إليه.

والشاعرة بعد ذلك حاضرة البديهة، غزيرة الإنتاج، لها قدرة عجيبة على الاستجابة للحديث، وللجواب معارضة على

طريقة القدماء، تسندها في ذلك ثروة لغوية تكاد لا تنضب أبدا! ووعي تاريخي عميق بالفضاء الفني والسياسي للأمة العربية الإسلامية. وخير مثال لذلك قصيدتها العصماء (إن الخليقة بالإسلام عزتها) التي ردت بها على الشاعر الإماراتي حمد أبو شهاب الذي أرسل إليها -في إطار المراسلات الشعرية- بقصيدته (إن العروبة بالإسلام عزتها) التي كان مطلعها :

قبل الرسالة قل لي من هم العرب؟
وأي مجد بنت أم لهم وأب؟
تعال فاستقرئ التاريخ أمثلة
تر الحقائق فيما تحمل لكتب
فجاء الرد دفقة قوية نابعة من جرح
يختزل الألم الشائر في الأعماق؛ فكانت القصيدة :

نكأت جرحا غفت من صمته الحقب
وما التذكر إن لم ينفع العتب؛
طب الشعوب بما التاريخ علمها
مواقفا يهتدي في ضوئها العقب
والقصيدتان بقدر ما فيهما من عبق
التاريخ السياسي والاجتماعي استلهاما
ونقدا، بقدر ما فيهما من عبقة الفني
والإبداعي استلهاما ونقدا أيضا؛ فهناك تواصل فني مع بائية أبي تمام الطائي.
سواء من حيث الشكل العام عروضاً وقافية، أو من حيث المضامين الحماسية الشائرة النقدية، رغم أن الرؤى قد تختلف بين نظرة الأول ونظرية الآخرين في بعض المواقف الجزئية، أو فيما يتعلق بواقع العصرين المختلفين طبعا. ومن ههنا جاء نقد الشاعرين لمقولة أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب!
فلو أخذ هذا البيت بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون لكان كارثة تربوية على الأجيال وتكوين العقول، ولأشك أن شيئا من ذلك قد كان! ومن هنا قال الشاعر حمد أبو شهاب :

تعال فاستقرئ التاريخ أمثلة
تر الحقائق فيما تحمل الكتب!
ولكن أدق منه وأعمق قول الشاعرة في الرد :

وما الحجا إن سرى في غيه عمه
ولم ير النور فيما ترشده الكتب؛
إن هذا نقد حقيقي للرؤية العسكرية التي لا تعباً بالتكوين الحضاري للإنسان اليوم، فانتجت جيوشا عربية وقيادات عسكرية، عاجزة عن الدفاع والقتال؛ بسبب أننا نمتلك السلاح ولا نمتلك الإنسان الذي يحمله. وهذا لا يصنع إلا بالكتاب كما قالت الشاعرة، ولذلك كان تركيزها على أن العقل لا يستنير إلا به، فكانت أقرب إلى النقد لبنية الإشكال الحضاري منها إلى تقرير أهمية الوعي التاريخي بمعناه السطحي! وهذا من فوائد التواصل مع الشعر العربي القديم الذي يتيح لنا فرصة التعرف على العناصر الإيجابية في الأمة، وكذا العناصر السلبية فيها، التي يجب تجاوزها.

وختاماً، أهني الأستاذة الشاعرة بما وهبها الله من تدفق شعري، ورسالة لغوية نادرة، وغنى فني جامع، مما أشرنا إلى أقله، ولم يزل أكثره كامنا في صدقات هذا الديوان، مما يؤهله بحق إلى دراسات علمية متأنية، وجادة، ورسينة، عسى أن نتمكن نحن القراء من رؤية الخصائص الكلية الشاملة لهذه التجربة الفذة والمتفردة، والمتطلعة إلى مرحلة جديدة من الشعر المغربي. وإن غدا -إن شاء الله- لناظره قريب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وانتهى كتابته -بمكتاسة الزيتون- بتاريخ :
18 جمادى الثانية من السنة الهجرية 1419،
الموافق لـ 1998/10/09م.



د. محمد معاذ الديوري الحسني

أبو أيوب الأنصاري .. الداعية الأديب (عابر سبيل)

حياتهم لفوزهم يوم لقائه بجنته، ولا يتأتى هذا إلا بإخلاص العبادة لله تعالى واتباع منهجه (موافقة قصد المكلف قصد الشارع كما يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في موافقاته).

إن هذه العبارة الفريدة من فريد رحمه الله تعالى استوفقتني كثيرا، لأن هذه ملحمة (مقامة أدبية)، يتوسل فيها الأديب بالإسناد على غرار رواية الحديث والشعر، ويجعل الرواة الأبطال الحاكين للملحمة (القصة أو الخبر) رواة وهميين (علي بن هشام مثلا) لا مجال لهم في الوجود، لكن فريدا لا يتوسل برواة وهميين مثل الحريري وابن سهل وغيرهما، بل ينصرف إلى رواة هم الوجود نفسه، إذ المقام مقام "عابر سبيل" يذوق مرارة صعوبة الطريق أمام الفحشاء والمنكر وذلكم الفساد المنفشي، لذلك فهو "أسف بن حزين" يبحث عن شيخه في الطريق "أبي سهل"، وهذا سلوك عرفاني من أديبنا رحمه الله تعالى.

إن أحسن وصف وجده فقيدينا للفحشاء والمنكر وللفساد المنفشي في الأرض، هو وصف "الكلب" الذي وصفه إلينا العظيم في كتابه المبين بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْمِلْهُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ وَإِنْ تَنْتَرِكْهُ يَلْهَثُ﴾ (الأعراف: 177)، ولا ينتج الكلب إلا عن كلب مثله، وهو المفسد والقائم على المنكر والناهي عن المعروف... وكل ذلك راجع إلى اتباع الهوى ومخالفة مقاصد الشارع، وهذا "كلب" ثالث يمكن أن يكون جَدًّا للكلب الأول الذي هو رمز الفساد:

"هو الكلب وابن الكلب والكلب جده ولا خير في كلب تناسل عن كلب" أي: لا خير في عمل يقوم على اتباع الهوى ومخالفة قصد الشارع، إذ هذا هو أساس الفساد، فلا خير فيهما.

وهذه براعة في التشبيه البديع في عبارات فريدينا رحمة الله تعالى عليه، لأن الكلب لا ينبغي للعابر أن يعبا بوجوده في الطريق إذا أراد الوصول إلى مبتغاه، لأنه لاهث سواء شد عليه حملة شعواء أو لم يعره اهتماما، فالأفضل له تركه تماما، والنهوض بالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، والبناء التربوي الصالح، فـ"القافلة تسير، والكلاب تنبح"، ومخالفة مقاصد الشارع هي أساس المفسدين فلا مجال للاشتغال بها، وإنما الحاجة ملحّة في الإصلاح، ومن هذه الإصلاح الذي قام به عابر السبيل تركه لنا بذرتين من بذور الإصلاح التnmوي الشامل: "قناديل الصلاة" و"مجالس القرآن".

رحمك الله يا عابر السبيل، وأسكنك فسيح جنته، وجعلك في مقام الشهداء، ورفع منزلتك في الملائكة الأعلى مع السعداء، وجعلك في مستقر رحمته، مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

1- جزء من حديث جبريل الشهير الذي رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ؓ ورواه الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ؓ.

2- هذه المرحلة كنا نتمنى أن تكون مرحلة وسطى في حياة الفقيه، لكن القدر الإلهي حال دون ذلك لأسباب لا يعلمها إلا عالم الغيب والشهادة مقدر الليل والنهار الخبير بجميع الأمور ومقاصدها.

الرائقة التي كان يختارها الفقيه اختيارا، وينتقيها انتقاء، حتى يوصلها إلى القارئ بيضاء نقية لا شبة فيها.

وفي حقيقة الأمر، لم يكن اختيار فريد للعبارات وانتقاؤه إياها موفقا إلا بنور اتباعه للمنهج الذي يحاول إيصاله إلى نفوس القارئ، وذلك لأن إشعاعه الإيمان كان قويا، لأنه كان فريدا حقا، كان قرآنيا بحق، كان نبويا بحق، فكان اختياره للعبارات الأدبية الرائقة موفقا لاتباعها من قلب موفق.

وأشير بالمناسبة إلى أن فكرتي "قناديل الصلاة"، و"مجالس القرآن" اللتين تركهما الفقيه رحمه الله تعالى لحاملي لواء الدعوة إلى مجد هذا الدين الفريد الذي فطر الله تعالى الناس عليه، لا شك أنهما ليستا وليدتي المرحلة المتأخرة من حياته(2)، بل كانتا حاضرتين في روائع "عابر سبيل"، إذ الصلاة والقرآن هما الدواء الناجع الذي يصفه الرجل في هذا الركن للمريض (الحائر في طريقه العابر للسبيل).

إن أديبنا رحمه الله تعالى كان دائما حاضرا في النص، فلقد كان هو أيضا هو

تعالى به عليه وعلينا وعلى جميع أمة سيدنا محمد ﷺ والأليم كله (أعاده الله تعالى وإيانا وجميع أمة سيدنا محمد ﷺ من رؤيته) وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفيها سقر، لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر، فما على العبد (عابر السبيل) إلا أن يستعد للقاء الله تعالى بالعمل بكل ما يقرب إلى النعيم، ويبعد عن الأليم، وكانني بفريد يقول لهذا الإنسان:

يا عابر السبيل مُرْ على هذه الإشراقات التي تنير طريقك، واستمسك بما فيها لتصل إلى بر النجاة، فإنك لن تجد إلا جنة أبدا أو نارا أبدا.

يا عابر السبيل إذا قرأت مقالتي في هذا الركن فلا تضرب عنها الذكر صفحا وتجعلها وراءك ظهريا، وإنما نق حلالة ما فيها بما يوصلك إلى حلالة الإيمان التي أساسها أن يكون الله تعالى ورسوله ﷺ أحب إليك مما سواهما، ولا تتحقق محبتهم الصادقة لديك -يا حبيبي القارئ- إلا باتباعهما فعلا والائتمار التام بأوامرهما والاجتناب

إن أحسن وصف وجده فقيدينا للفحشاء والمنكر

وللفساد المنفشي في الأرض، هو وصف "الكلب" الذي وصفه إلينا

العظيم في كتابه المبين بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْمِلْهُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ وَإِنْ تَنْتَرِكْهُ يَلْهَثُ﴾ (الأعراف: 177)، ولا ينتج الكلب إلا عن كلب مثله، وهو المفسد والقائم على

المنكر والناهي عن المعروف... وكل ذلك راجع إلى اتباع الهوى ومخالفة مقاصد الشارع.

وهذا "كلب" ثالث يمكن أن يكون جَدًّا للكلب الأول الذي هو رمز الفساد:

"هو الكلب وابن الكلب والكلب جده ولا خير في كلب تناسل عن كلب"

أي: لا خير في عمل يقوم على اتباع الهوى ومخالفة قصد الشارع.

إذ هذا هو أساس الفساد، فلا خير فيهما

ذلك العابر الذي يحس بالغبية في طريقه، في كل مكان يصل إليه ولا يجد فيها المأوى الحق، وهو يبحث عن المقام المريح، وكانت دموعة تسري تترا في هذه الإشراقات، لا سيما إذا لجأ إلى الحديث عما يقابل هذه الحقيقة العرفانية، وذلك في وجه المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

"حدثني أسف بن حزين، قال: حدثني أبو سهل ... لما قرأت هذه المقدمة الإسنادية في ملحمة فريد في "عابر سبيل" في بداية تسعينات القرن الماضي بدأت أرتجف وأبكي، لأنني وصلت إلى ما وصل إليه فريد (الذي سافر إلى الله تعالى وتركنا في هذه الأرض الملائكة بالفساد والمفسدين والعدوان والمعتدين)، فالعابر "أسف" و"حزين" مما ألت إليه أمر الأمة من فساد في أخلاق أبنائها وأمور دينهم، وهو يبحث عن الطريق المنجية التي توصلنا إلى "أبي سهل" الذي هو طريق الجنة، طريق الله رب العالمين، إذ المقصد من رب العباد تسهيل أمور

التام لزواجهما ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله﴾، ومن شروط المحبة الصادقة طاعة المحبوب:

تعصي الإله وأنت تظهر حب

إنا المحب لمن يحب مطيع يا عابر السبيل، إنك في عبورك للطريق لا تحمل إلا زادا وحيدا تصل به إلى مقامك وقرارك، فأجعله كله نافعا لك في المقام الذي تود الركون إليه أخرا، والقرار الذي ستصله عابرا، فالبدر البدار إلى الخير والصالح والبر والرشد.....

إن هذه الرسالة لم يكن يعبر عنها فقيدينا رحمه الله تعالى في إشراقاته الأدبية في ركن "عابر سبيل" صراحة، ولكنها كانت تصل قلوب قرائه الذين يحبون الرجل محبة صادقة (وذلك من أسس بلوغ العبد حلالة الإيمان: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله)، حيث تصل هذه الرسالة بكل ما تحمله من إشارات ومعارف تنكشف من سجد العبارات

ودعنا هذه الأيام أحد كبار الدعاة بمغربنا الحبيب، الفتى الفذ الذي جمع بين العلم والأدب، والعمل والدعوة، وحب الآخرة والقرب من الله تعالى، إنه أبو أيوب الأنصاري الذي لبي نداء ربه ليلة الجمعة 18 ذي القعدة الحرام 1430هـ الموافق 06 تشرين الثاني 2009م.

ولقد كان رحمه الله تعالى من أعذب أدباء هذا الزمان، حيث إنه استطاع أن يجمع في أدبه بين العلم والعمل والورع والتقوى على شاكلة من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ (الشعراء: 226)، وقد استطاع -بحمد الله تعالى- أن يجمع هذه الأوصاف الثلاثة كاملة، حيث إن أدبه كان مليئا بالتربية الإيمانية التي تعتمد على الإخلاص لله تعالى ظاهرا وباطنا.

ولقد كان أديبنا رحمه الله تعالى من الشعراء المفلحين الذين أبدعوا في الشعر وكان ممن يتصفون بالملكة الشعرية، حيث لا تجد شعره في المحافل إلا حاضرا، ولا تجده في المجامع للقصيد إلا ذاكرا.

وكان شعره إيمانيا قرآنيا مقاصديا، كما كان نثره الأدبي، سواء في المقامة، أو في القصة، أو في الرواية، وكان مقصده الأساس في مختلف هذه الأشكال الأدبية هو دعم روح التربية الإيمانية في نفسية المتلقي (القارئ) وربطه بالله تعالى في كل خطواته (عبادة وسلوكا ومعاملة).

أذكر أنني كنت من هواة قراءة إحدى الجرائد التربوية الغراء في أيامها الخوالي، وكان أهم ما يجذبني إلى اقتنائها هو الصفحة الأخيرة منها، تلك الصفحة الربانية التي تحمل روائع الأدب في شكلها الإسلامي البديل في "عابر سبيل" الذي كان من إبداع فقيدينا رحمه الله تعالى، ومما لفت نظري هو حسن اختيار العنوان: "عابر سبيل" الذي يحمل في الوقت نفسه معنيين:

الأول: اعتبار القارئ عابرا للسبيل بمروره على قراءة الصفحة، حيث عليه أن يحمل منها الزاد الأهم، وهو نفس مبدعها الروحاني الذي يُقرب من جناب الله تعالى ومحبة سيد الوجود ﷺ، كما تمنح عابر سبيلها تذكيرا بالسلوك العرفاني الذي يجب على كل مسلم مؤمن أن يتلمسه للوصول إلى مرتبة الإحسان الإلهي: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(1).

الثاني: التلميح إلى أن الإنسان عابر سبيل في هذه الحياة كلها، وهو الإحساس الذي كان عميقا في فقيدينا (رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ونور ضريحه إلى يوم لقاءه، وجعل جنة الخلد مأواه) منذ معرفته الله تعالى من صباه إلى مرمسه، وهذا العبور كان يعني في قلب فريد وفي قلوب قرائه أن الإنسان لما كان من صفته أنه راحل عن هذه الدار إلى دار أخرى فيها النعيم كله (أنعم الله



من هوس الكتابة إلى هوس الإصلاح في فكر فريد الأنصاري



د. محمد جبيب

ليس من السهل الحديث عن الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله، نظرا لتعدد المجالات، التي كان له فيها حضوره القوي والمميز، فهو شخصية مركبة ومتعددة، يذكرنا ذلك بعدد من علماء الأمة على مر التاريخ ممن كانت لهم ثقافة موسوعية ومتنوعة، كان الواحد منهم متبحرا في كثير من مجالات المعرفة، مع القدرة على التصنيف فيها، خدمة لمجتمعاتهم ووفاء للوازع الديني الذي كان يحرك العالم في الاصطلاح العام أو المثقف بمصطلح الوقت، والدكتور فريد الأنصاري ينتمي إلى هذه العينة، وأحب هنا أن أتحدث بصيغة المضارع وليس بصيغة الماضي، لأن الدكتور فريد الأنصاري وإن كان غادر محطة الانتظار الدنيوية، إلا أنه ما يزال بيننا من خلال ما خلفه من زاد معرفي، ظل حريصا على استخلاصه من قلبه وتجربته وحيه للإنسان والإنسانية، وهو على فراش الرحيل، وحتى آخر رمق من حياته، رحمه الله تعالى، وكان قدره هو أن يقوم بتأدية وظيفة محددة، هي وظيفة غرس ثمرة صالحة، ستجد من يتعهددها ويرعاها حق الرعاية، لقد قدم الأستاذ فريد الأنصاري ما قدر له أن يقدمه لهذه الأمة، وأدى الواجب، والدور على الأحياء لإكمال الطريق، ولذلك فإن المسؤولية تقع علينا من أجل النظر في عطائه الفكري المتنوع.

كان رحمه الله يقول إن عمر الإنسان قد يمتد إلى ما بعد الموت، ومعنى ذلك كما أفهم أن يخلف المرء ما يجعل ذكره إيجابيا ومستمر بعد الموت، من خلال صدقة جارية إلى يوم القيامة، لتكون شأها له لا عليه، وليس هناك في ظني أرقى من العلم النافع، والأستاذ فريد الأنصاري ترك علما نافعا، يستحق به أن يكون أحد أعلام الفكر الإصلاحية في هذا العصر، وستكشف الأيام ذلك، وفي الليلة الظلماء يفقد البدر.

الأستاذ فريد الأنصاري، متعدد المواهب والكفاءات فهو العالم والباحث والمقاصدي والأديب الشاعر والروائي، والمتفوق في فنون الكتابة، كما تفوق في الخطابة، ويرجع ذلك إلى ثقافته العربية الرصينة التي حصلها وتشبع باصالتها، وظلت تلك الأصالة ملتصقة بكل ما كتبه، ولا أظن أن شيئا كان يضاهي حب الأصالة في قلبه، ويضاهي رغبة التأصيل عنده، وما اشتغاله بعلم الأصول وتدريسه له سوى دليل على تلك الأصالة، والرغبة في التأصيل، وهذا هو ما يجعل من فريد الأنصاري مصلحا داعيا إلى مشروع إصلاح متكامل، وصاحب رؤية حضارية حرص على إبلاغ مقوماتها وعناصرها الأساسية من خلال ما كتبه، وخاصة في المرحلة الثانية من مساره الفكري.

وفي الحقيقة هناك الكثير من الأشياء المتعلقة بالأستاذ تتزاحم في الذهن، وتأتي إلا أن تعبر عن نفسها كاشفة القيمة الكبيرة لهذا العالم الأديب، لكن حسبنا الإشارة إلى بعض العناصر التي تبدو مفاتيح رئيسية في الاقتراب من عالم الفريد.

إن الأنصاري صاحب مشروع حضاري، وصاحب رؤية إصلاحية عمل على إبلاغ عناصرها الأساسية ومقوماتها الكلية إلى مختلف مكونات المجتمع، وكانت هذه الرؤية تركز في ظني على عنصرين أساسيين هما القرآن والإنسان، أي الانطلاق من القرآن

والوصول إلى بناء الإنسان.

لقد شكلت هذه القضية هما كبيرا عمل أغلب فترات حياته على قصرها على بلورتها في مشروع عملي قابل للتنفيذ والتطبيق، والمقربون منه يعلمون كيف كان حريصا على ألا تبقى أفكاره حبرا على ورق، وأن تتحول إلى سلوك مطبق، وكانت وسيلته في ذلك الخطابة، وخاصة خطبة الجمعة، والوعظ والإرشاد، ومجالس الذكر، من خلال مجالس القرآن الكريم، التي ألف فيها كتابا اعتبره من أهم ما كتب في باب التربية ومنهجها.

وإذا أردنا أن نضع كل حقل معرفي من الحقول الأكثر حضورا في مشروعه، في الإطار المناسب له من مجموع مشروعه الفكري، فإن الحقل الأدبي يشكل عالم التطلعات والأحلام، والجمال، والبحث عن واقع مثالي، وانخراطه في نظرية الأدب الإسلامي دليل على إيمانه بأن الكتابة الأدبية، والفن بصفة عامة لا قيمة له إذا لم يربط الإنسان بخالقه، وإذا لم يكن البناء والإصلاح من أولوياته، وهو وإن لم يكتب في ذلك على حد علمي كتابا، إلا أن أعماله الأدبية وخاصة تلك الصادرة في السنوات الأخيرة، وخاصة في جنس الرواية تدل على ذلك دلالة واضحة. وما أجمل تفسيره الجمالي للصلاة والعبادة عموما، فقد غمره الاحساس بالجمال وملك عليه حواسه، فصار يتلمس معالمة في كل ما يربط الإنسان بخالقه، وبالكون الذي سخره الله أصلا له لإدراك هذا الجمال في كل شيء.

وأما علم الأصول ومقاصد الشريعة، فيشكل في نظري حقل التأسيس والتأصيل، وبناء الضوابط الشرعية الضامنة لكل تفاعل إنساني يرمي إلى إعمار الأرض وتسخير عناصر الكون وبناء الحضارة، وفق منهج ثابت ورصين.

وأما الحقل الثالث فهو الحقل الفكري وخاصة ما اتصل بالتربية السلوكية، وما تحتاج إليه من قدرة عميقة على التفعيل والتطبيق، وهو المجال الذي ألقته الأستاذ فريد وبرع فيه، مرتكزا في ذلك على زاد متنوع من المعارف، بالإضافة إلى روحانية قوية، ازدادت عمقا عندما توسعت علاقته بكليات رسائل النور للأستاذ بديع الزمان النورسي، والروحانية الفكرية للمفكر الإصلاحي الأستاذ فتح الله كولن.

إن الخيط الناظم لهذه الحقول، والمنطلق المركزي هو القرآن الكريم كما سبقت الإشارة إلى ذلك، إذ هو الأساس الذي تتمحور حوله الرؤية الإصلاحية للأستاذ فريد الأنصاري، فالقرآن الكريم هو المفتاح الذي يفتح شخصية فريد الأنصاري، ويفتح أغلب أفكاره الفكرية إن لم نقل كل أفكاره، وخاصة تلك التي كتبت خلال المرحلة الثانية من حياته الفكرية.

تنقسم حياة فريد الأنصاري في ظني من الزاوية الفكرية إلى مرحلتين، مرحلة ما قبل التعرف على الروحانية التركية من خلال كليات رسائل النور، ومرحلة ما بعد التعرف على الرسائل، وهي في ظني مرحلة ذات منبوعين، يتسمان بروحانية قوية، منبع النورسي ثم منبع فتح الله كولن.

شكل تعرف الأستاذ على الروحانية التركية من خلال تجربة الأستاذ النورسي وتجربة فتح الله كولن، تحولا كبيرا في حياته ظهرت آثاره في رؤيته الفكرية وفي أغلب ما كتب. والرواية هي الجنس الأدبي، الذي يستطيع المهتم أن يلمس فيه مدى تأثير الأستاذ فريد الأنصاري بالروحانية التركية، ويتلمس فيه ذلك التحول الكبير الذي قلب كيانه رأسا على عقب وبعقد مقارنة بين روايته "كشف المحجوب"، ورواية "آخر الفرسان"، يمكن التوصل إلى المدى الذي وصل إليه الأستاذ رحمه الله في توظيف

الفن والكتابة الأدبية لخدمة الرؤية الفكرية المحركة، بل تعكس إلى حد بعيد كيف تتحول الكتابة الأدبية إلى وسيلة لنشر ثقافة التغيير والإصلاح الهادفة إلى بناء المجتمع الجديد المرتقب.

في رواية "آخر الفرسان" يمكن للمهتم بالأدب عموما وبالكتابة الروائية على وجه الخصوص لمس قدرة الأستاذ فريد الأنصاري على التجريب والتنوع في الكتابة والرواية. الرواية في الأصل استلهم حياة الأستاذ بديع الزمان النورسي، لكنها في الوقت نفسه عرض فني لمشروع النورسي الحضاري والإصلاحي، الذي تحولت أغلب عناصره إلى مشروع فريد نفسه يدعو إليه في حدود ما تتيحه الخصوصية المغربية. تعتبر الرواية من هذه الزاوية سيرة غيرية، من خلال استحضار الأنصاري لبعض جوانب حياة الأستاذ بديع الزمان النورسي، وهي في الوقت نفسه سيرة ذاتية من خلال عرضها لجوانب من تجربة الراوي وهو ليس غير فريد الأنصاري في رحلة اكتشاف العالم الروحاني للنورسي، وفي رحلة البحث عن الذات.

يعمل فريد الأنصاري في هذه الرواية السيرة على استحضار طيف النورسي، ليساعده على اكتشاف حقيقة ذاته، ويلج عليه في الطلب، لكن الفارس العائد وهو الشخصية المحورية والغائبة الحاضرة باستمرار في عالم الرواية، يأبى إلا أن يدفع الراوي الباحث عن الحقيقة واللاهت وراءها بشتى الوسائل إلى الوصول إلى تلك الحقيقة وحده لأنها قريبة منه وتحتاج منه إلى مجاهدة النفس وتنظيفها حتى تنجلي معالمها، وهذه الحقيقة الموصلة إلى المعرفة هي القرآن الكريم وحقيقة دوره في محطة الانتظار قبل الرحيل.

لقد وظف الأديب الروائي نجيب الكيلاني في رواية "عمر يظهر في القدس" التقنية نفسها من خلال استحضار شخصية عمر بن الخطاب (رض) الذي يظهر في القدس وقد حل ما حل بها من مأس وويلات، ليقف مشدوها أمام هول ما أصاب المسلمين من ضعف حتى فرطوا في القدس.

وإذا كان نجيب الكيلاني في روايته هذه يبدو يائسا من الوضع رغم عودة عمر، فإن الأنصاري يبدو أكثر تفاؤلا وثقة، لتمكنه من وضع يده على الدواء الكفيل بإدابة كل الأمراض القلبية، معتبرا منهج الأستاذ النورسي يحمل في طياته ذلك العلاج من خلال الإرشاد إلى الصيدلية الكبرى، ولذلك فإن قارئ الرواية سيلمس شخصية فريد الفرحة والمنشحة والسعيدة لأنها وضعت يدها على أول طريق يقود إلى الفوز في الدنيا والآخرة.

ستعرف الأيام القليلة المقبلة صدور رواية "عودة الفرسان" التي حرص الأستاذ فريد الأنصاري وهو على فراش الموت على إتمامها تكملة للحلم الذي بدأه مع "آخر الفرسان"، وقد استلهم في هذه الرواية التي ربما تكون آخر ما كتب قبل أن يجيب داعي ربه - عناصر من حياة تجربة الأستاذ فتح الله كولن، وأخبرني من كان ملازما لفريد الأنصاري أنه كان كثير التدقيق في تتبع بعض الحقائق المتعلقة بالأحداث التي تؤثت مسرح الحكى في الرواية، الشيء الذي يدل على أن فريد الروائي، لا يكتب من أجل الكتابة، بل يكتب لغاية محددة لا تترك إلا في إطار رؤيته الكونية، تحتاج إلى جهد من الكشف عنها.

وعلى العموم فهمنا قلنا في هذه العجالة عن الأستاذ فريد الأنصاري فلن نوفي حقه واعتبر نفسي مطالبا بضرورة تعميق البحث في فكره وأدبه من أجل الوصول إلى ما سيعود بالنفع على هذه الأمة.

العالم الجامع

ما زلت أتذكر ما قرأته منذ مدة في كتاب يرجع إلى القرن الثالث الهجري حينما نص صاحب الكتاب وهو يقارن بين خطأ الطبيب في طبه، وخطأ العالم في علوم الشرع، في الفهم أو الفتياء، فأكد بكل وضوح أن الخطأ في علم الشرع أفضح وأكبر من الخطأ في علم الطب، حيث أن الطبيب إن أخطأ، فإن الضحية يكون فردا واحدا، أو أفرادا معدودين على أكثر تقدير. أما الخطأ في علوم الشرع فقد تكون الأمة بأكملها أو على الأقل جماعة أو شريحة اجتماعية معينة التي تقتدي بهذا العالم. ولذلك فإن العالم في مجال الشريعة مطالب بأن يحاط قبل أن يصل إلى أي فهم، أو أن يصدر أي فتوى. ومن الأكيد أن هذا الاحتياط يقوم على أساس فهم ودعامة قوية، وهي دعامة اللغة، ولذلك كان شرط معرفة اللغة العربية من الشروط الأساسية لكل من أراد أن يعتلي منصة الفقه أو التفسير لكن هذا الشرط ضعف عند العديد من المشتغلين بعلوم الشريعة في العصر الحاضر، ولا عجب في ذلك فقد أضحت علوم الشريعة من المراكب الميسرة التي يمتطيها كل من هب ودب، حتى أصبح الناس كلهم يتكلمون في الشأن الديني. حتى ولو لم تكن لهم به أدنى علاقة.

قليل هم العلماء الذين جمعوا بين علم الشريعة وبين علم اللغة من حيث التكوين، وأقلهم من استطاع أن يؤلف من هذين التكوينين ليستضيء بهما معا في فهمه، وقليل من هذا الأقل من رزقه طبعاً في معرفة أسرار النظم الأدبي، فألف بذلك إبداعاً أدبياً في مجالي الشعر والنثر.

هكذا كان حال الأستاذ العلامة فريد الأنصاري رحمه الله. تشبع بالدراسات الشرعية أولا وخاصة في علم الأصول، وكانت أدواته في ذلك أداة لغوية بلاغية، القائمة على منهج الدراسة المصطلحية. وقبل هذا وبعده، كان رحمه الله بليغ اللسان، وكتب في الشعر والنثر معا، ومن لطيف ما كان يشغل به في أواخر حياته رحمه الله، إنتاج أدبي تمثل في زاوية جديدة، ربما ترى النور عما قريب إن شاء الله.

إنه العالم الجامع، متخصص في علم، لكن هذا التخصص لا يحول بينه وبين أن يطلع على العلوم الأخرى، وخاصة علوم الأدب واللغة والبلاغة.

لقد كان من فضل الله على الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله أن كان قلبه ميالا، فألف مجموعة من الكتب في شتى المجالات، وكتب عددا من الأشعار بالإضافة إلى روايتين، وكان في كل ذلك موفقا، داعيا إلى الله على بصيرة.

رحم الله الفقيد وغفر له وللمؤمنين والمؤمنات، وأسكنه فسيح جناته، ورزق أهله الصبر، وهوب لنا نحن العوض بظهور علماء مجاهدين، إلى الدين داعين، وعلى الحق ثابتين، وعن الباطل مديرين، لا يخافون في الله لومة لائم.

د. عبد الرحيم بلحاج



د. حميد السراوي

سلك الدكتوراه : وحدة الدرس القرآني والعمران البشري كلية الآداب مكناس

فريد الأنصاري رحمه الله : الأستاذ المربي

حظيت بعناية خاصة في تاليه، بل إن رسالته الجامعية أطروحة في الإصلاح والتربية.

ويعد مشروع مجالس القرآن إحدى أهم الوسائل التربوية التي عول عليها الأنصاري رحمه الله من أجل إشاعة الوعي، وإحياء الأمة وتربية الشباب على هدى القرآن، فالرجل كان له مشروع إصلاحي أسس معالمه النظرية من خلال بعض إصداراته كالفطرية، ومفهوم العالمية، ومجالس القرآن...

وكان رحمه الله شديد العزم على إصلاح أحوال مدينة مكناس، وإحياء مكانتها التاريخية وجعلها حاضرة علمية، وذلك بتأطير الطلبة علمياً وتربوياً، والنهوض بالمساجد من خلال مشروع الكراسي العلمية، ومجالس القرآن.

وهذه بعض معالم المشروع التربوي للأنصاري رحمه الله :

1- القرآن الكريم منطلق الإصلاح : تنظيراً وتأسيساً وتربية.

2- الأولوية للمسألة التربوية على باقي الملفات والقضايا.

3- العمل على تداول المجتمع للقرآن عن طريق مجالس القرآن، وتحقيق رسالة القرآن في تدوين المجتمع، وتأسيس العمران لذلك اتجه مشروعه من القرآن إلى العمران إلى تعزيز ذلك وتحقيقه.

إن سيرة الأنصاري رحمه الله تمتلئ بكثير من العبر والعظات للدعاة، لذا ينبغي الاستفادة منها، ومن أهم ما ينبغي الوقوف عنده تلك الصفات التي تميز بها مثل الصدق والتواضع والحلم، والتي أسهمت كثيراً في إقبال الناس عليه ودفعتهم إلى العناية بكتاباتاته والعمل بنصائحه وتوجيهاته.

ثم إن سيرته في حاجة إلى دراسة وافية من جانب العلماء والدعاة والمصلحين، فسيرته تضم شروط النجاح وقواعد التواصل، وسر القبول.

رحم الله فريد الأنصاري وأسكن روحه فسيح الجنان آمين.

إن فريد الأنصاري رحمه الله يعتبر مدرسة في العلم والأدب والخلق ويمكن أن نجمل بعض معالم منهجه في التعليم والتدريس فيما يلي :

1- ربطه لقضايا التدريس والتعليم بالبعد التربوي الإصلاحي

2- بحث وتجديد مفاهيم القرآن واعتباره الميزان لإصلاح الزمان وتعمير الأرض والكون العمران الحقيقي.

3- اعتماد أسلوب البيان العام المناسب لجميع الفئات

4- التركيز على الأصول قبل الفروع، والكليات قبل الجزئيات ونظم ذلك بعضه ببعض.

يرجع السر في إقبال هذا الحشد الكبير من الناس إلى تميز خطابه بوضوح

العبارة وسلاسة الأسلوب، والنفاد إلى عقل وقلب السامع والتأثير فيه، كيف لا وقد أوتي ملكة

الشعر وسحر البيان، وكنا نعجب لموهبته في تبسيط المعقد، وتقريب البعيد، وضرب المثل

وربطه بالواقع المعاصر

5- ربط قضايا البحث العلمي بإشكالات العصر والواقع من باب جعل العلوم وقضايا البحث فيها مرتبطة بخدمة المجتمع والإنسان.

بقيت مسألة في غاية الأهمية نود الحديث عنها بخصوص هذه الشخصية الفريدة فعلاً، فنقول هل عرف الأنصاري رحمه الله بالتدريس والبحث الأكاديمي فقط؟

إن الرجل لم يعرف بالتدريس الأكاديمي البحث، بل جمع في أسلوبه بين التدريس والتربية، فقد كان الطلبة والباحثون يجدون فيه نموذج الأستاذ المربي، والداعية الناجح، إذ تنوعت أنشطته منسجمة مع هدف الإصلاح والتربية لتشمل المحاضرة والوعظ والإرشاد، والكراسي العلمية ومجالس القرآن.

ثم إن قضايا التربية والإصلاح

منقطع النظير، إذ في كثير من الأحيان كنا نتابع محاضراته ونحن واقفون لا نجد لنا مكاناً نجلس فيه.

ويرجع السر في إقبال هذا الحشد الكبير من الناس إلى تميز خطابه بوضوح العبارة وسلاسة الأسلوب، والنفاد إلى عقل وقلب السامع والتأثير فيه، كيف لا وقد أوتي ملكة الشعر وسحر البيان، وكنا نعجب لموهبته في تبسيط المعقد، وتقريب البعيد، وضرب المثل وربطه بالواقع المعاصر.

إضافة إلى امتلاكه رحمه الله لأدوات التدريس وطرائق التعليم التي ساعدت كثيراً في التواصل مع القطاع العام من

الناس، فإنه رحمه الله أوتي حظاً وافراً من حسن الخلق -ومن اجتمع له العلم والخلق فذلك هو العز والسبق -، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

لقد عرف الشيخ فريد الأنصاري بأدب عال وخلق رفيع، وذلك أحد الأسباب التي جعلت الناس يقبلون عليه، ويتنادون لحضور خطبه، ويتزاحمون لسماع مدارساته، فبلغ صدق هذا الخلق الرفيع الأفاق ليؤثر تأثيراً قوياً في الطلبة الوافدين من العالم الإسلامي كموريتانيا ومالي وليبيا واليمن وتركيا اندونيسيا، فالطالب الوافد إذا حل بمكناس أول ما يسأل يسأل عن الشيخ فريد، وهم في ذلك يشهدون له بالعلم والتواضع والأدب، وأحسب أن أهم صفة ملك بها قلوبهم التواضع ولين الجانب، والجمع بين العلم والحلم. فكان رحمه الله مضرب المثل في ذلك.

وداعاً أيها الرجل أيها الرجل الصادق، وداعاً يا من لم يقعه المرض عن دعوة الناس والجلوس للتعليم في حلقات يحضرها القاصي والداني، نودك وعيوننا تذرف الدموع، وألسنتنا تلهج بالدعاء، ونقول ما يرضي الرحمان. هكذا ودعت مدينة مكناس، بل المغرب والعالم الإسلامي قاطبة الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله عن عمر يناهز 49 سنة، الذي حضره الأجل بإحدى مستشفيات تركيا.

ومن تابع مراسيم تشييع جثمانه إلى مثواه الأخير وحضور الآلاف من محبيه في هذا الموكب الخاشع، يدرك مكانة هذا الرجل في قلوب الناس، حيث لم يبخل عليهم بعلمه ودعوته ونصحه، وقد عرفوه محاضراً في الندوات، وخطيباً على المنابر، ومعلماً ومربياً في حلق ومجالس القرآن، فكان له رحمه الله الأثر الكبير في التعليم والتوجيه والإرشاد.

إن قضاء التعليم والتدريس كان من أهم المجالات التي اشتهر فيها الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله، وكان التدريس قناة التواصل مع الطلبة والباحثين والدارسين، ونظراً لتمكن الشيخ من مادته العلمية والمنهجية وموهبته الفريدة في التدريس وكذا طريقة تواصله اللطيف والقاصد مع المتلقي، فقد أدى كل ذلك إلى إقبال كبير للطلبة على محاضراته وندواته، بل تعدى الإقبال الطلبة ليشمل عموم المجتمع من التجار والحرفيين ذوي التكوين المتوسط ومن المثقفين والأكاديميين، فيأتون من أحياء المدينة وضواحيها إلى الكلية ليتابعوا محاضراته، فتعرف المدرجات ازدحاماً

إن أي أمة من الأمم والدول عندما تفقد أحد رجالها الأفاضل العظام، تخصص له حيزاً كبيراً في إعلامها، مسموعاً كان أو مرئياً أو مقروءاً... إنها الدول التي تحترم نفسها، لأنها تعتقد اعتقاداً جازماً أن الرجال لا يعرفون إلا عندما يموتون، لأن بفقدانهم تحس الأمة بانطفاء مصباح من مصابيحها التي تضيء لها الطريق نحو الغد الأفضل والمشرق.

تصور -في مغربنا الحبيب- لو أن فنانيا (مغنيا كان أورا قصة أوممثلاً...) من الغرب أو الشرق مات، لخصص له إعلامنا صفحات من جرائده، ولتكلّم عنه بإطناب وإسهاب لغرسه في عقولنا وقلوبنا، ترى ماذا قدم؟ كلمات نابية؟ حركات لأخلاقية؟ لقطات شهوانية شيطانية؟ ليس الكل...

لكن همست في أذن حبيبي وأستاذي المشمول برحمة الله تعالى فريد الأنصاري وقلت : نم قرير العين يا فريد فإن صورتك الربانية الزاهدة لم تتلطف في صحفهم، وإن اسمك الفريد لم يحتك بكلماتهم النابية الدنيئة، فتلك كرامة وأنعم بها من كرامة... فإننا في زمن

أيام مع أبي أيوب الأنصاري الأستاذ المربي

أبو محمد أمين قدوري عبد الجليل

الغرباء لا يعرف فيه إلا المنكر، ولا ينكر فيه إلا المعروف... أيها الغريب يكفيك أنك دخلت في حديث المصطفى ﷺ : «فتطوبى للغرباء يصلح ما أفسد الناس من سنتي...»

ويكفيك أنك كنت من أهل القرآن ومع أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته....

ويكفيك أننا لآزمنك في مرحلة الطلب في الجامعة، وأجبتك، لتواضعك وعلمك، وكنت تقف معنا كأنك واحد من تسمع لكلامنا، وتفرح لأفكارنا

كنت نعم الموجه في مسيرتنا الطلابية ولا زالت كلماتك حول "الوثن (1) أو طم" ترن في سمعي، ونحن لا ننسى -حبيبنا فريد- محاضراتك في الفقه والأصول والمقاصد والبيوع فلا زلت أتذكر حروفها وأمثلتها.... ولا زلنا نتذكر خطبك التي

تهتز لها المنابر اهتزازاً... ولا زال مشروعك من (القرآن إلى العمران) حديث قلوبنا فتلك سنة حسنة فلك أجراها وأجر من عمل بها...

وكنّت الزائر لك بين الفينة والأخرى فلم أزد إلا تعلقاً بك وحبا لك، بروياك يطرب القلب، ويهتز الشوق اهتزازاً. وكنّت الزاهد في الدنيا، وأنا الذي كنت أعمل تحت منزلك وأرى عشبك ومنزلك، ولا زلت أتذكر كلامك حول الدنيا أن اخترنا هذا الطريق الشائك الوعر، طريق الدين، ولم نختر طريق الدنيا (الذي كان سهلاً أمامك). نعم كم قلت: حبة زيتون وخبز حاف خير من الدنيا وما فيها....

وكنّت الناصح لله ورسوله ولعامّة المسلمين، وأتذكر نقدك للحركة الإسلامية الذي كان يضيق به صدرك، وكنّت تعلنها ما مرة في لقاءاتك واجتماعاتك وكتاباتك، فلم تجد لذلك أذانا صاغية، فلما أحسست

بالمسؤولية الملقاة على عاتقك، وأحس قلبك بقرب الرحيل كم كنت أحدث الناس بذلك عند صدور بعض الكتب التي انتقد فيها الحركة الإسلامية". نعم لقد أحس القلب بالرحيل فأبى إلا أن يخرجها مدوية إلى عموم الناس لبيان الدعوة القرآنية الفريدة ونقد الأخطاء المنهجية لدى العاملين في الحقل الإسلامي...

نعم لقد كانت كلماتك الأخيرة عن العمر وفلسفته نعيماً لك ولنا دون أن تشعروا أن نشعر!! إيذاًنا بقصر عمرك الطولي، وطول عمرك العرضي... أقول لك حبيبي فريد لقد عشت الزمن العرضي بكل تجلياته... فأنت ستبقى في ذاكرة كل باحث وكل داع وكل مربي...

نم قرير العين أيها الفريد المربي المعلم الواعظ. العالم العامل زادك الله بذلك منزلة ودرجة عالية مع النبيئين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً...

1 - كلمة كان يردها الفقيد، لكثرة تعلق الإخوان بهذا الإطار إلى درجة الوثنية الفكرية لا العقيدية.



د. فريد الأنصاري
رحمه الله تعالى

لكنه نور خفي، إنما يُعطاه ويُؤتاه من طرق باب القرآن الوحي، حينئذ ينبثق له النور قطعاً.

أما من بقي رهين الصحف أو المصحف، فسيبقى متبركاً بتلاوة القرآن، بكل حرف عشر حسنات لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف، وهذا مقام جيد، لكن القرآن الوحي الذي غير العالم كل العالم في نحو ربع قرن من الزمن، بل لم يكد ينتهي القرن الأول الهجري حتى كان الإسلام مستقراً في الأندلس، محيطاً بأوروبا من جميع جهاتها، إنما القرآن النور، الوحي هو الذي استطاع أن يخرق الظلمات، ولكن بسبب حمل القلوب المشتعلة، وليست القلوب المنطفئة، التي بقيت رهينة التاريخ أو رهينة معنى كان وظن أنه انتهى.

سأضرب مثالين؛ لنعرف طبيعة تعامل أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام مع القرآن.

● أولاً: مثال الرجل الصحابي من الأنصار، الذي أصيب بأسهم ثلاثة في ظهره، وهو يتلو سورة من السور، وقد كلفه رسول الله ﷺ هو وصاحب له بحراسة ثغر في غزوة من الغزوات أو بالأحرى عند الرجوع من غزوة من الغزوات، فقال الرجل لصاحبه وهماً بقم الوادي، يعني في منطقة الحراسة، والصحابة مع الرسول عليه الصلاة والسلام في داخل الوادي، حينما كلفهما الرسول عليه الصلاة والسلام بالحراسة بقياً بعيداً في مبتدأ الوادي أي في قمه يحرسان الليل.

فقال أحدهما للآخر أي قسم من الليل تحب أن أكفيك؟ أوله أم آخره؟ يعني سيقترسان الحراسة، أحدهما يحرس المسلمين أول الليل، النصف الأول، والآخر يحرس المسلمين النصف الثاني. فقال بل أكفني أوله، يعني يريد أن يتعب ربه ويقوم بالحراسة في النصف الآخر، ليدرك ثلث الليل الأخير، كما هو معروف لفصيلته ولكرامته.

فقال إذن استرح، فقام الرجل يصلي ويحرس، يقوم الليل في أول الليل، فجاء رجل من الكفار وكان له ثأر على محمد وأصحابه ﷺ، أي الدم، فأرسل سهماً إلى هذا القائم الذي يصلي بالليل فأصابه في ظهره، قال فنزعه فوضعه، أي ألماه جانباً وجعل الدم يسيل، وكان آنئذ وهو قائم يقرأ أو يرتل سورة من القرآن الكريم، ثم رماه بسهم ثان فنزعه ووضعته، ثم رماه بسهم ثالث، وهنا صعب على الرجل أن يبقى واقفاً، وركع ثم سجد، فسلم وأيقظ صاحبه، فلما استيقظ الرجل ورأى نزيف الدم الشديد، وقد لطح ثياب صاحبه، علم أن عدواً كان يرميه بالسهام، فقال سبحان الله أما

فالوحي له دالتان، أعني هذا اللفظ "الوحي"، دلالة مصدريّة من وحي يحي، أي عملية إنزال القرآن، أو تنزل كلام الله من عند الله عبر واسطة الملك جبريل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام، فهذا الحدث مصدر أو معنى مصدري وهو معنى الوحي. وهذا المعنى انقطع؛ لأنه لا نبي ولا رسول بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، لكن هناك معنى آخر للوحي لم ينقطع، وهو المعنى الاسمي، فكأن القرآن وحياً صار هذا اللفظ اسماً له، لقباً له، صفةً له، ولك أن تقول هذا القرآن هو الوحي، والوحي هو القرآن، فحينما قال «قل إنما أنذركم بالوحي» يعني بالقرآن، بنصوص القرآن، بآياته، بسوره، فذات القرآن وحي، وهذا لم ينقطع ولا يمكن أن ينقطع، فتلقّي أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام للقرآن عن رسول الله، كان بهذا الاعتبار، ذلك التلقّي كان بهذا الاعتبار أي باعتباره وحياً.

أسلم وجهي لله الذي خلقني، يعني الخضوع التام. فكل هذا كما تعلمون معنى أو معان معلومة لنا بشكل بدهي، توحيد الله عز وجل، أي عبادته، والدخول في زمرة المسلمين، والذوبان في بيئة الإسلام، والانسجام مع البيئة الإسلامية. كل هذا واضح، لكن الشيء الغريب هو قوله بعد «وأن أتلو القرآن». هذه وظيفته الدعوية، وظيفته التجديدية قائمة فقط على تلاوة القرآن؛ لأن قوله «إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء» هذا من حقوق الربّ على نفسه ﷺ دخوله في زمرة المسلمين أيضاً تابع لهم، فهذا سلوك -لازم كما يقول النحاة غير متعد- يعني هو في ذاته عابد لله، ثم هو في ذاته مسلم لله، لكن تلاوة القرآن فعل متعد إلى الآخرين، «وأن أتلو القرآن» الدال عليه ما جاء بعده، وذلك قوله «فمن اهتدى» بتلاوة القرآن، فلتنفسه، «فإنما يهتدي لنفسه»، «ومن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، نسأل الله النجاة والعق لنا ولكم وللمسلمين أجمعين من النار.

في حقيقة الأمر أيها الأحبة الكرام ما تلي من كلام الله جل وعلا قبل كان كافياً وشافياً ووافياً، وكل الكلام الذي سألوه بحول الله جل جلاله إنما هو يدور حول ما قرئ قبل قليل.

وحول طبيعة هذا المقروء القرآن، الوحي، ولذلك عبرت بعبارة "الوحي" في عنوان هذه الكلمة كما قرأتم: «الوحي، طبيعته أو حقيقته، ووظيفته»، وكان يمكن أن أقول القرآن، وكل ذلك سواء، لكن التعبير بالوحي عندي مقصود؛ لأنه المفتاح.

الوحي : طبيعته ووظيفته

الوحي هو اللفظ المفتاح لإدراك معنى القرآن، يعني إدراك معنى القرآن ليس من حيث التفسير، لا، قبل ذلك، من حيث طبيعة هذا المسمى القرآن، ما معنى القرآن؟ ما معنى كتاب الله جل جلاله؟

كلمة الوحي هي المصطلح المفتاح لهذا المعنى العظيم، الذي قامت هذه الأمة، وبه ما زالت قائمة، وبه تتجدد في كل حين بإذن الله، أقرأ آية من كتاب الله جل وعلا لها دلالة في هذا السياق أو على الأقل تثير هذه الحقيقة في أنفسنا، وذلك قول الله جل وعلا على لسان رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بعد أعود بالله من الشيطان الرجيم «إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فقلّ إنما أنا من المنذرين» (النمل : 93-94)، هذه الآية بما فيها من أدوات الحصر : «إنما» مرتين، تدل على مفهوم عظيم جداً، مرتبط بطبيعة هذا القرآن، ومربط بوظيفة هذا القرآن الوحي، ودال أيضاً على مدى البعد الذي نعانیه نحن كمسلمين عن حقيقة القرآن الكريم، «إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء» يعني لا وظيفة لي -القول لرسول الله ﷺ بالمعنى محكياً عنه، يحكيه رب العزة جل جلاله- «إنما» كما تعلمون حصر.

أي لا وظيفة لي، ولا مهمة لي إلا أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها أي مكة، وله كل شيء، أي بما هو خالق للعالمين، الخالق، وله كل شيء «وأمرت أن أكون من المسلمين» أن

أول شيء يتحققه الإنسان، حينما يتحقق من معنى الوحي

القرآن، أن القرآن يُعرّفه بصاحبه -الله جل جلاله-.

هذا الذي يغيب عنا أيضاً كثيراً ونحن نقرأ القرآن، صحيح نحن مؤمنون لا شك في هذا، وعلى يقين بأن هذا القرآن أنزله الله من فوق سبع سموات على قلب رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ولكننا ننسى أثناء التلاوة ننسى، يجب أن نتحقق من أن الله جل جلاله إذ نقرأ القرآن أنه سبحانه يتكلم.

لنرجع إلى أصل الإشكال، نحن نقرأ القرآن، ولكننا في غالب أحوالنا الغالب الراجح كما هو مشاهد بيننا ومجرّب أننا نقرأه باعتباره مصحفاً، ويغيب عنا معنى الوحي، بل إذا حضر فإنما يحضر المعنى التاريخي الذي كان وانقطع.

أقول هذا القرآن يعني كان وحياً، لكن يغيب علينا أنه ما يزال أيضاً وحياً، وسيبقى كذلك وحياً إلى يوم القيامة، هذا يغيب كثيراً، فالمعنى التاريخي الذي كان لا يؤثر فينا ذلك التأثير المطلوب، ولذلك نبقي حبيسي المصحف؛ لأن تسمية المصحف مصحفاً، إنما هو من حيث كونه مصحفاً، أو صحيفة أي ورقاً.

وبهذا الاعتبار ينقص تأثيره في القلب، بل نفقد مفتاحه الذي كان لدى أصحاب رسول الله ﷺ، إذ به كان يقع للقرآن في قلوبهم ما كان يقع.

فهذا المعنى العظيم الذي نحاول أن نصل إليه بحول الله الذي هو الوحي هو موجود في كتاب الله جل وعلا، باق، وهو نور، كما قال الله سبحانه، «ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا» (الشورى : 49)، «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» (النور : 39)، فالقرآن نور، وهذا النور ليس مجازاً أي ليس تشبيهاً ولا تمثيلاً، بل هو حقيقة، نور روحاني،

ضلّ فقلّ إنما أنا من المنذرين». النذارة كل النذارة في تلاوة القرآن. ولذلك نضع دعوى في البداية ونستدل عليها بعد بحول الله بما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، تلاوة القرآن الكريم، وتلاوة القرآن فقط قادرة بإذن الله على فعل كل شيء، قادرة على التأثير في جميع الحياة العمرانية، سياسة، واقتصاداً، واجتماعاً، ما شئت ما شئت من مكونات العمران البشري.

تلاوة القرآن فاعلة في كل شيء، لمن يتلوه حقاً، قد يقول قائل هاهو ذا كتاب الله يُتلى بيننا صباح مساء، وكلّ منا يتلو على قدر طاقته ما يسر الله له من القرآن، وكثير يشتكي أنه لا يجد لذلك أثراً في قلبه، ولا يجد لذلك أثراً في الواقع، إصلاحاً وتصحيحاً وتقويماً.

المشكلة الأساس هي هنا :

كيف نتلو القرآن؟

كيف نقرأ القرآن؟

أو بأي اعتبار؟

قلت في بداية الكلام، الكلمة المفتاح هي الوحي، رسول الله ﷺ كان يتلقى القرآن وحياً وأصحابه أيضاً كانوا يتلقونه، بل كانوا يتلونه وحياً، وسابن هذا بحول الله، «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» (النجم : 4) «قل إنما أنذركم بالوحي» (الأنبياء : 45).



الوحي حقيقته ووظيفته.....

(تكملة)

جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» (الزمر : 22)، هذه الشعيرة دالة على صدمة، معروف هذا نفسيا وعصبيا، والإنسان حينما يتلقى تيارا كهربائيا يصعق به يُصدم، ويحدث في جسمه كله شعيرة شديدة على مقدار الصدمة، آيات القرآن، وأحوال أصحاب رسول الله ﷺ صحيحة، وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام من مثل قوله «شَيَّبَتْنِي هُوْدُ وَأَخَوَاتُهَا» وغير ذلك كثير.

كل ذلك دال على أن هذا القرآن نورٌ لاهبٌ، أو إن شئت أن تقول بلغة العصر تيار كهربائي من عالم الروح لا من عالم المادة قطعاً.

«وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» (الشورى : 49) هو روح، فالقرآن روح، وهذا الروح نور، وهو نور لاهبٌ حارق مؤلم، فإذا صبر الإنسان على ذلك تحول ذلك الألم إلى لذة، بنص القرآن، «ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» من بعد ما اقشعرت، من بعد ما صُدمت من هذا التيار، الصبر على ذلك يُحوّل تلك الطاقة التي نزلت على القلب إلى لذة.

أهْبَبْتَنِي، أي أما أيقظتني؟ ماذا قال؟ قال : إني كنت أقرأ سورة فما أحببت أن أقطعها، سورة من القرآن، يعني تعلقهم بالقرآن كان بصورة لا نستطيع تصور حقيقتها؛ لأنه تعلق وجداني رفيع عال.

ثم قال ولولا أمرٌ أمرني رسول الله ﷺ أن أحمي ثغره، لأتممتها، أو لقطع أنفاسي دونها. سابقى واقفاً، إما أن أتم السورة، وإما أن يقتلني وأموت وأنا أقرأ القرآن.

● **ثانياً :** المثال الآخر، مثال أُسَيْد بن حُضَيْر المشهور الأنصاري (رضي الله عنه)، هو مثال مشهور متداول، هو حينما كان يقرأ القرآن وحيداً بالليل، فاضلته غمامة من النور، ما يشبه الغمامة، وكان ابن له صغير ينام، قريباً من مربد فرسه، فحينما كان يقرأ هذا الصحابي أُسَيْد، جعلت الفرس تجول تتحرك، فخاف على ابنه أن تدوسه الفرس، فسكت، فلما سكت سكنت الفرس، ثم عاد فقرأ فجالت الفرس، فسكت، فسكنت الفرس، ثم عاد فقرأ، فجالتها الفرس، فسكت فسكنت الفرس، هنالك رفع النظر من حيث لا يشعر إلى السماء، فرأى سرجاً من النور -جمع سراج- مصابيح كالنار ترتفع في الفضاء بلبل شيئاً فشيئاً فشيئاً حتى غابت في السماء، فلما أصبح قصد رسول الله ﷺ وحكى له القصة وكان كلما حدثه بمقطع من القصة كان النبي ﷺ يقول له: اقرأ أُسَيْد، يقول: فقرات، فجالت الفرس، يقول له: «اقرأ أُسَيْد، وهكذا كل مرة النبي ﷺ يقول له: اقرأ أُسَيْد، فلما انتهى قال: تلك الملائكة نزلت تستمع الذكر، ولو بقيت تقرأ لأصبحت يراها الناس، أو بحيث يراها الناس، ما تستتر منهم»، أو كما قال ﷺ.

والحديثان ثابتان صحيحان كما يعلم أهل صناعة الحديث.

الأمثلة إزاء القرآن في الجيل أصحاب رسول الله كثيرة جداً، ولو قام أحد باستقراؤها وتتبعها أنا على يقين بأنه سيجمع أكثر من مجلد من هذه العجائب والغرائب الصحيحة الثابتة.

ما الفرق بيننا وبينهم؟ القرآن هو القرآن، المشكلة هنا، النور يجلب النور، حينما يقرأ الواحد من المسلمين القرآن باعتباره وحياً يشتعل القرآن بفتيل قلبه، «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء» (النور : 35) -القرآن هكذا قال المفسرون- «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار» نار الإيمان، فإذا مسَّته «نورٌ على نور»، يشتعل الآن، ينقذ النور؛ لأن زيت القرآن البراقة قابلة للاشتعال، ولكن لابد من يَفْرُك الحجر الذي يُشْعَل، لابد من يَفْدَح الكبريت ليشتعل الزيت، وهذا إنما يقع في قلب العبد، ولذلك يكون للقرآن في القلب بهذا المنهج ألم، يقل ﷺ : «شَيَّبَتْنِي هُوْدُ وَأَخَوَاتُهَا» فهذا دالٌ على المكابدة والمعاناة وهو في كتاب الله، كثير من مثل قوله جل وعلا، «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين

واحدة، بل لو أنزل على الجبل لكان ما كان كما تعلمون» لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً» (الحشر : 21) أي يتشقق من خشية الله.

فهذا النور، هذا الوحي حينما كان ينزل على رسول الله عليه الصلاة والسلام، كان يحدث له ما يحدث، وكذلك كان أصحابه حينما يتلقونه، فرفقاً بالناس ورحمةً بهم أنزل الله عز وجل القرآن منجماً آيات آيات، ليس فقط حتى يستطيعوا إنجاز التكليف - وهذا مقصود طبعاً ومذكور في النصوص - ولكن أيضاً حتى لا تحترق طاقاتهم، حتى لا تتحطم أبدانهم وأعصابهم؛ لأن القرآن ثقيل، «إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» (المزمل : 4) فإذا كابد العبد القرآن اشتعل هذا القرآن في قلبه، ورجع إلى أصله، كيف؟ يعني هذا القرآن حينما تكابده ولو جزء ولو سورة الإخلاص ما شئت، ولو آية، تكابدها ترتيلاً ومدارسة وتثديباً وتهذيباً لزوائد القلب من الآثام والآفات وتحققاً بأخلاقها وأحكامها وحكمها، كل ذلك مكابدة حينما يحصل ذلك منك

العمران بمعناه الشمولي يتعلق بسلوك الإنسان كله، عمران

المادة، وعمران الروح، الأخلاق عمران، السلوك الاجتماعي عمران، المسجد

عمران، الصلاة عمران، ولذلك عبر الله عز وجل أومدح الله الذين يعمرون

مساجد الله يعمرونها بالصلاة، يعمرونها بالروح، لا تبقى خربة

خاوية على عروشها

تَرْجِعُ الْآيَةَ إِلَى طَبِيعَتِهَا، يرجع الوحي إلى أصله، يرجع القرآن إلى مصدره، وهو الوحي.

بمعنى أنه ينبثق النور الوحي، وهذه الصفة الاسمية التي مازالت تصاحب القرآن ولن تزال تصاحبه إلى يوم القيامة فيرتفع من قلبك نور، يغمر كل بدنك، عينيك، أذنك، لسانك، كل شيء كل شيء.

وتعلمون حديث الولاية في صحيح البخاري فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن استعاذني لأعिذته، ولئن سألني لأعطينه، بم؟ بأنه دَابَّ وَكَابَدَ النوافل، وأمّ النوافل صلاة الليل كما هو ثابت في كتب الصحيح.

في صحيح البخاري قول النبي ﷺ : «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»، وصلاة الليل إنما هي قرآن، تلاوة، ترتيل، ومكابدة ومناجاة مع الخالق، وخلوة مع الرب، ونظر عميق إلى آفات النفس، تنكشف نفسك مرآة بين يديك، فتري ثغراتها، وترى نقائصها، وترى الشوائب التي شابتها، فتقوم الآيات بوظيفتها من التطهير والتشذيب والقص، حتى ترجع النفس إلى فطرتها.

أنشد وقد استنار البدن كله وهذه حقائق ليست خيالات، ليست تمثيلات، نور الروح، الروح نور، الروح نور،

يرتفع ذلك النور من القلب كالحبل الأثير يرتفع في السماء شيئاً فشيئاً فشيئاً حتى يتصل بالملأ الأعلى، في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً وقد خرج عليهم في المسجد «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله؟»، قال لهم في البداية طرف الحديث «أبشروا أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله»، قالوا بلى يا رسول الله، قال: «فإن هذا القرآن سبب».

ولفظ "سبب" هنا في هذا السياق بمعنى الحبل، وهو معنى حقيقي، لكنه حبلٌ من نور، حبل روحاني، «فإن هذا القرآن سبب، طرفه الأعلى بيد الله، وطرفه الأدنى بيد من تمسك به».

والتمسك أو التمسك الذين يُمسكون بالكتاب، يعني يُمسك يقبض عليه كما يقبض أحدكم على الجمر، كما في الرواية الأخرى من الحديث.

وأيضاً حديث الطبري الصحيح الإسناد من قول النبي ﷺ : «كتاب الله حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»، كل الناس يمكنه أن يصل قلبه بالله، بشرط أن يوقد فتيل قلبه، أن يُشْعَل مشكاة روحه، فيألم، ويجد حرّ القرآن، ويقرأ القرآن الوحي.

هذا العمق الغيبي الذي يصل العبد بالله، فإذا كان ذلك كذلك صار لهذا الوحي في القلب وظائف عظمى.

الآن نرجع إلى أنفسنا، وإلى حياتنا في زماننا هذا، أفراداً وجماعات ومؤسسات؛ لأن القرآن هو للجميع، يحل المشكلة الجزئية الصغيرة التي يعانيها الفرد في نفسه، أو في أسرته، ويحل المشكلات الكبرى على المستوى الحضاري؛ لأنه كلام رب العالمين.

وظائف الوحي

الوظيفة الأولى: وظيفة التعريف بالله :

فاول شيء يتحققه الإنسان، حينما يتحقق من معنى الوحي القرآن، أن القرآن يُعرِّفه بصاحبه -الله جل جلاله-.

هذا الذي يغيب عنا أيضاً كثيراً

ونحن نقرأ القرآن، صحيح نحن مؤمنون

لا شك في هذا، وعلى يقين بأن هذا

القرآن أنزله الله من فوق سبع سموات

على قلب رسوله محمد عليه الصلاة

والسلام، ولكننا ننسى أثناء التلاوة

نُنسى، يجب أن نتحقق من أن الله جل

جلاله إذ نقرأ القرآن أنه سبحانه يتكلم.

لأن القرآن كلام الله، أنت تقرأ

صحيح، لكن الله هو الذي يتكلم، ودليله

من القرآن، «وإن أحد من المشركين

استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم

أبلغه مأمناً ذلك بأنهم قوم لا

يعلمون» (التوبة : 6) حتى يسمع كلام

الله ممن يسمعه؟ شخص ما يتلوه، من

الصحابة أو من المسلمين، بصفة عامة،

في أي زمان أو مكان، ولكن ماذا يسمع؟

يسمع كلام الله، فالقرآن الوحي يشعرك

بهذه الحقيقة بقوة، فتشعر وأنت تقرأ

القرآن بالخضوع لرب العرش، لرب الملك

والملكوت، تتلقى الأمر والنهي، فيقع

بقلبك مَوْقِعَ الْمُقْصَآت، أو الْمُقَاص، جمع

مقص، يقطع الأشجار أو الأغصان

الزائدة، ويهذب ويهذب ويخلك بأخلاق

القرآن.

يعني أن تتخلق بأخلاق القرآن وأنت

تتمة: ص 54



الوحي حقيقته ووظيفته.....

(تكملة)

أو مدح الله الذين يَعْمُرُونَ مساجد الله يعمرونها بالصلاة، يعمرونها بالروح، لا تبقى خربة خاوية على عروشها، فاستعمار الله الإنسان في الأرض هو توظيفه فيها، فإذا أقاله قبضه إليه، الإقالة أو يعني باللغة المعاصرة، أو التقاعد يعني الوفاة لا وجود، لا وجود لعطالة في شخص الإنسان المسلم على الإطلاق، العطالة والبطالة هنا، في دماغ الإنسان.

المشكلة إذن أننا لم نتحقق بعد بمعنى الوحي الذي يَعْمُرُ حياتنا، وأنا على يقين لو أن المسلمين يأخذون القرآن بحقه آية آية، بل كلمة كلمة، لتخلقت الحياة من جديد على موازين القرآن، والقرآن وحده دعوة كافية، القرآن مؤسسة، بل مؤسسات من العمل الدعوي والإصلاحية بكل فروعه، لكنه برنامج الله، ومنهاج الله، اليقين القطع، الذي لا ياتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فإذا وقع على شيء جعله أخضر وجعله يانعاً وأثاره، الكل يخضع له؛ لأن القرآن يطرق باب

تتلو الكتاب، المصحف من حيث هو صحيفة نزل من السماء في التاريخ، وتنسى أن وحىه حي الآن؛ لأن كلام الحي حي، والله هو الحي الذي لا يموت، وكلامه كذلك حي لا يموت.

وهذا معنى الوحي الذي نتحدث عنه في هذا السياق، فشيء عظيم جداً أنك إذ تقرأ القرآن تشعر بأن الله يُحَدِّثُكَ، يكلمك، ولذلك كانت صلاة الليل، بل كل صلاة، مناجاة بين العبد وبين الرحمن بسبب ما يتلى فيها من قرآن، طبعاً إن كان على هذا الميزان.

الشيء المهم هاهنا أيضاً، أننا نتحقق من معنى آخر فرع عن هذا؛ لأنك حينما تعرف ربك بالقرآن تعرف نفسك، وتدرك أنك بآئك -أنا وأنت- بأني مجرد عبد، وما أكثر ما ننسى بأننا عبيد، لا أحد منا قرر أن يولد في سنة ولادته، ولا اختار جنسه، ولا اختار أباه وأمه، ولا حتى اختار حياته عند التدبر والتعمق، ولا أحد منا اختار النوائب -عافانا الله وإياكم من النوائب- ولا اختار ساعة وفاته، الإنسان عبد لا يملك نفسه، لا يستطيع أن يستيقظ متى يريد، وإنما نستيقظ جميعاً عندما يأذن الله، وحينما لا يأذن لعبد من عبده أن يستيقظ، فإنه لا يستيقظ إلى يوم القيامة.

فهذا ركن عظيم، وهذه أولى وظائف الوحي، القرآن الوحي، خبر جاء من السماء ليخبر الإنسان أنه مملوك، فلا يسرف على نفسه كثيراً، مملوك، وأن له رباً خالقه، وأن أمره -كل أمره- بيد هذا الخالق، وهذا مدار كل ما يُدرَسُ في علم التوحيد من أوله إلى آخره.

الوظيفة الثانية: الوظيفة العمرانية:

الأمر الثاني: من وظائف الوحي الوظيفة العمرانية، عمران الأرض، فوجود الإنسان في الأرض ليس عبثاً، خلافته، استعمارها فيها، كل ذلك لهذه الوظيفة، وهذا كله دأب حول معنى العبادة، عبد، بل عبودية، ليمارس العبد عبادته لله، فيَعْمُرُ الأرض بأمر الله كما أمر الله، يصلح ولا يفسد، يبني ولا يهدم، ويمد أوامر الأخوة، ويمتد النسيج الاجتماعي، ويكون عنصراً إيجابياً فعالاً في بناء العمران.

والعمران بالمناسبة في القرآن وفي السنة ليس مجرد بناء، أبدأ، العمران روح، أما البناء بكل أنواعه إنما هو بصمات هذا الروح، بصمات، فالعمران الإسلامي يعني العمران الذي يبنيه المسلم تجد بصماته واضحة، بصمات المسلم على ذلك العمران، البناء، الجدار، الحجر، يعبر عن خلق إسلامي رفيع، يعبر عن خلق، يعبر عن أخلاق الحياة، وعن أخلاق التكافل بمال جدران المسلمين وبيوتهم، كثير من هذا يصدق على العمارة الإسلامية القديمة، وكل شيء تأثرت البنية الحديثة بالعمران الآخر، وما من حجر إلا من ورائه رؤية، ونظر، وفلسفة. فنرجع إلى ما نحن فيه العمران بمعناه الشمولي يتعلق بسلوك الإنسان كله، عمران المادة، وعمران الروح، الأخلاق -عمران، السلوك الاجتماعي عمران، المسجد عمران، الصلاة عمران، ولذلك عبر الله عز وجل

لأن الله خاطب الذرية وهي في عالم الذر، وإجماع أهل العلم إلا من شذ أن الله خلق الأرواح قبل الأبدان، ولكم أن تتأملوا حديث الصحيحين في قول الرسول ﷺ: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، أرواح، متى تعارفت؟ في عالم الغيب قبل أن تزرع في الأجساد، ولذلك أنا وأنت في التجربة الاجتماعية العادية تجد شخصاً فيقع في قلبك حبه والإنسجام معه، مع أنك لم تره قط في حياتك، تقول والله كاني أعرفه منذ عشرين سنة، وترى آخر فتتفرق منه، وما بينك وبينه عداوة، بل لم تره قط، أي مؤثر هذا؟ فهي مؤثرات نفسية عميقة، بل ضاربة العمق في جذر قلب الإنسان. فهذه الوظيفة التي هي العمراني هي رسالة ثانية، نعرف الله أولاً، رسالة أولى، ثم نعرف وظيفتنا في الأرض.

الوظيفة الثالثة للوحي التعريف بالآخرة:

الأمر الآخر أو الثالث والأخير نعرف الآخرة، لو قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره لوجدت ثلثي آية، أو يزيد يتكلم عن الآخرة، ولك أن تقول هكذا، على

إذا لم تكن على معرفة بالله المتكلم بالقرآن.

ولم تكن على معرفة بوظيفتك فوق الأرض التي ناطها بك هذا القرآن.

ولم تكن على يقين بالمآل الذي سنصير إليه.

لن تقرأ القرآن ولو تلوته مراراً، فقراءة القرآن إنما هي بالوحي،

وبالوحي فقط

سبيل التعريف : القرآن هو كتاب الآخرة.

هذا المعنى العظيم نحن نؤمن به عقيدة؛ لأنه ركن من أركان الإسلام، لكنه يغيب من شعورنا اليومي؛ لأن الإنسان ضعيف ويغرق في الجزئيات، يعني الإنسان يغرق في الجزئيات، ولا يستطيع أن ينظر نظراً كلياً إلى العمر وإلى الحياة إلا في الخلوات يعني في مجال يجلس وحده يتأمل، أما داخل البنية أو الحركة الاجتماعية وهي حركة تشتعل بالجزئيات اليومية، هذه الجزئيات اليومية تجعلنا ننسى حقيقة وجودنا، بل نتوهم من حيث لا ندري أننا لن نموت أبداً، مع أننا يعني قبل أن نُؤذَنَ أو نُعَلَّمَ أو نُخَبَّرَ بالرحيل في أي لحظة، بل ننظر إلى الجيل السابق سُخٍ، نَسَخَهُ هذا الجيل، أبناؤه، أنا حينما أنظر إلى ابني ينمو بين يدي أفرح، قرة عين، لكنني أرى فيه ناسخاً لحياتي، وعلى قدر نموه يكون شعوري بأن الرحيل قد قُرب، هذا الأمر عام، ولكن مشكلتنا أننا نقول إذا عمت هانت، لم تهَن، ولا تهون أبداً؛ لأن كل إنسان سيعيش التجربة وحده، فهذا غلط عند كثير من الناس، إذا عمت هانت، لا، قضية الموت وقضية الآخرة، وهي الرسالة الكبرى في القرآن ليست أمراً هيناً، ولا هي مما يعم الناس فيتفرقوا فيهم، لا، لا يتفرقوا، لكل مقداره وذوقه، «كل نفس ذائقة الموت»، وعبر بهذا التعبير العجيب،

العجيب حقاً، ذائقة، كان يمكن أن يقال كل نفس تموت، وهو كذلك، لكن عبر بالذوق اسم الفاعل، الدال على التصاق الفعل بصاحبه، وأنه لا أحد ينوب عن أحد فيه، وأن لكل إنسان موته، أي حقيقة الموت، وتجربة الموت، هذه العبارة التي أبحث عنها، لكل إنسان تجربته سيجربها، سيدوقها؛ لأن الأنواع لا تنقل خبراتها أبداً، لا في عالم المادة، ولا في عالم الروح، لا تستطيع أن تشرح لإنسان حلاوة العنب، مستحيل، الحل الوحيد أن تعطيه عنباً يأكله، أنتذ فقط سيعرف معنى حلاوة العنب التي أنت تتحدث عنها، لا تستطيع أن تنقل الألوان إلى بصير فاقِد للبصر، مستحيل، طبعاً إذا كان لم يبصر قبل، بل حتى ولو كان قد أبصر؛ لأن الألوان لها تجليات، غروب الشمس كل يوم له تجلٍ، شروق الشمس كذلك، لون البحر، لون السماء، كل شيء كل شيء، ما زلت أذكر يوماً لا أنساه، رجل كفيف البصر كان يجلس بجانبني في مكان ما -حفلة- فكنا نتذاكر، فسالني عن لون الفجر، والله شعرت بالحر، وعجزت؛ لأنني أعرف أنه كان أكْمَهَ يعني ولد أعمى، من يستطيع أن يشرح له لون الفجر؟ أبداً، لا يستطيع أحد؛ لأن الأعمى الذي سيدرك الألوان سيدركها بالذاكرة وهذا فاقِد لذاكرة الألوان؛ لأنها لم تسجل قط في ذاكرته، هذا مثل ضربته في مجال الذوقيات.

لأن اللون ذوق، والسمع ذوق، يعني الأحاسيس المادية أذواق، ليس فقط اللسان هو الذي يذوق، هذا في الأطعمة، كل شيء يدرك بالحس ذوق، فما بالك بعد ذلك بأذواق الروح، أدهى وأعظم، والموت ذوق من أذواق الروح، وهذا ركن ورسالة من أعظم رسالات القرآن بما يتبعها من حقائق اليوم الآخر، ولذلك قال عز وجل في كتابه «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» (ق: 22) بعد الموت، من الحدة حديد، من الحدة والدقة، وترى الأشياء على حقائقها؛ لأنك تجربها الآن.

القرآن الوحي في خاتمة الكلام يُعَرِّفُنَا بهذه الأمور الثلاثة : معرفتنا بالله.

ومعرفتنا بوظيفتنا.

ومعرفتنا بمال الحياة فوق الأرض، مالها، مصيرها، وان الدار الآخرة هي الحيوان، أي هي الحياة الحقيقية.

وهذه المداخل الثلاث هي مفاتيح لكل أركان الإيمان بعد ذلك في القرآن، وهي مفاتيح فهم الشريعة بكل حقائقها، سواء تعلق الأمر بالعبادة أو بالعادة، أو بالنظام الأسري في القرآن، ما شئت ما شئت ما شئت.

إذا لم تكن على معرفة بالله المتكلم بالقرآن.

ولم تكن على معرفة بوظيفتك فوق الأرض التي ناطها بك هذا القرآن.

ولم تكن على يقين بالمآل الذي سنصير إليه.

لن تقرأ القرآن ولو تلوته مراراً، فقراءة القرآن إنما هي بالوحي، وبالوحي فقط أقول قولني هذا وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



آخر حوار أجرته المحجة مع الدكتور فريد الأنصاري في شهر أبريل 2009 قبل ذهابه الأخير إلى تركيا (تتمة)

يشتغل بها الشباب أقول : لا بد من العودة بالشباب إلى زمن القراءة، لأن القراءة مؤثر يعبر بشكل عميق جدا عن مستوى الجيل من حيث قابليته للخير والنمو بالمعنى الروحي والفكري... وجيل اليوم فقد هذه القدرة على القراءة لأسباب متعددة، أنا لا أحمل الإعلام فقط المسؤولية، رغم أنه له دور كبير، ولكن أحمل الدور الأكبر للمدرسة. البرامج المدرسية والتوجيهات المدرسية فيها أشياء كثيرة قتلت روح القراءة في الشباب. من الطفولة في المدرسة إلى الشباب في الجامعة، فحينما يحيل الأستاذ أو المعلم التلميذ أو الطالب على مواقع معينة من الإنترنت أو يكلفه ببحث عن شخصية معينة وعن قضية في الإنترنت.. معناه أنه قتل إرادته وشخصيته وموهبته في البحث، لا بد من تربية النشء على صحة الكتاب، من حيث هو وجود ذاتي مستقل عن عالم الإنترنت والفصائيات، لا بد أن تكون النصوص الموجودة في الكتاب المدرسي تحيل على كتب.

أنا أذكر نازلة كان لها تأثير كبير على نفسي وأنا في الابتدائي، أذكر أن معلما كان يدرسنا قطعة من كتاب التلاوة، وكانت هذه القطعة للدكتور طه حسين، ونحن لم تكن لنا خلفية بطه حسين ولا بكتاب الأيام ولا بكتبه الأخرى، لكن هذا المعلم بذكائه جاءنا في يوم من الأيام بالكتاب الأصل الذي أخذ منه هذا النص الذي كان جزءاً من قصة، وكنا نقرأ النص ونتمنى لو عرفنا تيمة القصة، فهو اقتطع بشكل جيد وتوقف المؤلفون على نقطة حسنة من النص، لكن كنت أشعر بأن وراء هذا النص شيئاً، لكن في سني ومداركي لم تكن لي القدرة لأعرف أن هذا المؤلف وهو عبارة عن كتاب، وتعجبنا وقلنا إن هذا كتاب، ومنذ ذلك وقع في نفسي عزم كبير على شراء ذلك الكتاب، وفعلنا اشتريته، حدث هذا وأنا في السنة الخامسة ابتدائي، وكنت أشتري من الكتب ما جرت العادة الآن أن يشتريه طلاب الجامعة، صحيح لم تكن لي القدرة على الفهم العميق لفلسفة النص وما وراء النص، لكني كنت أجد متعة في ذلك الأسلوب من حيث لا أدري، وكان ذلك يخلق لي عالماً أستغني به عن جميع الملاحى بما في ذلك جهاز التلفزيون الذي كان آنذاك محدوداً، كان كافياً ليفتن الأطفال والشباب.

لكن مع ذلك وبأسلوب المعلم وبدسامة كتاب التلاوة أي المقرر المدرسي، استطاع هذان الأمران أن ينقلا التلاميذ من مجرد نص محدود إلى فضاء لا ينتهي من القراءة والمؤلفات، كانت البداية الأولى بالنسبة لي للإبحار في عالم القراءة وعالم المكتبات، وحينما انتقلت إلى الإعدادي صار الأمر عندي أعظم وفي سنوات الأولى من الإعدادي بدأت أقرأ لنجيب محفوظ.

فالأزمة الكبرى الآن بالنسبة للأولويات هي العودة إلى زمن القراءة، وتربية النشء على صحة الكتاب ومحبته، لأن هذا سيسهل عملية الدعوة وإعادة تشكيل العقل الإسلامي وإعادة تجديد الدين، لأنه حينما ينزل مشروع تجديد الدين على أساس متين من جيل محب للقراءة والكتاب سيكون له شأن آخر بإذن الله عز وجل. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والإفراط كما كان الآخرون من أهل التفریط، والحقيقة أنه واجب على العلماء أن ينزلوا إلى الساحة من أجل الأخذ بزمام المبادرة لوضع قطار الدين والدعوة على السكة وعلى الطريق الوسط المعتدل.

● في سياق قريب من هذا، كيف يجب أن تكون علاقة الشباب بالقرآن الكريم حتى يعيش معه ويتخلق به؟

● قضية الشباب والقرآن هي أم القضايا في حقيقة الأمر، إن شئنا أن

بناء الفطرة تعني بناء الإنسان السوي. وهذه خطوة ما قبل الصفر. إذا وصلنا إلى نقطة الصفر فنحن تقدمنا كثيراً.

إذا وصلنا إلى نقطة الصفر فمعناه أنه صار على الفطرة، وهي صفحة بيضاء، وهذه الفطرة لها القابلية للخير، كل خير غرسه يزهو ويعلو ويثمر، لكن أن تغرس شيئاً في غير تربة، على غير أصل، فلن ينتج شيئاً. وهذا هو السر في تسمية تلك الكتب التي أصدرتها قبل بالفطرة، كأن

مشروع الأمة، يحتاج إلى جيل، وربما إلى أجيال ولهذا قلت أنا على الطريق، المهم أن يكون الإنسان يخوض الأمر الدعوي في بحر القرآن، ونسأل الله عز وجل السداد والتوفيق حتى نلقاه عز وجل ونحن على منهاج القرآن الكريم.

نعرفه نقول هو كتاب التعريف بالله: ربا وإلهاً ومدبراً حياً قيوماً... وكل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى. قام القرآن ببيان ذلك إما من خلال الأسماء والصفات، وإما من خلال أحكام أو مواقف معينة في قصص الأنبياء والرسول، كل ذلك يعرف بالله عز وجل باعتباره ربا للعالمين، فحينما نقرأ في سورة الفاتحة في كل صلاة: "الحمد لله رب العالمين". هذا المفتاح العظيم به نبدأ، لأن المبدأ يجب أن يكون باسم الله وتعريفاً بالله، فلو أخذ القرآن بحقه وتلى حق تلاوته لكان له الأثر العظيم في الأمة، في التعريف بالله تعالى. وحينما يعرف الشباب ربه ويعرف حقوقه سيعرف الشباب نفسه، فما معنى معرفته نفسه؟ سيدرك أنه عبد مخلوق لعبادة الله

الفطرة منهج يُعتمد للعودة إلى الفطرة. هذا المصدر الصناعي فيه معنى الفعل والعمل والحركة، من أجل الفطرة، فنحن نعيش أزمة فطرة وأزمة فكرة قبل أن نتحدث عن البناء، لا بد من إعادة الأصل إلى أصله وتسوية النفس الإنسانية، والفطرة البشرية التي فطرها الله عليها.

● يعيش شباب الصحوة في دينه وفهمه للدين بين الغلو والتفريط ما هو المنهج الوسط في فهم الدين والدين؟

● المنهج الوسط في كتبه ومصنفاته وعلمائه، لكن المشكلة الآن في البيئة التي تصنع الوسطية شبه معدومة الآن، لأنه لكي يتخرج الإنسان على وسط في دينه وعلى وسط في سلوكه وأخلاقه وفهمه وأحكامه على الناس، لا بد أن يكون على

لا بد من تفعيل دور القرآن الكريم والانتقال به من مجرد محفوظ إلى محرك للحفاظ وغيرهم، إلى محرك اجتماعي في الأمة يحيي ما مات منها، والقرآن هو روح هذه الأمة: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾، والقرآن هو جهاد هذه الأمة على جميع المستويات. ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾، فالقرآن هو المسلك والسبيل.

عز وجل، وللقيام بحقوق الله، وهذا المعنى العظيم إنما يؤخذ من القرآن الكريم. ولهذا كان القرآن مسلماً أساسياً يجب اعتماده في تشكيل عقل الأمة، وسلوكها وتدينها وتجديد وجودها وعلاقتها بربها وعلاقتها بالشعوب والأمم الأخرى. مرجع ذلك تجديد العلاقة بالقرآن الكريم. صحيح أن هناك دور القرآن والتعليم العتيق... لكن لا بد من تفعيل دور القرآن الكريم والانتقال به من مجرد محفوظ إلى محرك للحفاظ وغيرهم، إلى محرك اجتماعي في الأمة يحيي ما مات منها، والقرآن هو روح هذه الأمة: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾، والقرآن هو جهاد هذه الأمة على جميع المستويات. ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾، فالقرآن هو المسلك والسبيل.

● ما هي الأولويات التي ينبغي أن يشتغل بها الشباب؟

● بالنسبة للأولويات التي ينبغي أن

لكتاب الله عز وجل، وأنا أثق في الله ثقة تامة أنني إن شاء الله عز وجل أتممها من أول الكتاب إلى آخره، أي من سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

● هل ذلك على شكل تفسير أم دراسات قرآنية؟

● أنا ما سميت به تفسيراً، لكن لا شك أن الناس يسمونه تفسيراً كالعادة، فالأمام الطبري رحمه الله كتب "جامع البيان" والناس أسموه تفسير الطبري، فهو يتحدث عن البيان وعن التاويل ولم يتحدث عن التفسير بالدرجة الأولى، ولا مشاحة في الاصطلاح.

فما أصنعه الآن ليس تفسيراً بالمعنى الدقيق للكلمة، فيه شيء من التفسير، وهو فقرة من فقرات العمل، أسميه عادة: البيان العام، لكن فيه شيء هو مركز الكتاب وهو ما سماه الأستاذ الشاهد البوشيخي بالهدى المنهاجي، عند كل طائفة من الآيات تقف على ما يمكن أن نسميه برسالة الهدى، وقد تكون الآية تحمل أكثر من رسالة، هذا الذي ركزت عليه أساساً، والهدى المنهاجي كما فسره أستاذنا، هو المعالم الرئيسة التي تحدد الوجهة وتعطي لبنات البناء للنفس والمجتمع في طريق استئناف الحياة الإسلامية وتجديد الدين في المجتمع. فهذا يكون مضمناً في آيات القصص بشكل كبير وفي كل الآيات، حتى في آيات الأحكام، ما من آية في كتاب الله إلا وتتضمن إشارات أو عبارات من المسمى بالهدى المنهاجي. وبعد ذلك أخلص إلى ما أسميته بمسلك الخلق، أي هذا هو الهدى الذي يطلبه الله منا. فكيف يمكن أن نتحقق بذلك خلقاً في أنفسنا وفي بيئتنا؟ أتحدث فيه عن الوسائل العملية والمسالك التطبيقية للخلق بأخلاق القرآن والتحقيق بهذه الرسائل الربانية، التي هي رسالة الهدى المنهاجي. وعلى الله التكلان

● لنعد يا شيخ إلى موضوع الشباب. ما هي قراءتكم لواقع الشباب؟

● الشباب الآن يعاني معاناة شديدة، وما أحسب أن جيل الشباب قد عانى في الأمة عبر التاريخ مثل ما يعانيه اليوم، الذي يحصل للشباب الآن نوع من التسفيه، وليس التجهيل فحسب، أو التفسيق، كل ذلك حاصل، لكن الأخطر هو التسفيه وأقصد به جعل جيل الشباب جيلاً من السفهاء، والسفهاء بالاصطلاح القرآني والاصطلاح العام لدى العلماء حينما يتحدثون عن السفهاء فيقصودون ذلك الذي لا يحسن تدبير ماله وجميع أموره، فهو إنسان ناقص العقل، أو ناقص القدرة الفكرية، لا يعرف ما يصلح له، ولا يعرف ما يضره ولا ما ينفعه، فهذا سفاهة. ثم بعد ذلك نتحدث عن الدين لأن الدين نزل مناطاً بالعقل، والعقل غير موجود عند هؤلاء الآن، تجد الإنسان بلغ الثلاثين سنة، في مرحلة نهاية الشباب ولا يزال يعيش طفولة في سلوكه، في تفكيره، فهذه أزمة كبرى. وسبب ذلك أمران كبيران:

- المدرسة: التعليم كان له سبب كبير في تدمير البنية العقلية للجيل.

- الإعلام، الذي أتى على البقية الباقية من عقول هؤلاء الشباب. أعني بالإعلام كل أنواعه، إعلام الإنترنت، وإعلام الفضائيات، وجميع أنواع الإعلام، فالمشكلة أننا نعيش جيل سفه يحتاج إذن إلى إعادة بناء العقل أولاً، وإعادة تجديد الفطرة التي اغتيلت واخترمت، وإعادة



بارقة

تشجيع فريد
لأخينا فريد



د. عبد
السلام الهراس

أن تفقد الدعوة رجلا في مرحلته الأولى من العطاء أمرٌ مقدّر ومصيرٌ مُسَطَّر، فمنذ البعثة المحمدية ونحن نشاهد خلال الدعوة المكية فالمدينة فما بعدها إلى اليوم مواكب الموت لأفئدة من قادة هذا الدين في ميدان القيادة والجهاد والعلم والحكم وهم في عنقوان شبابهم، فالدعوة إذا كانت صوابا وصادقة وموحدة وهادفة وإخلاصا وموافقة فإن الله يجعل البركة في الخلف ممن يطول عمره أو يقصر، المهم في الأمر ألا يموت العامل في ميدان الدعوة وهو مع القواعد أو تهجم عليه الأمراض وقد اختار أن يكون مع الساقطين في الفتنة أو في بيته مع الخوالب.

وأخونا الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري نشأ في جو إسلامي أصيل وتربى في بيئة أسرية عريقة وعاش مع ثلة من المؤمنين الصادقين وأكرمه الله بموجهين جمعوا بين العلم والإخلاص، وقد توسمت فيه الخير والفضل منذ عرفته، أما علمه فكانت مبادئه مبشرة بكل خير، وكما اشتهر شيخه الشاطبي رحمه الله بكتابه الموافقات فكذلك اشتهر الشيخ فريد بكتابه الفذ: "المصطلح الأصولي عند الشاطبي" وكتبه "مفاتيح النور" وهو بداية موفقة لمعجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكيات رسائل النور للإمام بدیع الزمان سعيد النورسي الذي أصبحت دعوته تنتشر حول العالم.

وقد اختار الله أن يستدعي -بفضله وكرمه- صاحب المصلح والمفتاح إلى جواره وهو في آخر شبابه، ومع ذلك فقد قضى سنواته الأخيرة مع كتاب الله وكأنه شعر بدنو أجله فأبى إلا أن يقدم بين يدي أجله كتاب الله، فعاش معه في بيته وفي المسجد وفي المستشفى، وكان له إنتاج غزير في ظلال القرآن الكريم وكان يزود المحجة ببعض ذلك الإنتاج، وقد أكرمه الله بزرع محبته في القلوب، فكان محبوبا في حياته ومأسوفا عليه كثيرا في مماته... وما رأت عيني منذ مدة طويلة جنازة كجنازته كثرة وتنوعا.. فقد امتلأت الشوارع بأهل مكناس وبكثير من خارج مكناس، ورأيت فيما رأيت من وجدة إلى الدار البيضاء. ولا أخفي أنني بكيت عندما نادى المنادي: الصلاة على الجنازة جنازة رجل! وكان رحمه الله بحق رجلا من نوابه الرجال علما وأخلاقا وورعا، ومن ورعه أنه لما عاقه المرض عن القيام بواجبه في المجلس العلمي أرسل طلبا يستعفي من مسؤوليته لكونه أصبح عاجزا عن القيام بها وهذه من أخلاق الرجل الذي صلينا على جنازته وشيعناه إلى مثواه الأخير، ورحم الله عبد الواحد بن عاشر إذ يقول: واعلم بأن أصل ذي الأفتات

حب الرئاسة وترك الآتي

فكان رحمه الله متحررا من عبودية الرئاسة والمظاهر والفوائد الدنيوية.

فاللهم ارحمه رحمة واسعة واجعل مأواه أعلى الجنان واجعل البركة في أولاده ونسله واخلف لنا ولهم خيرا من مصابنا فيه وألحقنا اللهم به مسلمين تائبين طائعين موحدين مطمئنين، ولا يسعنا إلا أن نردد ما أمرنا به القرآن الكريم: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

آخر حوار أجرته المحجة مع الدكتور فريد الأنصاري في شهر أبريل 2009 قبل ذهابه الأخير إلى تركيا

حاوره: الزميل ذ. محمد البويسفي

● السلام عليكم، مرحبا بكم يا شيخ في جريدة المحجة. بداية الحمد لله على تحسن حالتكم الصحية وعلى عودتكم لمنابر العلم والدعوة. نود أن نطمئن على حالتكم الصحية الآن؟

● بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهتدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

الحمد لله الذي يسر لي هذا اللقاء المبارك مع قراء جريدة المحجة، راجيا من الله العلي القدير أن ينشر الخير والبركات على هذه الصفحات المباركة، وأن يجعلها سببا للهدى وسببا لإشاعة النور وإشاعة الخير في الأمة.

أما بالنسبة للسؤال حول الصحة فأنا أحمد الله عزوجل، وأجدد الحمد والشكر كذلك، عندما أشعر أنني قادر على أن أفكر وأكتب بأصابع يدي ما يسره الله لي

أنا أسير على خطى أستاذنا الدكتور الشهيد البوشيخي فيما يمكن أن نسميه بالمدرسة القرآنية أو مدرسة الفطرة في الدعوة والدين، كما تعلمون الأستاذ البوشيخي من الأوائل الذين سبقوا إلى هذا المجال، وأرشدوا طلبة العلم ورجال الدعوة إلى الاشتغال بكتاب الله عزوجل، هذا المشروع هو نفسه. أقول هذا الكلام لأنني ما أحببت أن ينسب إلي مشروع خاص فهو مشروع الأمة ومشروع الدين، مشروع عام، كل يحمل منه ما يسره الله له من العلم ومن المسؤولية، وأنا على الطريق إن شاء الله تعالى، والذي على الطريق فليحمد لله

● يُقبل الشباب، والله الحمد، على كتبكم ومؤلفاتكم إقبالا كبيرا. هل من إصدارات جديدة تبشرون بها القراء؟

● في الآونة الأخيرة وبعد استشارة قررت أن أفرغ لكتاب الله عزوجل دراسة ومدارسة وخدمة، كانت لي كتبات كما يعلم القراء من قبل، رسائل علمية ورسائل دعوية ولكن تبين لي أن الأسلم والأحكم أن أشتغل بالقرآن فقط. ولهذا الآن ومنذ أكثر من سنة أشتغل بدراسة كتاب الله عزوجل، بعضها أرسل إلى المطبعة للطبع والنشر بحول الله تعالى، وبعضها لا يزال قيد الدرس.

فهذا هو الجديد الآن أنني أشتغل بتأليف مدارس

تتمة: ص 55

أن أكتب، وعلى أنني قادر على أن أفكر وأعبر بلسان الدعوة إلى الله عزوجل فتلك نعمة كبرى، أعتبر أن نعمة الصحة والعافية إنما تصح بهذه الأمور، بغض النظر عن صحة البدن، فمن يسر الله له استعمال الجوارح في الخير، وفك أسر يديه ولسانه لينطق بالخير، ويكتب فالحمد لله هذه صحة ونعمة وعافية، وهذا متوفر الآن بحمد الله عزوجل، والصحة العامة بخير إن شاء الله عزوجل. فله الحمد والمنة، وله الحمد والشكر.

● أين وصلتم في مشروعكم الدعوي؟

● المشروع الدعوي وكما هو معروف أنا أسير على خطى أستاذنا الدكتور الشهيد البوشيخي فيما يمكن أن نسميه بالمدرسة القرآنية أو مدرسة الفطرة في الدعوة والدين، كما تعلمون الأستاذ البوشيخي من

